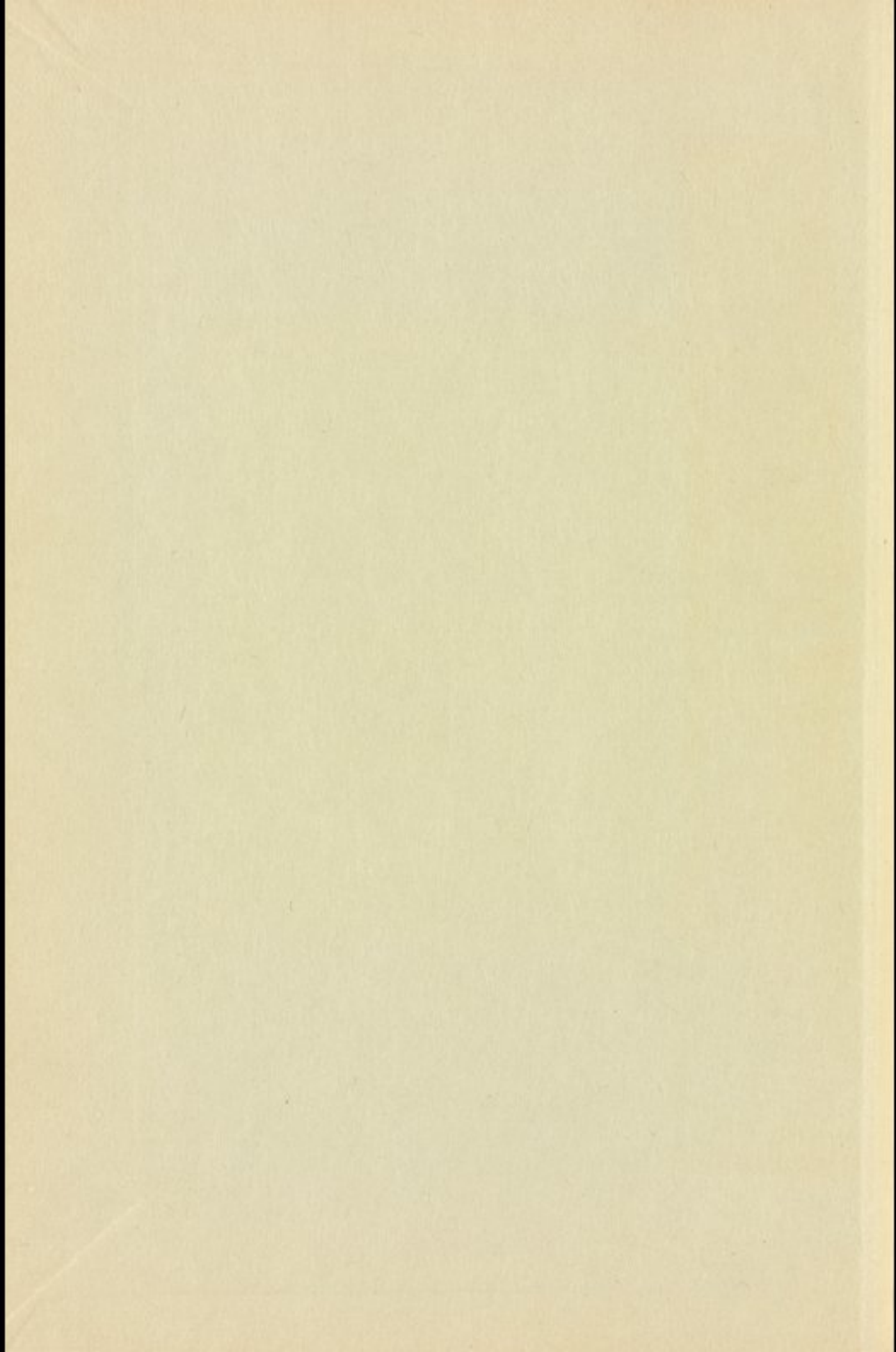


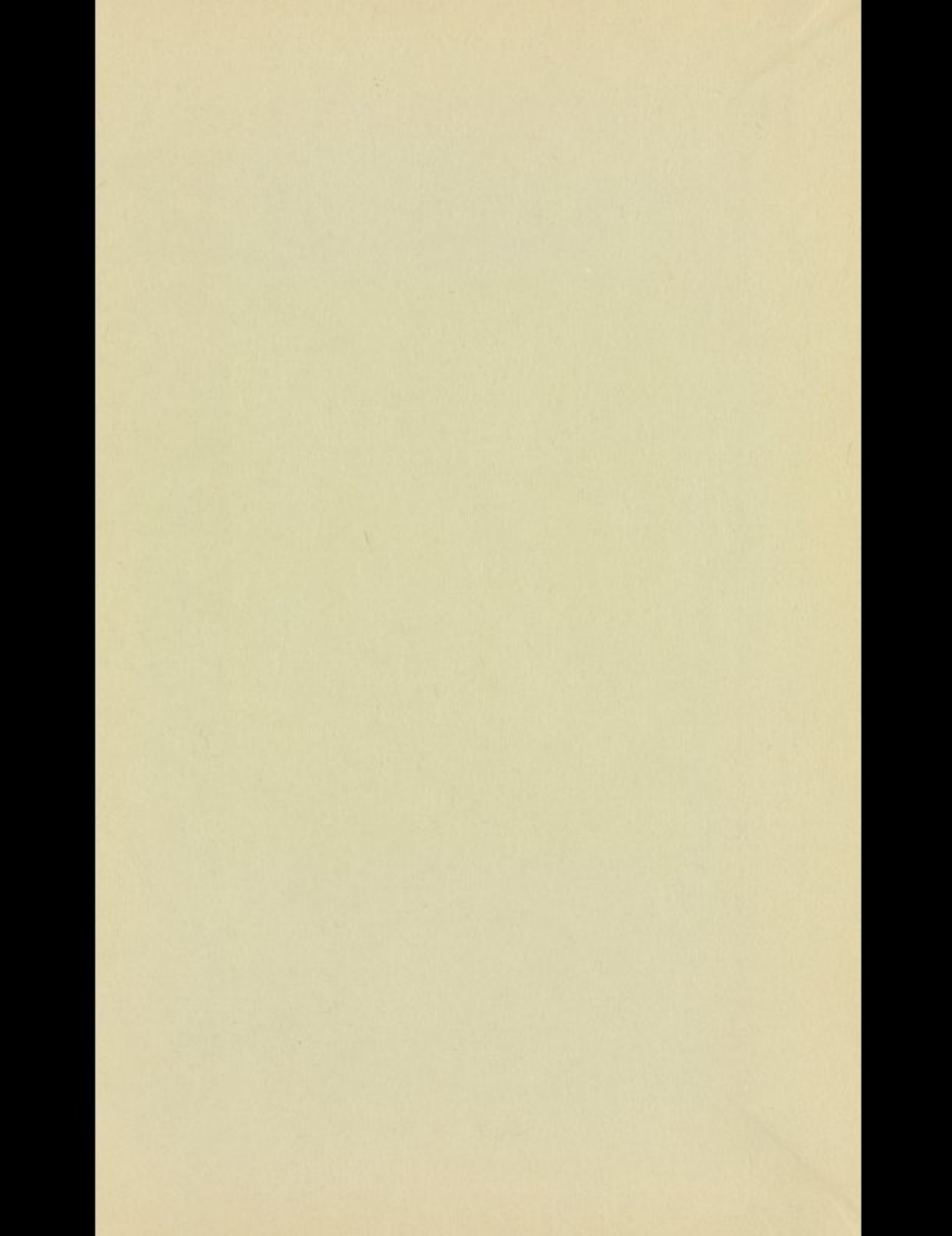


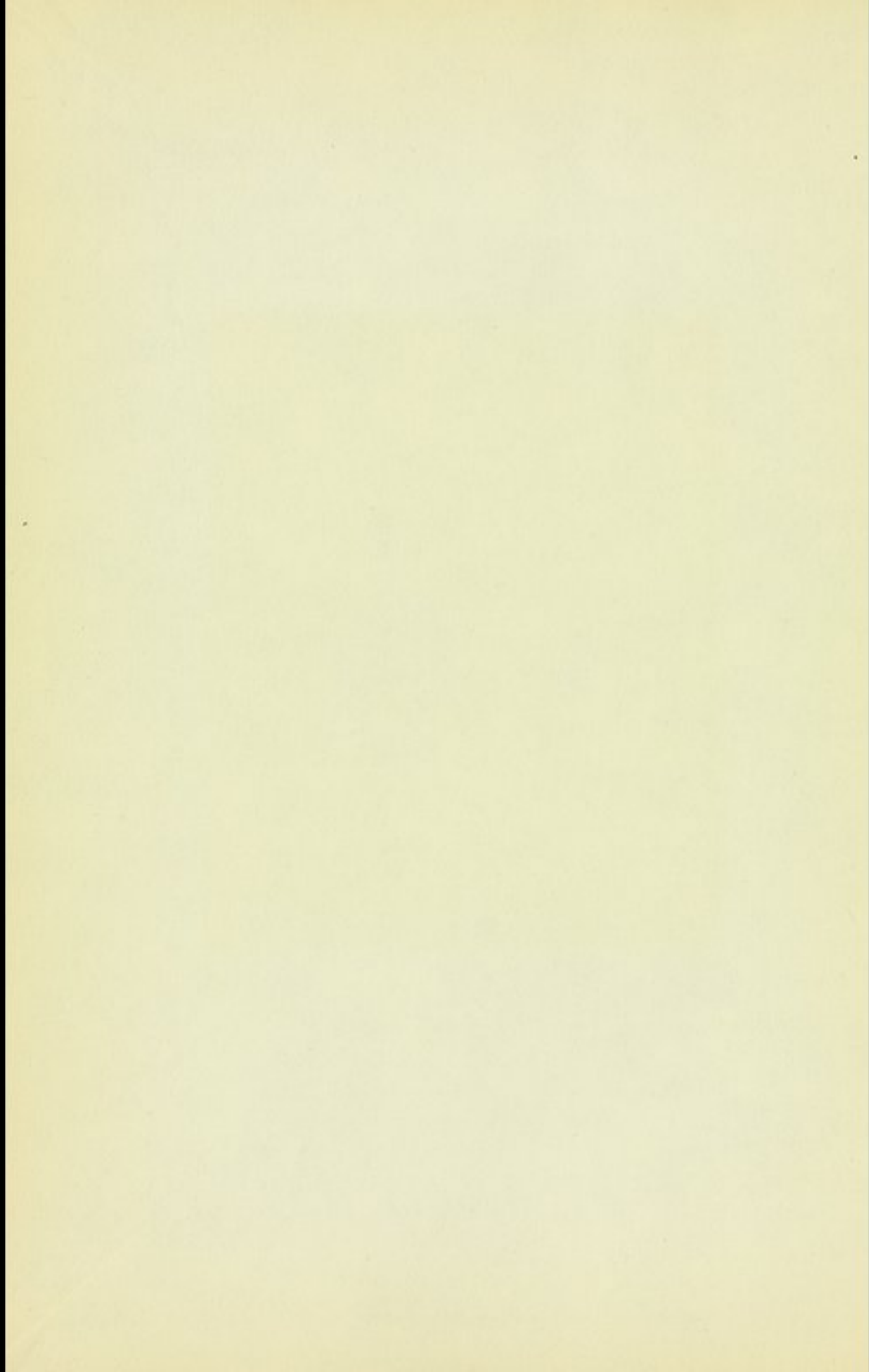
THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY

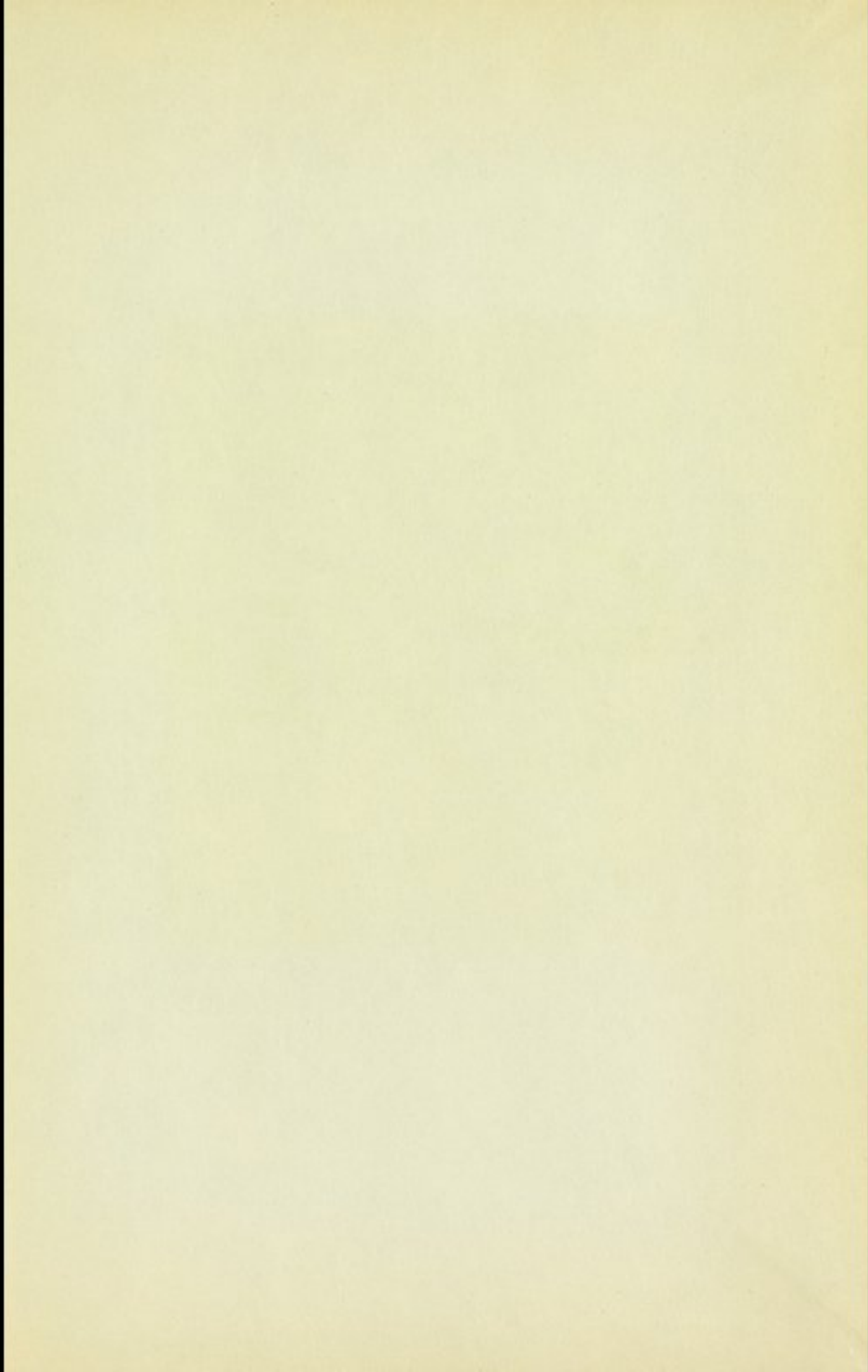


GENERAL LIBRARY





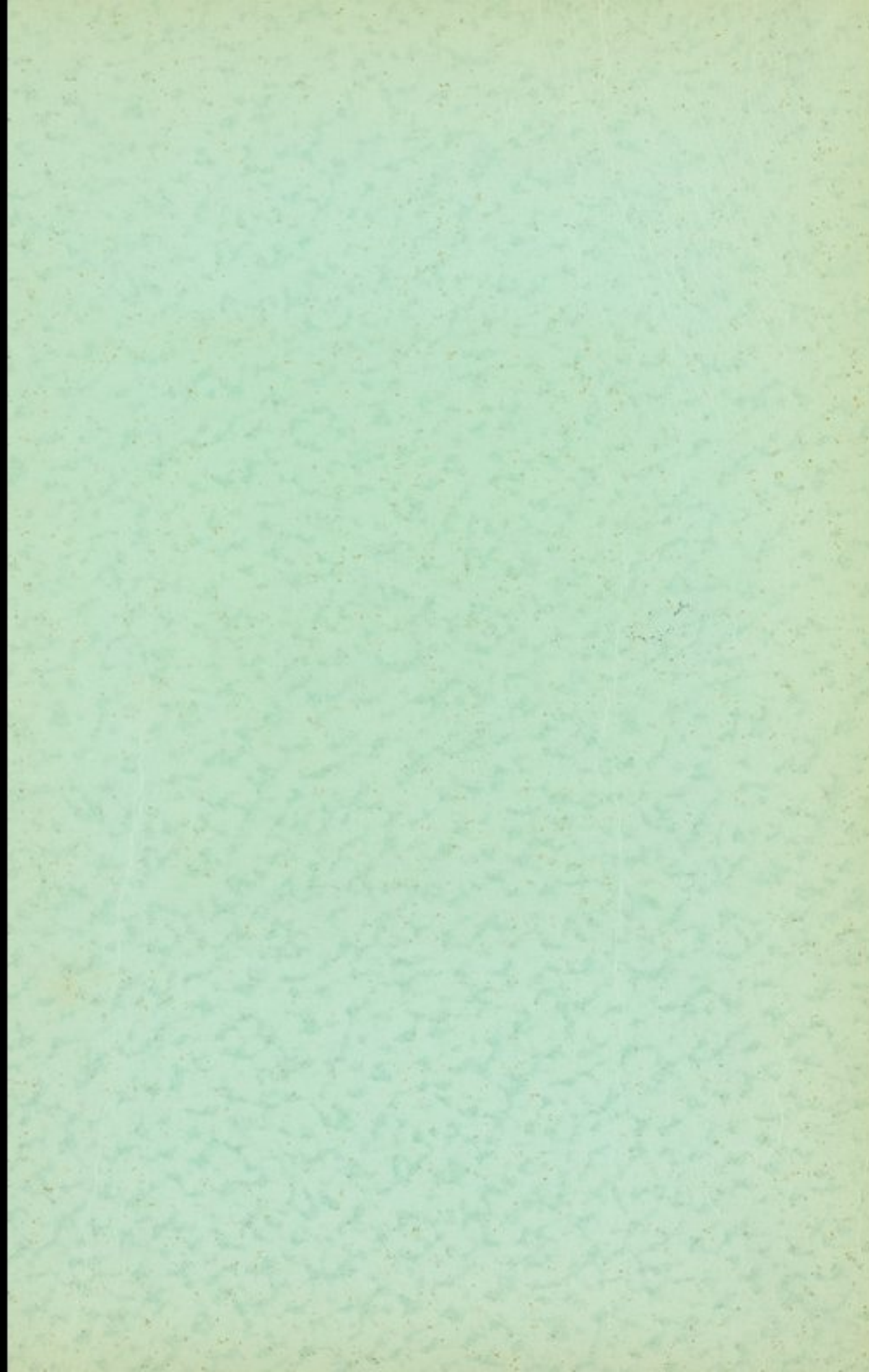




علي جواد لطائف

مقالات

ص ١٠٠



علي جواد لطاهر

مقالات

صفاً

خطرات في النقد الادبي - في القصة - شعر حديث ومعاصر - تعريف بكتب -

شعراء من العصر السلجوقي - جامعة باريس - في التربية والتدريس

هدية
المكتبة المركزية
لجامعة بغداد

سأعدت وزارة المعارف على نشره

مطبعة اتحاد الأدباء العراقيين

بغداد - ١٩٦٢

PJ

7541

IT 33

هذه « مقالات »

والمقالة - هنا - ليست انشاء مطلقاً قائماً على العاطفة او الخيال ،
وليست بحثاً مثقلاً بالاسانيد والمراجع ، انما هي عرض سهل المادة
ويجعلها اقرب الى القاريء واخف عليه بما يحاوله المؤلف من ترفيق في
الاسلوب واثارة للذهن وقصد الى الطرافة ، فتؤدي بذلك غرضاً قد
يعجز عنه البحث في ساعات لايجد المرء في نفسه استجابة لغير اليسير او
الميسر .

ولو أراد المؤلف ان يثقل لأثقل ، وله في شعر العصر السلجوقي
وشعرائه خير شاهد ، فلقد سبق له ان ألف ونشر في هذا الموضوع
ورأى ثقل المادة على سامعها وقارئها ورأى الضيق والبرم والنفور . لذلك
عاد فاعتصر تلك المادة واستخرج منها مقالات واحاديث وقدمها اسلس
قياداً او اخف ظلاً ، واجدى لغير المتخصص وطالب الثقافة العامة .

و « مقالات » مما كتب في مدد متفاوتة بين عام ١٩٥٥ - ١٩٦٢

وفي مجالات مختلفة وظروف متعددة . وقد نشر اكثرها في مجلة « المعلم الجديد » ، ومنها ما نشر في مجلات اخرى اكثر اكاڤيمية او اقل ، ومنها ما نشر في جريدة يومية . ومنها ما اذيع من دار اذاعة بغداد ومنها ما لم ينشر . وتفسر هذه الظروف جانباً مما يبدو على جملة المقالات من تفاوت في الاسلوب ، فاقد جاءت حسب مقتضى الحال ، وطبيعي ان يكون للزمان والمكان والشخص والموضوع اثر في هذا التفاوت ، دون ان يجور هذا « الاثر » على اخلاص الكاتب للكلمة واحترامه للقاريء . ولا بد من النص على ان مقالات جامعة باريس ليست من قلم المؤلف انما هي ترجمة عن الفرنسية . وكانت ترجمتها من متطلبات اشتغاله في مجلة « المعلم الجديد » . ولنكرر ان المعلم الجديد كانت حافراً مباشراً لكثير من مقالات الكتاب ، وانها دفعت المؤلف لخوض شؤون من التربية والتدريس (ليست بعيدة عن مهنته واختصاصه) .

وبعد

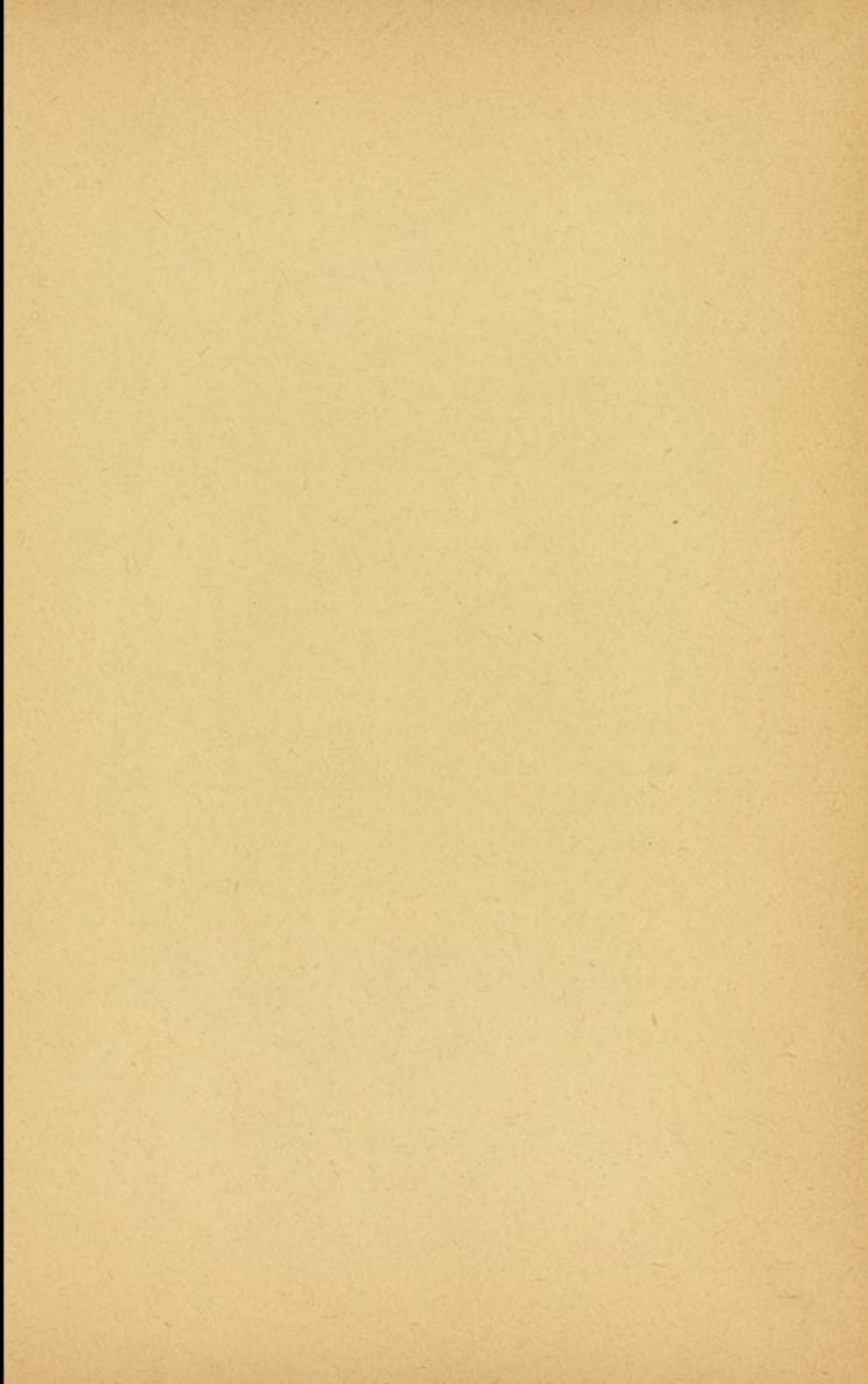
فكل ما يكتبه انسان عزيز عليه ، وكثيراً ما دفعت هذه القاعدة اهلها الى الحرص على كل ما يكتبون ، حتى ما قد يبدو لغيرهم على غير ما بدا لهم ، والى جمع « المحفوظ » ونشره ، من غير تغيير يذكر . في كتاب ، وليكن اسمه اسهل الاسماء وابسطها واكثرها صراحة « مقالات » ما دام المهم في الامر ان يحفظها من الضياع ويعدّها لأن ينتفع بها من يريد الانتفاع - اي انتفاع ، في هذا الميدان او ذاك . لهذه الناحية او تلك - وحتى للغاية التاريخية التي يلزم الالمام بها منهج البحث ومذهب الاستقصاء .

ارجو ألا تكون « مقالات » من غير نفع .

(١)

خطرات في قضايا من نظرية النقد الادبي

مقدمة في القصة القصيرة



النقد سهل

أى نعم . . . سهل جدا . . . يقع بيدك كتاب فتقول : مجلد ضخمة ،
على ورق صقيل ، وبطبع أنيق فيه افكار كثيرة تدل على عمق المؤلف
وبعد غوره وكثرة تجربته واننا تمنى له الرواج وندعو القارىء العربي
للاتفافع به ، ان مثل هذا الكتاب لو كان في الغرب لتعددت طبعاته وتكاثر
قراؤه ولما توانى ناقد عن مدح واطراء سعادة الاستاذ الفاضل
مؤلفه . . . الخ .

أى نعم . . . سهل جدا . . . تقع بيدك قصيدة فتقول : «٩٥»
بيتا ، ألا ما أطول نفس الشاعر الكبير ناظمها . والقافية لامية ، والبحر
طويل والغرض اجتماعى ، هذا الغرض الذي ابتكره العصر الحديث
فيعالج فيه الشعراء قضايا المرأة والاقتصاد والتقاليد . . . ان شاعرنا
بجدد مبتكر يحتل مكاته السامية في تاريخ أدبنا الحديث وسيبقى خالداً
على الدهر . . . الخ .

. . . سهل . . . وستصدر لصديقك قصة . . . من واجبك أن
تخدمه ، والا لم وجد النقد . قصة هي من روائع الادب ، قصة لخصت
كل مشكلات النفس الانسانية وعنيت بالناحية الوجدانية عناية خاصة
فهي تعيد لنا عصر الرومانتيكيين ولو عاد لمرتين لادعاها وكفى بذلك
فخرنا لادبنا ! اللغة كأحسن ما يكون ! والهدف كأبل ما يكون ! والعقدة
كأرقى ما يكون !

. . . وترمى القلم وتعيد قراءة ماسطرت فاذا بك معجب كل

الاعجاب والله درك وستشرها المجلات في صدورها . . . وقد أدبت
واجب الصداقه ! وأى خدمة هذه التي قدمتها لاختك الغالي وانت لم
تقرأ القصة ولا تدرى ان له مقدره قصصية . . . ولا تعتقد .

. . . سهل . . . لقد ألف فلان قصة رائعة دون شك ولكنها
مرت وكان لم تكن ، وفلان هذا قصاص موهوب أصيل ولكنه بليد . اما
انا فأعرف منه بالكثف وطرائق أكلها . ولا ولن أدع قصتي تمر من
غير ضجة . . . أنا أقل منه قدرا وأقل مهارة . . . ولكنني سأفوقه . . .
سأدعو الناقد . . . والصحفي . . . والناشر . . . سأطلب الى الناشرين
من زملائي في الدراسة ان يتكلموا على قصتي وليس من المجاملة أن يبينوا
نقاط الضعف . لقد عاد صديقي اخيرا من فرنسه وليس من المعقول
لرجل مهذب متحضر مثله ان يتوانى عن مدحي ولاشك في ان فرنسة قد
زودته بمصطلحات وتعابير تخلب لب القارئ العربي وتدعه يقرأ قصتي
ويعجب بها ويمدحها ويتطوع بالاعلان عنها . . . وهكذا .

. . . سهل . . . فما عليك الا ان تدعيه حتى ترى الناس ينعثونك
بالناقد ، ويتحدثون عنك بالناقد . . . ويكتبون اليك بالناقد الكبير . . .
تدعيه فتنهش هذا . . . وتطرى ذاك . . . وأولى نصائحي اليك ان تتكلم
بلهجة الواثق من نفسه، ان توغل بالادعاء حتى تنسى حقيقتك . وعليك،
عليك بالكلام الغامض الذي تطرب له عقول السوق - وما اكثر السوق
بين المثقفين . أحش كلامك بالأعلام . . . من الغرب . . . من انكلترة
وفرنسة والمانية . . . وآلسكا - وجزائر الخالدات والارض الخضراء . . .
وكندا . . . لاتنس كندا فان فيها نقادا كبارا . . . كبارا جدا . . .
أما كيف ؟ ومتى ؟ ومن ؟ فليس ذلك بالأمر المهم . ان من شروط
الناقد المقدره على الاختلاق !

. . . سهل . . . تكلم على الملحمة دون ان تقرأها ، لان الناس
عندنا مولعون بالحديث عن الملحمة ، ولع الشاعر بنقصه ، ولع من اصبح
النقص فيه عقدة . . . آه الملحمة ! وما أدراك ما الملحمة ثم تهدر
كالسيل . قل كل ما لذ لك وطاب لان الناس كلهم مثلك يتحدثون عن
العنقاء دون أن يروها ، كلهم مثلك يتحدثون عن الملحمة دون ان يتكلف
واحد منهم قراءتها وهي في متناول اليد .

تحدث عن الملحمة . . . وعن الملحمة الخالدة التي كتبها صديقك
عبد النور . . . تلك الملحمة الخالدة التي أعادت الى الادب العربي
اعتباره وسدت ثغرة ، وردت عاديا ، وارغمت عدوا . . . ان بإمكان
ادبنا - منذ اليوم - ان يقف مع أدب اليونانيين والرومانيين والفرنسيين
والانكليز . . . على صعيد واحد . ولك ان تذكر من الامم ماتشاء فلن
تجد من يسألك ومن يجهد نفسه للبحث والتحقيق . وكلما اكثرت من
هذه الامم ومما هو اغرب منها كنت كبيراً وأكبر في عيون قومك . والله
درك ودرهم ! ان ملحمة الاستاذ عبدالنور فلتة . . . واصبح من السهل
على المرء أن يضعها من غير أي عناء الى جوار الالياذة والاولدسة
والانيادة والشهنامه والمهابهارته . . . ورولان وحج شارلمان . . .
والكوميديا الالهية ، واورلانديو الغاصب والفردوس المفقود و . . .
و . . . وانشودة الظلام وسقوط ملاك والاتياد . . . الفلانسيك
والبارمازين . . . الخ .

وكلما اكثرت من هذه الاسماء ومما هو اغرب منها - رفعت
صاحبك ورفعت نفسك . والله ابوك وابوه ! ولم تقل زورا ولم تدع مينا
أما استطاع صديقك عبد النور المحترم أن يتحدث عن غرامه الموهوم
الواهي بأكثر من خمسة وسبعين وثلاثمائة بيت .

تحدث عن الملحمة . . . وعن السريالية . . . والوجودية

والكلماتية والفولماتيية . . . وليس المهم أن تكون قد قرأت شيئاً
عن هذه المذاهب ، وليس المهم ان تكون قد وجدت فعلاً . . . انما
المهم أن تتحدث وأؤكد لك ان الناس يصدقونك ويحترمونك وسيقولون
فلان . . . لله دره ، هو الوحيد الذي افاد من وجوده في الغرب .
وسيسألونك عن الدادية وهنا يفتح امامك طريق ممهّد اجر فيه كما
تشاء ويشاء لك الناس . اياك والتردد . وما دام الناس يرغبون في هذا
المذهب ويعجبون به فما عليك الا أن تقول وتقول واياك والتوقف لأنهم
يحبون الانطلاق ويسحرهم الكلام المتدفق . . . وهذه كل مواهب النقاد
والموجهين في ديارنا .

اي نعم . . . النقد سهل . . . اذا كان هذا وامثاله نقداً . . .
وعاش من قال « النقد سهل والفن صعب » أكان بوالو ام دتوش وانا
الله وانا اليه راجعون .

المعلم الجديد - شباط ١٩٥٨

ألف شرط . . وشرط

اي نعم ، ألف شرط يجب ان يتوافر في الانسان لكي يكون
ناقدا ، وشرط واحد لكي يكون شاعرا ، فلماذا ؟ أما في ذلك كيف
يلحق كائنا من الناس ؟ !

ألف شرط . وأنت تعلم منها : العلم العميق الواسع ، ولا بد من
دراسة اللغة والتاريخ والدين والاخلاق والجغرافية ، والفلسفة وعلم النفس
وعلم الاجتماع ، والفيزياء والكيمياء والفلسفة ! ولقد بالغنا وأثقلنا ، وكان
القدامي أرحم اذ أشاروا الى الاخذ من كل علم بطرف . على ان هذا
« الاخذ » وذلك « العلم » بما يمكن ان يتهيأ لاوساط الناس ، ولاي
منهم ناقدا كان أم مثقفا .

وشرط ثان ، الانصراف الخاص ، الى « علم النقد الادبي » ،
علم ! يدرس تاريخه وأعلامه واتجاهاته وغاياته وأسبابه وصلاته بالفن
وشعب المعرفة الاخرى وخصائص كل امة فيه . . . وفلسفته وفلسفة
الادب . . . وشروط الناقد ! . . . وليس هذا بالسهل الميسور وان كان
الامام بخطوطه العامة يمكننا لدى أسوياء الناس وأوساطهم ، فهو أخذ بطرف
من الاطراف ، يستطيعه الانسان ، ناقدا كان أم مثقفا .

وشرط ثالث . اللغات الاجنبية فالعربيه وحدها لانكفى ، ولغة امة

واحدة لا تكفى ولا يحصى من الانكليزية والفرنسية والالمانية . . . والهندية واليابانية والتبتي . . . والقبطية . وهذا مستحيل ولكن الالمام بلغة اجنبية او اكثر ليس تعجيزا ، وهو مما يتوافر لعامة البشر وكم من سائح ألم بلغات عدة . . . ان اللغة الاجنبية مما يستطيعه الانسان ، ناقدا كان أم غير ناقد .

وشرط رابع ، وخامس ، وسادس . . .

والشرط المثة : الموضوعية . اى نعم ، النقد علم مثل سائر العلوم التجريبية ، له مختبره . وله عالمه ، الذي يجب ان يقوم بمهنته خير قيام وان يؤدي واجبه أفضل أداء ، فلا مناص لا ولا مناص من ان يتصف اولا وقبل كل شيء ، بصفات الكيمياء ، مثلا : صفاته وهو يحضر حامض الكبريتوز - وما اشبه . يأتى بمادة ويأتى بمادة ، ويضع هذه وتلك في بوتقه ويضيف اليهما قدرا معلوما من الماء المقطر ، ويمرر عددا محصورا من الشرارات الكهربائية ثم يكون له - بعون الله - ما يشاء من ذهب ابريز . والعالم في كل ذلك مجرد من عواطفه وميوله فلا يؤثر الحوامض بغرامه ولا يصب على « القواعد » جام غضبه ، ولا يستعمل في ذلك غير ذكائه وعقله والقوانين التي سبق ان درسها في كلية الصيدلة والكيمياء . والنسب معروفة والمقدمات معروفة والنتائج معروفة .

الموضوعية . وقد اجتاح العلم كل شيء ، أليس الادب علما ؟ وأستغفر الله ! أليس النقد علما ؟ وأعوذ من الشيطان . واذن على الناقد ان يقوم بوظيفته دون ان يتدخل ودون ان يكون لذاته أثر وهو يستطيع ذلك كل وقت وكلما يطلب اليه ، في النهار ، وفي الليل ان تهياً الكهرباء . ازاءه مادة ولديه قواعد وما عليه الا ان يطبق هذه على تلك - وكان الله

غفوراً رحيماً . يريد ان ينقد قصيدة ، طيب ، وكلنا بات يعرف صفات
الشعر الوجداني - حتى المشايخ ، ولطالما قالوا انه ليس ملحمة وليس
مسرحة ، اذن ، فالقصيدة من الشعر الوجداني وهي مجموعة أبيات ثم
هي موزونة على البحر الطويل ومقفاة ومن لزوم ما لايلزم ، وفيها المواعظ
والحكم والافكار التربوية واذن فهي من الروائع . . . لا ، لا ياأخي ليس
أبو العتاهية شاعراً وجدانياً . . . « وليست بانث سعاد » قصيدة
وجدانية . . . ولا الزهاوي . ليس أولئك من الشعر في شيء وليسوا من
النثر في شيء . اقول ذلك وانا مؤمن بموضوعيتي وكافر بموضوعيتكم
وليس الشعر « طبقات أرض » واني اعرف الموضوعية الادبية في التحرر
من القواعد والقوانين ، أعرفها في الذاتية ، ولاأأخذ من الموضوعية الادبية
الا التجرد من الاهواء والاغراض الشخصية ، وليست بي حاجة الى ذلك
الاخذ ، لان الاغراض الشخصية تزري بكل عمل ، نقداً كان أم حدادة
والعمل العدائي يهدم نفسه بنفسه .

والشرط ال ٩٩٩ . . . الناقد مصلح اجتماعي . . .

ثم شرط أخير ، لايعرف الا بعد عزل كل ماهو خارج عن طبيعة
الاشياء ، وطرده كل مايمكن ان يتوافر في كل انسان من القواسم الالف
المشتركة بين الاسوياء . واذن ، فلا بد من تحديد الموضوع وتضييق دائرة
البحث ، لا بد من السعي وراء الجوهر الفرد . . . فما هو ؟

— هل الناقد عالم ؟

— لا

— هل هو لغوي ؟

— لا

— هل هو حدّاد ؟

— لا

— موسيقار ؟

— لا

— شاعر ؟

— لا . . . انه ناقد

اذن لنسبر غور هذا « الناقد » ، ولنسبر غور عمله وطبيعة وجوده وماذا يفعل ؟ وكيف ، انه لا ينظم « قفانك . . . » ولكنه يفهمها ، انه لا يعمل « اندروماك » ولكنه يفهمها ويفهمها ، انه لا يكتب « الاحمر والاسود » ولكنه يفهمها ويفهمها . . . ولا يتيسر ذلك لكل انسان ، وان استطاع كل مخلوق ان يدلى بدلوه في الدلاء ويقول شيئاً ، ان الذي يفعله الناقد الحق هو شيء غير هذا الشيء . . . أعمق وأجل ، وليس بما يواتى كل من عليها من أقول عامة او من ملاحظات تقع تحت كل عين من حيث الطول والعرض والارتفاع ، ومن حيث اللون والحجم والطعم . . .

واذن فلا بد من أمر خاص في كيان هذا الانسان الذي يجيد النقد ، فكما كان للشاعر أمر خاص - سمه الموهبة ان شئت ، وهو بهذا الشيء - اولا وقبل كل شيء - شاعر يواتيه القصيد طواعية ويهبط عليه بارعا رائعا ، فلا بد لهذا الناقد من أمر في نفسه وفي فطرته - وليكن اسمه الموهبة ، ولم لا ؟ مادام خاصا بانسان بعينه ، وهو اذ يتوافر لديه يرى في النص الادبي مالا يراه سواه ، واذا رأى ، أعرب وفسر وبلغ الآخرين مواضع الاسرار ومكامن الجمال . . . والقبح أيضا . ومن ثم يقبل الآخرون على النص نفسه فيجدون فيه ما لم يجدوه من قبل ، ومالا يجدوه لو تركوا وشأنهم .

الناقد انسان موهوب ، يقرأ النص فيفهمه على نحو خاص ، ويقف من مخبئاته على امور خفية في مجالي ابداع المؤلف ومجلى شخصه في اسلوبه ثم يتكلم عليه وكأنه شيء ، وربما وقف صاحب النص نفسه ازاءه معجباً ومستغرباً ، مردداً « الله درك » - يقولها علناً ان وجد في كلامه ما يرفع اسمه ، ويقولها سراً ان وجد فيه ما ينهه الى اغلاطه .

ثم ، اتراني مبتكراً لهذه « الموهبة » ؟ طبعاً لا ، لأنها ملاحظة انسانية . . . وكان « سنت يثف » منذ حوالي مئة العام يذكر شيئاً من هذا إذ يقول « لن يكون - النقد - إلا في متناول من اوتوا الموهبة الطبيعية . . . على نحو ما يتطلب الطب حاسة خاصة عند من يزاوله ، والفلسفة ذوقاً فلسفياً والشعر موهبة شعرية » الا أن « سنت يثف مولع بالعلم وكثيراً ما وصل هذه الموهبة بالتصنيف واكتشاف الفصائل و « كفايات علماء التاريخ الطبيعي » .

عن طريق هذه الموهبة ، موهبة الشاعر في الناقد ، يستطيع هذا الانسان أن يستعيد تجارب المنشئين فاذا هي تجاربه ، وكأنه قد عاشها . فهو محب مع المحبين وساخط مع الساخطين وضاحك مع الضاحكين . واذا عزونا ذلك منه الى الموهبة عرفنا انه لا يسير الى ذلك بقصد وخطة جامدة ، انه لا يقول في نفسه ، بعد ان يلم بالنص ، سأبكي مع الشاعر ، وسأسخر . . . ولا يقول لنفسه لأرتفع الى مستواه ولأثبت تجربته ، ولأنظره من الناحية الفلانية ، ولأتصوره من الجانب الفلاني . . . لا . . . لا . . . لأنه ان فعل ذلك كان منهجياً كسائر الناس ، ولا تعني الموهبة ذلك ابدأ . . انه يفهم ويفسر ويرتفع وينحط تلقائياً ، كما ارتفع الشاعر وكما انحط . . .

وهذا امر لا يكتسب ، وهل تكتسب الشعرية ؟ ولهذا رأيتنا

لم أصل الى هذا الشرط البديهي يسر ، فلقد كان الصدا يعلموه
من كل جانب ، وكان العرض يشغل الناس عن جوهره ، وكنت أنكر
النقد انكاراً عجيباً حتى ليظن من يسمعي أهاجمه ان النقد شخص بعينه
ولى عليه ترات بعيدة الاغوار ، وما كان ذلك بصحيح ، ولكنى كنت افهم
النقد في ضوء ما أقرأ له من أمثلة ، فلا أرى وجها لما يحاط به هذا
« السيد » من هالات وما ترفع اليه من ابتهالات . وبعد ان بلغ
الانكار منتباه وكاد يصبح سخفاً صحت .

— ترى أيستطيع ان يكون أى انسان ناقداً ؟

— نعم

— ناقداً عالياً ؟ !

— لا . . . ولا حتى كبار الشعراء ، بل ان هؤلاء كثيراً ماظهروا
فقراء ، مساكين اذا عرضت مسألة نقدية . . . أو ذوقية . . . أو حتى
ان استشيروا في أمر يخصهم ، ولكنك تقع على شخص آخر لم يزاول
الشعر أو انه زاوله فلم يجد له فيه حظاً يذكر ، تقع عليه ، فتسأله عن
هذه القصيدة أو تلك القصة ، فاذا هو يحلل ويعلل ، ويطلعك من
أسرار المبنى والمعنى مالا يمر ببال - حتى ببال المؤلفين أنفسهم ، وعندئذ ،
عندئذ فقط ، تعلم ان النقد غير الشعر ، وأن الناقد غير الشاعر .
تعلم وتحسب نفسك مكتشفاً لهذا الفرق ، ولا غرو فلقد بلغت
بعد كد وعناء ، وشغل وجدان ، وتأزم ضمير .

وتقلب الكتب ، وقد يكون بين هذه الكتب ماسبق ان قرأت فيه
أكثر من مرة ، وتقع عينك على « سقراط » ، وترى انه توصل الى هذا
التفريق منذ حوالي ثلاث وعشرين مئة سنة ، فتفقد شيئاً من لذة النصر
ثم تبرر ، فتعاودك الثقة قليلاً قليلاً . ويكفى ان يكون السابق عبقرى

كسقراط ، ويكفي انك لم تكن بدعة في الراى . ومن يدرينا ، فلعل
سقراط هدا ، كان مسبوقا بسقراط آخر في يونان أو في غير يونان ، ومن
يدرينا انه لو وصلت اليها الحضارة السومرية كاملة لوجدنا على احجارها
التفريق بين الشاعر والناقد ، عند السومريين وعند من هم اقدم منهم ،
مادامت المسألة انسانية ، وما دام الشعر قائما في البدو ، والجاهليين . .
والاسلاميين ، ولعلك قرأت كيف كان يحيل المتنبي على ابن جنى . وقرأت
ما جاء في مقدمه المرزوقي لشرح الحماسة من أنه « قد يميز الشعر من
لايقوله ويقول الشعر الجيد من لايعرف نقده » . . ولايعنى التوافق في
امثال هذه الآراء السرقة ، انما يعنى صدق الهاجسة وصلة الفكرة بالنفس
الانسانية .

وليست المسألة مسألة تفريق بين الشاعر والناقد . . .
فقط ، انها ابعد من ذلك ، انها تفريق بين موهبتين فكما كان الشاعر
موهوبا ومعدا لأمر بعينه يخلقه ويبدع في مجاله ، فكذلك الناقد موهوب
ومعد لشيء بذاته يخلقه ويبتكر في ميدانه (١) . واذا اعترفت بهذا ،
احترمت « الموهبة » في ضوء طبيعتها ، وربأت بنفسك عن ان تطالب
ناقد القصيدة بأن ينظم مثلها وناقد القصة ان يكتب مثلها وناقد المسرحية
ان يعمل مثلها . اعترفت وتذكرت ماقرأته في « الغريال » يوما ما :
« أعلي ان أبيض البيضة . . . لأعرف ما اذا كانت جيدة او فاسدة »
وأفدت من « هوارس » فعلمت ان المسن يشحذ الحديد ولا يقطع .
هذه الموهبة شرط اساسي في الناقد ، ومن لم تتوافر فيه شغل
نفسه وشغل الناس بالتوافه والقشور ، والصخب واللجب - بالعرض كما
كان يقول أهل الفلسفة .

(١) وقد يجتمع النقد والشعر في أديب واحد ، و « ليس على الله بمستعبد . . . » ولذلك

أمثلة ، والظاهر انه حتى في هذه الحالة لايد من تفوق احدى الموهبتين على الاخرى .

نختلف مع « أير كرومي » وسواه من القائلين بأن ملكة النقد مما يمكن ان يكتسب ، لا . . . انها لا تكتسب ، انها كالشاعرية ، ولكنها تختلف طبيعة ، تلك تخلق من الطبيعة ، وهذه تخلق من النص والطبيعة ؟ تلك تنشئ النص وهذه تفهمه وتفهمه ، او قل انها تعيد خلقه بعرض جديد ، ومن هنا « لزم » الناقد الكبير البيان الرائع ، لأنه منشيء ايضاً - وقد يقرأ لذاته في هذه الحال . اما مسألة الاكتساب فليست منكورة . ولكن بالقدر الذي يحتاج اليه الشاعر ، وهل يستغني الشاعر عن الاكتساب ؟ واذا كان الشاعر لا يستغني . و« يلزمه » - عن قصد وغير قصد - الامام ببعض الامور ، وكلما تقدم الزمان وتعقدت الحضارة كانت مستلزماته اكثر ، فكذلك الناقد فالناقد الفطري فطري ، والحضاري حضاري واذا كان هناك فرق في الاكتساب فبالقدر الكائن بين الموهبة الشاعرة والموهبة الناقدة . القصة موهبة والمسرحية موهبة ، ولكن هل تستغنيان عن الاكتساب ، من قراءات وغيرها ؟ واذن فمن الاولى ان لا يستغني النقد الذي يتطلب قراءات للآثار الانشائية وقراءات تدور حول النصوص ويتطلب منه المراتة والمحاولة ومعاودة المحاولة . . ، والصبر على القراء وكر القراء . . ، وكل هذه امور مساعدة تدخل في ألف الشرط التي مر ذكرها . واذن فالنقد موهبة ، والموهبة شرطه الاول .

المعلم الجديد - آذار - نيسان ١٩٥٨

اريد ان اكون قصاصاً

أرغب في ان اكون قصاصاً . . . فما القواعد التي استطيع بها النجاح ؟ أرجوك ان تلخصها لي وأعدك بأنى التزمها حرفاً حرفاً ، فليس من الصعب ان اطيع ماتمليه علي بما يجب في حسن الابتداء وحسن التلخص وحسن الختام . . . أعدك بأنى اكتب لك القصة كما تريد . . . كما تنقل لي ما قرأته في كتب النقد الادبي . . .

تلك اسئلة وجهها وهو حسن النية صادق العزم . . . وهو معذور لانه ألف ان يسمع بالعروض . . . وبالبلغة . . . وأخيراً بفن القصة . . . ويتحدث فن القصة هذا ، ويطيل الحديث عن العرض والعقدة والحل ويتحدث ويطيل الحديث عن الحوادث واطارها ، ويتحدث ويطيل الحديث عن المواقف النفسية . . . ونفسية الكاتب والقارئ . . . السخ . وله في ذلك فصول وفصول وكتب وكتب ، وقد ولع الشباب العربي في الايام الاخيرة بهذا الضرب من النشاط العقلي ولما أنساهم الغاية الاولى وملك عليهم أفئدتهم فوجدوا فيه مجال تعاضم ومجلى تكبر . وفي ذلك دليل على سهولته وسهولة السفسطة في شعابه .

تريد ان تكون قصاصاً ، حسن . ذلك من ححك وواجبك - ان شئت . فمن يدري فلعلك تجن موهبة ، ولعلك تكن مقدرة ان اهملتها عبثت بها الايام فأصابها الضمور واردناها الضياع . وصحيح ان لهذه الموهبة بعض البوادر في تصرفاتك اليومية ، وفي حديثك الاعتيادي ولكن

لا بد من اختبارها بالمحك الصحيح ، وتريد ان تكتب ، ولكن قبل الكتابة
وقبل ان اغرقك بسيل من القواعد والقوانين التي ولعت باطالتها بعض
العقول ، ولعت وعبثت . قبل ان تغرق ، اسألك هل قرأت قصصا عالمية
ثبت نجاحها على مر الزمن واختلاف الشعوب ؟ قصصا أبدعتها عبقریات
مرت الايام وبقیت ، ومات النقد وخذلت ؟ قصصا لم تعد خفية على
متذوق وقد جاءك خبر دستوفسكى . . . وبالزك وستندال . . .
ودكنز . . . وغيرهم وغيرهم .

اقرأ هؤلاء تجد القدوة الصالحة والمثل الاعلى . . . اقرأهم . . .
عش عوالمهم . . . انك حين تصحب القصة من قصصهم . . . وتديم
الصحة ، تشربها وتمتزج بذوقك وحسك ، وتقف على اسرار فهم عن
كثب ، من غير وسطاء أو دخلاء . . . ولم يعد الفن القصصي ممثلا
بسلسلة من الاوامر والنواهي تبدأ بالواحد ولا تنتهي بالالف . . . وقد
رأيت - أول ما رأيت ان لكل من هؤلاء العمالقة ذاتيتهم وشخصيتهم
ولا يمكن ان يشبه الواحد منهم الاخر ، رأيت ، ان « القواعد والقوانين »
تريد ان تجعل منك آله . أو حيوانا أعجم ، وحاشاك . . . تريد ان
تنظر الى أولى المواهب نظير العالم النباتى الى الاشنات والسرخسيات -
وحاشاهم . انك في قراءتك الاثار التي حظيت بالخلود تجد الامثلة الصحيحة
ومن هنا تبدأ . اما انك اذا قرأت كيفما اتفق ، مجموعة من الورق
والخبر سماها صاحبها قصة ، وطبل له اصدقاؤه وزمروا . . . حتى اعتقدت
ورحت تسج على منوالها فقد اسأت الى نفسك والى القصة .

اذن تقرأ امات القصص في العالم ؟

وكيف تقرؤها ؟ لم نستطع حتى الان ان تتوفر على المترجم المبدع
الذي يستطيع ان ينقل لنا هذه القصص الى لغتنا العربية . . . ولا بد

لك من ان تقرأ مجموعة من هذه القصص ، في لغتها الاصلية . . . فما
العمل . . . ؟ العمل . . . اذا أردت الجد . . . هو ان تسعى لتعلم لغة
اجنبية واحدة - في الاقل - وهذه اللغة تفتح لك ابواب العالم وتطلعك
على شؤون النفس الانسانية . ستقول : لا أستطيع ، ولا اتمكن . . .
ظروني . . . وقتي . . . وكل تلك اعذار واهية ، ان دلت على شيء فانما
تدل على ضعف ارادتك ، وضعف ايمانك بنفسك . . . وطلبتك .

اذن تتعلم اللغة الاجنبية وتقرأ روايتها وماترجم اليها من روايات . . .
وتنظر في نفسك وتجاربك وتجارب من حولك وتحاول المرة والمرة
والثلاث . . . وتأتي بعدها ومعك محاولتك لتكون القواعد متسقة
وشخصيتك والقوانين منسجمة مع فنك .

ومن يدري فلعلك تكون انموذجا جديدا . . . وقاعدة جديدة !

ولم لا ؟

المعلم الجديد - آذار نيسان ١٩٥٨

أنا ناقد مسرحي

— انت ... لا ... لست ... ولا تكون !

— وماذا ؟

— لانك تكذب على الناس وعلى نفسك ... اذ تدعى ذلك !

— لماذا ؟

— ماعدتك ياسيدي ؟

— وهل النقد المسرحي يحتاج الى عدة ؟

— لا ! ولكن ماعدتك ؟

— اولاً، انى أحب ان اكون ناقداً مسرحياً ... ولظالما غلبنى

هذا الحب على نفسي، وشرد بى عما حولى فأراني الحاكم المطاع والمحلل

المبدع الذي يشار الي بالبنان وتتهافت على اسمى الصحف وتخطب ودى

المسارح وتترامى على اقدامى الممثلات ...

— قدك اتند ، أريت في الغلواء ... قدك ، فلقد شردت ...

هذا أولاً ... فحدثنا عن « ثانيا » ...

— انى اعتقد مخلصاً بسمو المسرح وان بلدا لا مسرح فيه

لاشئ ... واعتقد ان من واجبي الاول ان اسعى الى رفع مستوى وطنى

واعمل جاهدا على توفير هذه العلامة الفارقة من علامات الحضارة البشرية
التي تمتع بها اليونان والفرنسيون والانكليز ... فبلغوا القمة من
المجد ... اما نحن .. آه ... فوا أسفاه ... ولكن لا بأس
ولاضير ... رب متأخر بذ الاقدمين ، وأنا لها ...

— حياك الله وبياك ! .. و « ثالثا » ...

— قرأت كتابا ذا قيمة يبحث في « الفن المسرحي » ... حقا

انه ذو قيمة .

— رابعا ...

— !

— اسمع ، بني ... المسرح ابن الغرب فهل كنت يوما لدى

المنبع ؟

— وهل ذلك ضرورة ؟ ...

— طبعاً

— لقد جاء « فلان » ومثل في بغداد رواية خالدة

— من نظمه وتلجينه ! اسمع ، يا بني ... ان نيتك حسنة اكثر

مما يجب .

لابد للناقد المسرحي - قبل ان يتصدى للنقد - وقيل ان يدعيه من

ان يعيش طويلا في المسارح يشهد بناءها ، ويعرف مشكلاتها ... ثم

يشاهد روائعها المختلفة ... يشاهد المسرحية الواحدة المرة والمرتين

والثلاث . هل شاهدت : فيدر ، السيد ، اندروماك ... تارتييف ، البخيل ،

روميو ، يوليوس قيصر ، عطيل . . . أوديب ، الفرس ؟ ؟ .

هل قرأت هذه المسرحيات العالمية . . . وغيرها من قديم
وجديد . . . لا بد للناقد المسرحي ، قبل ان يتصدى للنقد وقبل ان يدعيه
من ان يقرأ خوالد التراث العالمي بلغة اجنبية او لغتين او اكثر . . . يقرأ
ويعيد القراءة . . . ففي كل قراءة لاثـر جليل كشف جديد . . . وفي
كل مشاهدة علم جديد . . . انك اذا قرأت فيدر - مثلاً - ثلاث
مرات فكأنك قرأت ثلاث مسرحيات ، واذا شهدتها ثلاث مرات فكأنك
شهدت ثلاث مسرحيات . . . وتشهدا على يد ممثلين عالميين وممثلات
عالميات . . . فهل فعلت شيئاً من ذلك ؟ . . .

ثم تعال الي . . . لقد نقدت كل مسرحية خالدة اكثر من
عشرين مرة ، لكل نقد طعم خاص يجلو منها بديعا خفي عن القارىء
والشاهد . . . وحتى عن الممثل والممثلة . . . ولكل ناقد منحى خاص يقع
به على سر من أسرار خلود القطعة وذيوغها فيما يتصل بالفن المسرحي
وفيما يتعلق بتيارات النفس الانسانية . . . وقد كتبت هذه النقود بأكثر
من عشرين لغة . . . فهل قرأتها . . . أو قرأت بعضها . . . أو قرأتها
مترجمة الى العربية ! . . .

ذكرت أنك أعجبت بكتاب « الفن المسرحي » فاعلم انه واحد
من عشرات ومئات خير منه . . . وألوف يبحث كل منها ناحية من
النواحي ويتعمق شيئاً من الاشياء . . . هذا في التاريخ وذاك في المؤلف
وأخر في الممثل ورابع في الاشخاص الثانويين وخامس في الملابس وسادس

في الخشب وثامن . . . وعشرات في الناقد . . . فهل قرأت شيئاً من ذلك ؟

وهل درست ؟

انك لم تخط لتحقيق رغبتك خطوة واحدة او ربع خطوة على الاقل ، انك لم تحاول ان تكشف فيما اذا كانت رغبتك هذه فجراً كاذباً . . . وزعماً باطلا ساقه اليك الكسل واهدته أحلام اليقظة وخصك به المزاج المضطرب

ولم تكن غيباً جداً . . . فقد تلفت فرأيت العراق خلوا من المسرحية . . . خلوا من المسرح . . . واذن فليس من المستحيل ان تكون ناقداً مسرحياً ففى ذلك ما يصفى عليك صفة التوحد ويحقق لوجودك صفة الوجود .

— لا والله ، ما الى شيء من ذلك قصدت . . . انما هي رغبة عارمة . . . ثم انى لم أسمع بشيء مما ذكرت ، وها أنت ذا ترى الناس هنا ، لا يكاد الواحد منهم يهوى أمراً حتى يدعيه ويتفنن في الادعاء وحواله عصبية تطبل وتزمر . اما والامر كما ذكرت فأعدك بأننى قررت تعلم اللغة الاجنبية منذ الان وقررت قراءة روائع المسرح العالمي منذ الان وقررت الرحلة الى الغرب لارى التمثيل الراقى ولاكون على قرب من قضاياها وأساطينه . . . أعدك .

— ارجو ان تكون لك من الازادة ما يخرج بك عن الوعود

المعسولة

— ثق !

— أخشى انك تسافر الى الغرب بجريمة فتعود بجريمتين ...
تعود وتدعى مالميس لك - عن علم - في هذه المرة .

المعلم الجديد - آذار - نيسان ١٩٥٨

في الاسلوب

عند اليونان من *Stilus* ، الازميل الذي يستعمله النحات ،
وعند العرب من الصف والاصطفا . .

ولكنك لاتجد اللفظة في دلالتها النقدية مبكرة ، واذا جاءت فانها
ليست ذات حد ، ولعلها اكثر ماتعني المنهج والطريقة في نظم الكلام
ولعلها تتصل اكثر ما تتصل بصورة الكلام وشكله .

واكبر الظن انها دخلت عصرنا الحاضر عن طريق الغرب ، ترجمة
لكلمة *Style* دون ان يفكر المترجم كثيراً بالدلالة العربية - ولكنها
على حظ كبير من التوفيق .

لأن الـ *Seyle* في ايسط تعريفاته « طريقة الكتابة »
« *Une Maniere d Ecrire* » . والمعقول في الكتابة هذه ان
تكون ذات دلالة واسعة تجعلها هي والانشاء سواء ، فتضم حينئذ الكتابة
والخطابة وما اليها من فنون الأدب الصرف كتب ام لم يكتب .

ثم ان الـ *Style* اذ يذكر ، فان اول ما يتبادر للذهن ، الجانب
الشكلي . بما في ذلك من مفردات وتراكيب وصور - وهذا ما يتبادر
لذهن الغربي كذلك .

وكل ما في الأمر أننا وقفنا عند هذا الجانب وحده في اطلاقنا
كلمة « أسلوب » بينما راح الغربيون يجمعون اليها جانباً آخر هو

الروح او الفكرة او المضمون ، بحيث جعلوا الجانبين امراً واحداً لا يفترق ولا يفرق ولم يرضوا دون وحدتهما حتى بتشبيهما بوجهي الدرهم او الجسد والروح في الكائن الحي . وانهم ليسخروا من السخرية ممن يشبه الاسلوب بالثياب والملابس ...

على ان بينهم من لازال يقصد الى الجانب الشكلي عندما يتكلم ، ومنهم من يقف عند اللغة ويسميه حينئذ *La stylistique* وتجد هذا لدى النحويين والصرفيين ، ومن اليهم .

وقد عرف العرب شيئاً من هذه الأمور بوجه جزئي - كأكثر معالجاتهم النقدية - فكان هناك اللفظ وأهل اللفظ - والمعاني وأصحاب المعاني . وكانت معارك . ولنا ان نقرأ الجاحظ والأمدى والعسكري والجرجانيين وابن الأثير ... لكي نلم بشيء مما ذكرنا .

اننا اكثر مانجد تقسيم الاسلوب الى قسمين : شكل ومضمون عند المدرسين مدعين بذلك تسهيل الأمر وتقريبه من الناشئة والطلالين .

ويدخل تحت كلمة شكل *Forme* : الكلمة المفردة ، والجملة او البيت والفقرة او المقطع والبناء العام .

وأطال العرب الوقوف عند الكلمة ، ووقفوا غير قليل عند الجملة والبيت وهو ما يمكن ان يقابل ماسموه بالصياغة ... وقلعنا تطرقوا الى الفقرة وصلة الفقرة بالفقرة وما ينتج عن ذلك التماسك ...

اما المضمون فهو الافكار والمعاني ، هو ما يكتنف الأثر من عواطف وأخيلة وحالات نفسية وعقل .

وقد تنبه العرب الى شيء من هذا ، الى ماسموه - كما رأينا -

بالمعاني وقد وقفوا عند حد محدود وضمن دائرة ضيقة لاتكاد تتعدى المدلول العقلي والمغزى الفكري للجملة او البيت وفي كلام ابن قتيبة في مقدمته على الشعر والشعراء ما يلقي ضوء على هذا .

وقد يكون النقد الغربي في ماضيه على شيء من هذا ، ولكنه كما وصل اليه اليوم واسع جداً ، وانهم ليدخلون في المضمون - كما رأينا - النفس الانسانية كلها - بخيرها وشرها .

ومع كل هذا التوسع الذي بلغه المدرسون في عناصر الشكل وفي عناصر المضمون ظلوا محط سخريه من اهل الانشاء انفسهم ومن النقاد ... الذين لا يريدون ان يسمعوا كلمة شكل وكلمة مضمون ... ولاداعي الى هاتين الكلمتين بعد ان كانت لدينا كلمة تغني عنهما وتزيل ملبساتهما ، تلك هي الكلمة البارعة الرائعة : الاسلوب

وليس الاسلوب اللفظة المفردة والجملة .. والخيال والعاطفة ... ان هذه اضعف شيء فيه ، انه هذه زائداً شيئاً آخر اهم منها بألف مرة ...

انه الجانب الاصيل الذي يرتفع بالنص الى مستوى الروائع الخوالد . والذي يميز صاحبه عن سواه ومن هنا نعلم ان هذا « الشيء الآخر » اهم ما في الامر .

وليس المواد هي المهم ... ان توفرها ... ودراساتها ليس بالامر الصعب انما الصعب ... والمهم ... ان تبحث عن سر الاسرار ... عما جعل الاديب اديباً . . عن الذي جعل فلاناً ينظم هذه القصيدة - يؤلف تلك القصة . . الخطبة . . دون الآخرين . .

عندك مال اذن ، تستطيع ان تشتري ما تشاء من المواد الانشائية من جص
وأجر واعمدة . . . وعندك مال اذن تستطيع ان تكري اكبر مهندس في العالم
لوضع الخارطة فهنا المطعم وهنا الحمام . . . وهنا المراحيض . . .
والحديقة

ولكن هل تستطيع ان تحصل بذلك على عمارة ذات اسلوب ؟
أبدأ .

وهناك الوف من الناس يستطيعون رصف الحجارة الى جوار
العمارة . . . والغرفة ازاء الغرفة . . . والطابق فوق الطابق . . .
ولكن الذين يعملون كل هذا بأسلوب قليلون .

عندك قطعة من اخضر القماش
واخذ لك الخياط ادق القياس في طول البنطلون وعرض الكتف
وحجم الياقة . . . ويملك هذا الخياط احدث مقص واحدت ماكينة .
ولكن هل يكفي هذا لأن يجعل من بدلتك بدلة ذات اسلوب ؟
- ابدأ .

ثم ، ان الذين يستطيعون خياطتها كثيرون
وما اكثر من يرتدي السترة والبنطلون في هذا الناس
ولكن بدلات قليلة تتأملها . . . وتقارنها الى سواها . . . فتعجب . . .
اجل . . . انك ترى فيها شيئاً خاصاً . . . غير المقص والمقاس . . .
وهذا السر الخاص هو الاسلوب . . .
وفي عمل الكيك

المقادير معلومة . . . كذا من الطحين وكذا من السكر وكذا من
اليض . . . الخ وحتى السعرات الحرارية محدودة . . . والقوالب معدة . . .

ولكن هل تستطيع كل النساء (والرجال) عمل الكيك ؟ نعم . ولكن
يستطيع كل النساء عمل الكيك اللذيذ الذي يسرك مرآه ومخبيره . . .
فتطرب له اسنانك ويطرب له انفك وتطرب له معدتك . . . لا . . .
انهن قليلات جداً . . . وهذا السر الذي يبرعن به هو الاسلوب
هذا هو الاسلوب .

وكل ما في الأمر اننا في الطبخ والنجارة والخباطة وما اليها نعزوا
التفوق الى المهارة بينما نعزوه في الشعر الى الموهبة .

والناقد القدير هو الذي يستطيع ان يغوص وراء الأصالة ويبحث
عن الموهبة متحدة في الأثر الأدبي ، ويتقصى ما سميناه « بالشئ »
الأخر « وهنا تكمن الصعوبة . . .

والا ، فما اسهل ان يقال ههنا لفظه غريبة وهذه استعارة . . .
وهذا حب . . . وذاك تصوير - وما اسهله ، وهذا اخلاقي وذاك
لا اخلاقي - ما اسهله .

ان « الشئ الآخر » اجدر كل شئ بالدراسة ، بل هو وحده
بجال الدرس .

ومن هنا صح القول « بأن الأدب دراسة الاساليب » لان
الاساليب هي التي ميزت الأديب الحق من غيره ووسمت هذا الأديب
الحق بهذه السمة ووسمت ذلك بغيرها .
وهذه الدراسة صعبة .

لأنها « الأديب نفسه »

بل « الأديب » في اصدق ساعاته - ساعات الخلق والابداع التي
يستطيع ان يعبر خلالها - من غير تكلف - عن اعماق مشاعره ، واعماق ما هو
كائن في كل انسان .

هو صعب جداً .

ولا يستطيع أحد ان يدعى التمكن منه وبلوغ درجته العليا
- وان كان الناس - أي النقاد ، درجات في الاقتراب من « هذا
الشيء الآخر » ، وهم يتفاوتون بنسبة موهبتهم واستعدادهم في
هذا الميدان . . .

في القصة القصيرة

للقصة تاريخ طويل يبلغ عمر البشرية أو يكاد ، وقد كانت القصص - اول ما كانت - خبرا وحكاية واسطورة (1) ثم مغامرات وخوارق لاتصدق ، في الحرب والحب .. ، وامتد بها العمر ونالها التطور وربطتها مدام دلافيت بالنفس وجان جاك روسو بالطبيعة .. واكتسبت الجسد وعالجت التقاليد والمجتمعات ؛ وعنت برسم دقائق الاطارات والمناسظر والاشخاص .. فاصبحت أوسع وأعمق وأكثر صدقا ، وانجبت أفذاذا من اقطار مختلفة منذ القرن التاسع عشر - خاصة . واذا كان « الواقع » هو مادة هؤلاء الافذاذ ومصدر وحيمهم ، فانهم لم يستطيعوا ولم يحاولوا ان يجردوا آثارهم من الخيال ؛ لان الخيال عنصر أساسى في كيان القصة ولانه الجزء الاكبر من تعريفها الجامع المانع ؛ وكل ما في أمره ، انه اختلف في النسبة ولبس للحال الجديد لبوسا جديدا .

كان تاريخ القصة طويلا لان حاجة الانسان اليها فطرية ، ولم يستطع ان يستغني عنها حتى في حياته الحديثة المعقدة ، ويكفى انها بابت ابرز الوان الادب واكثرها قوة . وربما كان السبب في ذلك مرونتها

(١) جاء في تأميرس المصطلحات الادبية :

Dictionary of World Literary Terms (London - 1955)

ص ٢٧٣ - ان المصريين القدماء تركوا لنا مجموعة « حكايات السحرة » تضم قصصا ترجع الى حوالي ٤٠٠ سنة ق . م . كما ترك لنا الهنود والعربون والافريق والعرب .. مجموعات اخرى . ويروى هذا الخبر في مقالة « القصص القصيرة » ص ١٢٥ - ١٥٦ من كتاب « دراسات في الادب الامريكى » الذي نشرته مكتبة النهضة المصرية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين . وقد كتب الموضوع راي وست الصغير ولخصه احمد قاسم جودة .

وقابليتها لمطاوعة كل موضوع وكل عاطفة وكل أنواع الانشاء
والاساليب (١) .

والقصص اقسام ومناحي ، فاذا أردت ان تعرفها من حيث الشكل
وجدتها عند الفرنسيين مثلا على ضروب منها ال Conte « ويقابلها
بالانكليزية Tale » وهي حادثة مغرقة في الخيال ترويهما الشفاة وتتأقلمها
الاجيال وتتفنن في عرضها « الجدات » ولا يخلو منها شعب على وجه
الارض - مهما بلغ من البدائية - وربما كانت البدائية شرطا فيها ...
قال Conte اذن حكاية .

ثم تأتي يد الانسان وتنقلها الى الورق - مع شيء من التعديل
والتبديل - محتفظة بالطابع الساذج والخيال الطائفي والجن والملائكة ولكنها
تظل حكاية .. ومن امثلتها في هذه الحال ماهو مشهور معروف من آثار
شارل پرو « ١٦٢٨ - ١٧٠٣ Perrault وقد جاست سندريون وذات
القبة الحمراء خلال تقاليد العالم (٢) .

Abbe C Vincent Theorie des Genres Litteraires ' (١)

Paris (Gigord) , 19 ed . 1946 , P.802 .

لقد نالت القصة من النمو ما كادت تبطلع به انواع الادب الاخرى .

وبدت لعيون كثير من الناس وكأنها كل الادب (بمن نص على ذلك Jean Suberville
في كتابه نظرية الفن والانواع الادبية نقلا عن Maynial في كتابه الذي اختار فيه صفحات
لقصاصي القرن التاسع عشر) وقال Charles Plisnier في كتابه " Roman " ،
الذي نشره Grasset عام ١٩٥٤ : « لا يستطيع ان اخفى بانى أضع القصة على رأس كل
الانواع الادبية » .

(٢) ترجم عدد من حكايات برو منفردا هنا وهناك . وترجمت له دار المعارف بمصر

« مملكة السحر » في سلسلة « أولادنا » .

وتأخذ ال Conte مظهراً آخر تحسن ترجمته بالاقصوية، وهي
أشبه شيء بالحكايات من حيث الخيال والحادثة والسرد، ولكنها من
عمل مؤلف بعينه ومن فنه وطابعه - وقصده . وأمثلتها كثيرة منذ القرن
التاسع عشر - خاصة . ويمكنك ان تدخل فيها من آثار غير الفرنسيين
أقاصيص « أندرسن » (١) و « هوفمان » (٢) و « پو » (٣) . ومع
ان پو تأثر بغيره فان من الناس من يعده أبا الاقصوية ، أو أول
استاذ كبير لها - في الأقل . وكان پو الى ذلك مبكراً في الكلام على
طبيعة الاقصوية وبعض ماقتضيه من تعليمات وذلك على أثر « ظهور
طبعة جديدة في مجلد واحد . . . لمجموعة قصص هوثورن » الحكايات
المعادة Twice Told Tales (٤) وقد نشر ذلك عام ١٨٤٢ في

(١) هانس كرستيان اندرسن ، دنماركى ولد عام ١٨٠٥ وتوفى
عام ١٨٧٥ وقد ترجم له - عن الانكليزية - محمود ابراهيم الدسوقي
مجموعة من اقاصيصه وضمنها العدد الثامن من سلسلة عيون الادب الغربي
التي كانت تصدرها لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة (١٩٤٠) .
(٢) المانى ، ولد سنة ١٧٧٦ وتوفى سنة ١٨٢٢ .

(٣) ادگار ألن پو ، امريكى ولد ١٨٠٩ وتوفى ١٨٤٩ وقد
ترجم له ابراهيم عبد القادر المازنى « نبيذ الاموتبلادو » ونشرها سنة
١٩٣٩ في كتاب « مختارات من القصص الانكليزية » وهو الكتاب الذي
يؤلف العدد السابع من سلسلة عيون الادب الغربي . وترجم له نجاتي
صدقى مجموعة بعنوان « الخنفسة الذهبية » نشرتها دار الكتاب - بيروت
١٩٥٤ .

(٤) دراسات في الادب الامريكى ص ١٢٧ وتنظر دائرة المعارف
البريطانية في طبعها الاخيرة ، كما ينظر قاموس المصطلحات الادبية .

Garham's Magazine (١) وما قال في تحديدها انها آية قصة تقتضى قراءتها من نصف ساعة الى ساعة واحدة أو ساعتين ، وان كاتبها يتصور أثرا معيناً يريد ان يخلقه ويعمل على ان يبتدع له الحوادث ويلبسها الكلمات التي ستحدث الاثر (٢) « ولنفرض ان أدبياً ماهراً يريد ان يفرغ فنه في قصة . انه ان كان حكيماً لم يكيف افكاره طبقاً لحوادث قصته ، بل يجب ان يستقر قبل كل شيء ، وفي عناية قائقة ، على « أثر » معين فريد أو نادر يرمى الى اظهاره ، ثم يؤلف الحوادث المناسبة بعد ذلك - وعندئذ ينسق هذه الحوادث على أحسن وجه يراه كفيلاً باظهار « الاثر » الذي استقر عليه من أول الامر . فاذا كانت عبارة الاستهلال نفسها قاصرة عن ابراز ذلك الاثر فقد أخفق المؤلف اذا في اول خطواته . فما ينبغي خلال القطعة الادبية كلها ان يخط قلمه كلمة واحدة لاتسق - بطريق مباشر أو غير مباشر - مع خطته المرسومة المقررة (٣) . »

« نعم لقد استطاع عبقرى مثل « پو » ان يأخذ نفسه أخذاً ذقيقاً بقيد الاقصوصة « فحصر نفسه في الحوادث » ولون « الحوادث في الوقت نفسه بلون الحالة النفسية التي أحاطت بوقوعها ، تلويها قوياً ساطعاً يترك في نفس القارئ أثراً فيه دراسة كاملة لموقف من مواقف

(١) هكذا في دائرة المعارف البريطانية (ط ١٧) أما كتاب دراسات ص ١٢٧ فيجعل ظهور طبعة مجموعة هوثورن سنة (١٨٥١) وهو تاريخ غير معقول اذ علمنا ان وفاة پو كانت عام ١٨٤٩ .

(٢) قاموس المصطلحان .

(٣) دراسات ص ١٢٧ .

وينظر عز الدين اسماعيل في « الادب وفنونه » القاهرة ١٩٥٥ ص ١٧٢

الحياة ؛ لكن ذلك لا يعدو ان يكون خداعا يحدثه فن الكاتب (١)
ان « تعريف » « پو » مشتق ، من قصصه ومشتق ، من نفسه
ومزاجه ، ولايعنى انه يصلح لكل قصة وقصاص ، بل ان فيه - على رغم
قيمه وعنايته بوحدة الاثر - كثيرا من الافتعال والدعوة الى الافتعال
« وربما كان اضعف مافيه ذلك الايجاء الضمنى بأن تأليف القصة لا يعدو
ان يكون عملية مرسومة تكاد تكون آلية بالنسبة للكاتب » (٢) لقد « كان
« پو » معنيا بالصيغة النظرية او المصطنعة للقصة اكثر مما كان يعنيه ان
يقيم فنه على اساس متين من العالم الذي يعيش فيه (٣) .
ولنلاحظ ان « پو » كان يسمى قصصه *salet* ، وكذلك كان
بفعل هورثورن وملقيل ، والى هؤلاء الثلاثة يعود الفضل الاكبر في شأن
الاقصوصة الامريكية (٤) .

وكتب Brander Mathews عام ١٨٨٥ في « فلسفة القصة
القصيرة » ورد على پو (١) ، وألف من الكلمتين « قصة » و « قصيرة »
اصطلاحا واحدا يعنى ضربا معيننا Short — Story (٢) . وكان الالمان
يفضلون كلمة *Novellen* ، وقد تركوا آثارهم في القصص القصيرة

(١) ه . ب . تشارلتن - فنون الادب ، عربه زكى نجيب محمود
في العدد الثانى من سلسلة الفكر الحديث الذي اصدرته لجنة التأليف
والترجمة والنشر بالقاهرة عام ١٩٤٥ .

(٢) دراسات ص ١٢٧ .

(٣) دراسات ص ١٣٣ .

(٤) دراسات ص ١٢٦ .

ومما يذكر بشأن هورثورن انه « قد كتب مقدمة لمجموعة قصصه
لعلها كانت ردا على نقد « پو » ونظريته في أدب القصة وبواعثه
وأهدافه . . . دراسات ص ١٢٧ - . وقد ترجم له المازني « دفن روجر
مالفن » وذلك في « مختارات من القصص الانجليزية » .

الاولى بما كتب في القرن التاسع عشر .

ويستعمل الفرنسيون كلمة Nouvelle هذه دون ان يشيروا الى اصل
الملمنى فى الاستعمال (٣) وهم يذكرونها - مثلا - عند الكلام على آثار
مريمه Merimee (٤) وموبسان Maupassant (٥) ، وكانو

(١) تنظر دائرة المعارف البريطانية مادة Short Story .

(٢) قاموس المصطلحات الادبية مادة Short Story .

(٣) أبح على هذا الاصل قاموس المصطلحات .

(٤) ولد بروسبير مريمه Prosper Merimee عام ١٨٠٣ وتوفي
عام ١٨٧٠ ، واشتهرت من قصصه « كارمن » وقد استل منها أكثر من
فلم ، ونشرت له دار الكاتب المصري عام ١٩٤٧ « كولمبا » ، ترجمها
محمد غلاب . وترجم له محمد شيخ ديب فى كتابه « سبع قصص عالمية » :
سقوط الحصن ، والكتاب هو العدد الحادى عشر من سلسلة مناهل الفكر
العالمى ، صدر عام ١٩٥٥ عن دار ابن المقفع بدمشق ، أما العدد الثانى
عشر فقد عقد على « فانديتا » . ومن المحتمل ان تجد فى مجلة « الرواية »
عددا من قصصه .

(٥) گى دموبسان Guy de MauPassant ولد عام ١٨٥٠
وتوفى عام ١٨٩٣ ، كانت « الرواية » ترجم من آثاره ، ونشر الزيات
فى كتابه « من الادب الفرنسى » احدى عشرة اقصوصه وقد طبع هذا
الكتاب فى القاهرة عام ١٩٤٠ ثم اعيد طبعه عام ١٩٥٢ . وترجم له
أميل خليل بيدس « مختارات ... » ، ولا تخلو مجموعة من القصص
العالمية من أثر أو أكثر من آثاره .

ينظر عن موبسان كتاب هنرى ودانا توماس : « أعلام القصة -

- وما زالوا - يقصدون أول ما يقصدون - الى قصة وسط في الطول ، ثم هم بعد ذلك مضطربون في الاستعمال والدلالة ، ويمكننا ان نستغل هذا الاضطراب ونعد مريمه وموبسان من كتاب الاقصوصة *Conteurs* مهما طالت كتاباتهم لاتنا نريد أن نحفظ بال *Nouvelle* لمسمى آخر هو القصة القصيرة .

وقد حاول مارك بلانين ان يخرج مريمه من ال *Conte* الى ال *Nouvelle* - ولم يكن في ذلك الاول . ولكنك اذا قرأت الصفات التي اشترطها للنوئل وقرأت آثار مريمه او الصفات التي ذكرها هذا الناقد لآثار مريمه ، رأيت اختلافا ، ورأيت أن مريمه تنمة لخط طويل من الاقصوصيين . واذا كانت هذه الاقصوصة قد خطت على يديه خطوة نحو الكمال وقليلاً نحو القصة القصيرة ... فلا بأس بعد ذلك من ان يكون مكانه من تأريخ القصة القصيرة الفرنسية مكان مدام دلافيت (١٦٣٤ - ١٦٩٣) من القصة الطويلة (١) .

ويفهم من كلام الناقد المذكور أن القصة القصيرة *Nouvelle* بما يمكن ان يصدق ، وأن لها لون الحياة وطعمها وانها لاتقول كل شيء او تقرر النتائج كما تفعل الحكاية *Conte* وأنها عندما تنتهي لا ينتهي معها

- الغريبة » وقد نقله الى العربية يوسف عبد المسيح ثروة وصدر عن دار الرواد بدمشق ، وترجم ونشر في سلسلة ال ١٠٠٠ كتاب بعنوان « أعلام الفن القصصي » .

(١) ولا يعني ذلك الناحية النفسية من القصة ، لان أقاصيص مريمه خلو منها (تقرأ مقدمة طبعة *Pleade*) .

سير الحياة ثم انها لاتعلم ولا تربي ، واذا علمت ، فعلى طريقة القصة الطويلة أى بعرضها لمشاهد الناس وعواطفهم وأحداثهم - من دون تصريح بالمعنى (١) .

واذا كانت هذه الصفات قد وجدت فعلا عند مريمه ، فإنها ليست كل ميزات القصة القصيرة ، وليست أهمها ، واننا نستطيع ان نخرج مريمه عن القصة القصيرة الى الاقصوصة بالحجة التي أدخله بها بلانپان نفسها ، فقد جاء في كلمته : أن كاتب القصة القصيرة Nouvelle يقف على الساحل ويده الشص والشبكة وينحنى على المياه وعلى ملتطم الامواج أحيانا - ولكنه على الساحل ، عليه . بينما يلقي كاتب القصة الطويلة بنفسه في صميم المجرى مثل سباح ماهر يغشيه الموج وقد يلطمه المجرى أو يدفعه أو يجرفه (٢) . وهى تفرقة جميلة على ان تكون بين كاتب ال Conte في الاقصوصة من جهة وبين القصة الطويلة الحديثة Roman او القصة القصيره الحديثة من جهة اخرى لان رجل الساحل كاتب اقصوصة - ومثله مريمه ال Conteur اما كاتب القصة القصيره Nouvellist (٣) فأكثر منه ، انه - مثل كاتب القصة الطويلة - يلقي

(١) كتب مارك بلانپان Marc Blancpain هذا الذي نذكره عنه في مقدمته للطبعة التي صدرت عام ١٩٥٣ لمجموعة من Nouvelles مريمه عن دار Hachette في مجموعة Flambeau .
(٢) لعل بلانپان قد أخذ التشبيه عن تيوده

Albert Thibaudet — Histoire de la Litterature Francaise de 1780 a nos jours , Paris (Stock) , 1936 p.211
وقد كان پير رشاد أكثر أمانة اذ نص على تيوده وهو يقدم للمختارات التي نشرتها Classique Larousse عام ١٩٢٨ كما ذكر مصادر اخرى لا يستغنى عنها من يريد التأليف في ال Nouvelle الفرنسية .
(٣) كاتب ال Nouvelle وهى بالانكليزية Short Story

بنفسه في صميم المجرى . . وكل فرقه عن هذا الاخير أنه يكتفى من هذا
الخصم الزخار بدفعة واحده . . دفعة واحدة ويبقى التيار بعده يجرى
ويجرف أصحاب القصة الطويلة .

ذلك ان القصة القصيرة موجة من خضم الحياة الراهنة وقطعة من
المجتمع الصاحب ، وهي تجربة صغيرة أو جزء من تجربة كبيرة فيها
صفحة من النفس الانسانية ، النفس الانسانية ؛ لان الجانب النفسي مهم
جدا في القصة القصيرة بالمعنى الدقيق - وهو مهم ، أهميته في القصة
الطويلة الحديثة ، وكل الفرق بين الاثنين أنه في القصيرة يمثل طورا
واحدا من أطوار النفس . والعناية بالامور النفسية تقلل من شأن الحادثة
وتقلل من مكانها الذي تحتله في الحكاية . كما ان القصة القصيرة الحق
اكثر جدا واكثر صلة بالمجتمع وواقع الانسان في مجتمعه ، ولكي يهبها القوة
والحياة ويبعد بها عن أن تكون هيكل عظميا Squelletes يلعب به ذكاء
الكاتب ويعبث وهمه . لئن كانت القصة الطويلة الحديثة جسما فان القصة
القصيرة الحديثة عضو حي من هذا الجسم : انها قلب تارة وعين تارة . . .
ومعدة تارة اخرى . .

فأين من هذا أقاصيص مريمه - رجل الساحل المتفرج ؟ اين خضم
الحياة ؟ وأين أطوار النفس (1) . انه لمن الصعب ان تجد للقصة القصيره

(1) من أبرز صفات أقاصيص مريمه ضعف الجانب النفسي ، وفي
مقدمة مهمة للمجموعة التي صدرت في سلسلة Pleade دراسة قيمة
لهذه الاقاصيص ، ونص على هذه الناحية ، وقد تشير هذه المقدمة الى
اقصوصة نفسية ! ولكنك تقرأها فلا تجد الحكم قاطعا ولا تجد النفس
حير .

بالمفهوم الصحيح ممثلاً عند الفرنسيين ، وانهم يتعبون إذ يعملون على
تحديدها في ضوء اتجاهاهم ولا ولن يبلغوا صميم الحقيقة ولا ولن يجدوا
ما يقولون فيها مالم يخرجوا عن دائرتهم الضيقة الى انظرون تشيكوف
(١٩٦٠ - ١٩٠٤) حيث يجدونها على أحسن ما يكون فيجدون سعة
للقول ومجالاً للاجادة .

وشيء آخر يجب أن نعلمه من أمر القصة القصيرة الناجحة هو
أنها ليست قصة طويلة مقصرة مركزة لأن الحياة شرط في الاثر الأدبي
وشروط في القصة القصيرة ، اما انك اذا لجأت الى قصة طويلة واختصرتها
في صفحات معدودات فانك افقدتها الحياة وجعلتها هيكلًا عظيمًا بلا لحم
ولا دم (١) .

ان هذا التطور الذي أصاب القصة القصيرة في القرن التاسع عشر
هو التطور الذي أصاب القصة الطويلة Roman (وفي الانكليزية Novel)
- وان كانت بوادر التطور في القصة الطويلة أقدم فكانت - عند الفرنسيين -
الاميرة دكليف وأدولف ومانون لسكو . . . حتى اذا بلغت القرن التاسع
عشر - أو نصفه الثاني - ان أردت الدقة - لقيت كتاباً كباراً مثل فلوير
وبالزك وستندال (٢) .

(١) وقد اتبته محمود تيمور الى ذلك وهو ينقد الاقصوصة المصرية
ص ٤٧ من كتابه فن القصص ط (٣) سنة ١٩٤٨ ، وينظر له « دراسات
في القصة والمسرح » القاهرة ١٩٥٧ . واتبته اليها كذلك عبدالحميد جودة
السحر في مقدمته لهزات الشياطين ، القاهرة ١٩٤٦ .

(٢) وهناك ضرب آخر من القصص هو ال Recit ولك ان
تسميه « القص » أو « القصة » بفتح الصاد ، ذلك لانه لا يلتزم قواعد
القصة ، انه عرض وسرد ، ان فيه من القصيرة شيئاً ومن الطويلة شيئاً

ونعود هنا ، لنقول ان هذا القصص لا يمكن أن يستغني عن الخيال أبدا ، ولا ولن تجد قصة ناجحة من دون خيال ، ولكنه الخيال الذي يؤلف بين أجزاء الحقيقة ، والذي يخدعك عن نفسك فيريك حقا ماترى وتقرأ - وما هو في كل اجزائه بذلك .

على أن كلمة Roman هذه لم تكن في الاصل على هذا المفهوم ذى الصلة القوية بالجد والواقع والنفس والمجتمع ... انما نشأت - اول مانشآت في مدلولها القصصي - في أحضان الحكايات (١) .

وهكذا تتداخل الاشكال ويصعب التمييز بينها ، ولا يكفي الطول ولا القصر دليلا في الحكم على النوع ، ان زدديك فولتير (٢) لا يمكن ان تكون قصة طويلة أو قصيرة انما هي Conte من طراز الاقصوصة وانك لترى فيها جفافا وخيالا ذكيا ، وتحس ان المؤلف يسحب كما يريد خيوط - قراقوزه « ويحل عقده كما يشاء (٣) » « كأن لم تكن هناك حكومة » .

دون ان يكون قصة بالمعنى الرسمي ، ولئن كانت آثاره بعيدة فان الحديث منه يتصل بالواقع وفيه تحليل نفسي ، ومن الناس من يستعذبه ويدعو له ويعده من أرقى الالوان . ولعلك قرأت لاندرد جيد « الباب الضيق » أو « مدرسة الزوجات » - وكلتاها من مترجمات الكاتب المصري . وقد قيل ان جيد لم يكتب - على كثرة ما كتب - الا قصة واحدة هي « مزيفو العملة » أما الباقي وهو كثير وعديد فقص . ومن ال Recit¹ .
ومنه في العربية : الايام وعلى هامش السيرة وزهرة العمر ...

(١) ينظر - مثلا Vincent .

(٢) ترجمها طه حسين في العدد ٢٣ (اغسطس ١٩٤٧) من

المجلد ٦ من مجلة « الكاتب المصري » .

(٣) ينظر بلانپان في مقدمته على اقصيص مريمه طبعة هاشت .

كما ان الطول الخارق الذي تتمتع به « بانسو فيكتور هيگو » لم يجعل منها قصة طويلة أو قصيرة - انما هي اقصوصة طويلة أيضا . ولهذا رأيت من الكتاب الانكليزي من يذكر « القصة القصيرة الطويلة

Long Short Story ويذكر من أمثلتها

The Turn of the Screw by Henry James
Stevenson's Dr. Jekyll and Mr. Hyde كلمة ويذكر ٤٠٠٠٠

The man without a country ويذكر

وقد بذلت الجهود وما زالت تبذل في سبيل تحديد هذه المسميات

Recit ' Roman ' Nouvelle ' Conte وما يقابلها في اللغات الاخرى

وقد بلغت محاولة « بو » كما تكلم موبسان على ال Roman (١)

ولا تكاد تجد قاموسا حديثا او كتابا في تاريخ الادب يغفل هذه المحاولة

وربما كانت محاولة أندره موروا أحدث هذه المحاولات ، وعلى ما هو عليه

موروا في النقد والقصص ، لم يستطع ان يهتدى في « حواراه » الى

تحديد واضح يدل على ان الفروق واضحة في نفسه (٢) .

في كثير من هذه المحاولات شيء من العبث ، لان التحديد غير

يمكن ، وانك ماتكاد تفتح كتابا يبحث في فن القصة حتى يطالعك بـ

« من الصعب تحديد القصة » (٣) . والمحاولات هي اعمال نقاد اكثر منها

أعمال منشئين أو قارئين لان المهم في الامر هو الاجادة . وليكن بعد

(١) في مقدمة قصته Pierre et Jean وذلك في ايلول ١٨٨٥ .

(٢) ١٨ تموز ١٩٥٧ من « مجلة » Les Nouvelles

Litteriates وفي العربية حاول محمود تيمور التحديد وذلك في مقاله

« فن القصص » ينظر كتابه « فن القصص » ط ٢ القاهرة ١٩٤٨ او

كتابه « دراسات في القصة والمسرح » ، القاهرة ، ١٩٥٧ .

(٣) Jean Pouillon — Temps et Roman , Paris

(Gallimard) 1946 .

ذلك ، الحجم ما يكون ، وليكن الطابع الغالب الجد أو الهزل أو الخيال ... أو ... ما يكون . ولهذه الاجادة شروط عديدة يملها النقاد في العرض والعقدة والحل ، وفي التسلسل بالاحداث وفي رسم الاشخاص والمناظر ، وفي التحليل النفسي وفي صلة الحادثة برغبات القارىء القريبة والبعيدة ومدى اعرابها عن مشاعر انسانية عامة ... ثم في اللغة والاسلوب ، وهم يقدمون للقراء ولمن يعجبهم ان يكونوا قصاصين «وصفة» طويلة من الادوية : أولا - ثانيا - ثالثا - الخ ويطلبون اليهم ان يشربوا هذا في الصباح ، قبل الفطور وذلك بعد الغداء بنصف ساعة ، أما الاقراص فقبل النوم بدقيقتين فقط .

ونحن لا ننكر جدوى هذه الوصفات ، ولكننا ننكر على الناس ، ولاسيما على الناشئين من العراقيين ، هذه العناية الزائدة التي يخصون بها شيئا خارجا عن طبيعة الاشياء . وننكر عليهم انهم يقرأونها للتبجح المزيف وللخلط بين الوسيلة والغاية ولا تجددهم يقرأونها للعلم بالشيء والاستفادة من الممكن . انهم ما زالوا - أو مازال الكثير منهم - يعتقدون ان درس النقد الادبي بعلم الطالب كيف يكون قصاصا - مثلا !

القصة - شأن كل لون انشائي فني - تقوم على موهبة خاصة لدى المرء في السرد والوصف والملاحظة ... والخلق والتحليل والتخيل .. وأول مايقوم هذه الموهبة قراءتك للآثار القصصية الخالدة ، ثم محاولتك الكتابة ، وهنا تتكشف لك نفسك وتكتشف نفسك وتميز شخصيتك وأصالتك وتعلم ان للقصة القصيرة فنا - أو سرا ان شئت ، له صلته بالبناء وطريقة السرد ولو كانت من غير فن ومزايا خاصة جوّد فيها - كل ناعق ولحسبنا الكثير بما نقرأ على انه قصص ، قصصا - وهيهات .

انما نريد ان نقول ان من أوهم الشباب ايضاً تفصيلهم القصة الطويلة على القصيرة ، وان الكاتب منهم ما يكاد يشق طريقاً في القصة القصيرة حتى يبدأ يحلم بالطويلة ، وقد يزج نفسه فيما لا يجيد وما لا يتهيأ له . وليس هذا الوهم وهما عراقياً حسب انما هو وهم أوربي ايضاً وطالما ذمه النقاد الفرنسيون - مثلاً .

لا ، ليس المهم ان تكتب قصيرة أو طويلة انما المهم - كما هو المعقول - ان تجيد ، أو انك تكتشف نفسك فتعمل على دعم مجالى شخصيتك و منافذ تفوقك . وأعجب منك ذلك الذي زاول القصة وتقدم فيها تقدماً ملحوظاً ، ولكنه لم يلبث حتى جرفه تيار خطأ صور اليه ان النقد أفضل من القصة وأنه ذو المكانة الاولى في الادب ، لان الناقد هو الموجه والقائد ، أما القصاص فهو الموجه (بفتح الجيم) والتابع وهكذا ضيع صاحبنا المشيتين - كما الغراب . أرجو ان تكون أعرف بنفسك من سواك وأكثر ثقته بها فيما تريد وتدبر ولا تهتمك بعد ذلك « المودات » التي تشيع على أساس وعلى غير أساس . ان القصة مهمة ، والشعر مهم والنقد مهم ايضاً ، ولكل صاحب . فدونك وإياك .

ان للقصة الطويلة أعلاماً في مغارب الارض ومشارقتها ولك ان تذكر دستوفسكى وديكنز وستندال وبلزاك ... الخ . وتستطيع ان تعد العشرة والعشرات في كل أمة ، فكم هم الكبار في القصة القصيرة ؟ مهما « تساهلت وتساهلنا » لم نستطع ان نزيد على اصابع اليد : تشيكوف في ، او على رأس هذه النخبة المختارة فقد تهيأ لهذا الرجل من المواهب ما لم يتهيأ لسواه ، انك ما تكاد تقرأ له الصفحة والصفحتين حتى تستعظمه اذ تجد نفسك ازاء جبار يعرف كيف يخلق من توافه الاحداث اليومية وتوافه الخلق البشري آثاراً رائعة يعجب بها كل قارئ أياً كان جنسه وأية كانت نحتله .

ومن الاسرار الظاهرة لتفوقه : مفهومه لبناء القصة ، ومهارته في العرض وقدرته على اختيار الموقف الضيق ذي الدلالة الواسعة والطابع الاجتماعي والاثر النفسي مما يجد فيه القاري شيئاً من نفسه وقراءة لها ، فيبقى أثر هذه الصفحات القصار التي تقرأها يلازمك أشهراً ثم سنين ولا ولن تنساها . ان كل صفحة غذاء العمر الطويل . ومن اسرار النجاح ، قرب الكاتب من قلوب القراء وعطفه على آلام الآخرين وحبهم لهم (١) ثم مايشيره في نفس القاري من عطف وعجب من النفس البشرية (٢) .

ان أدب تشيكوف نبض حي من الحياة ، تحركه كل الدماء التي تجري في شرايينها وأوردتها ، حتى قال الكاتب الكاثوليكي دانييل روب بأنه لم يكن معنيا ببلوغ الحقيقة لما تنعكس على المرأة ، انما كان همه أن

(١) تنظر مقالة Virginia Woolf عن القصة الحديثه في كتاب English Critical Essays selectad by Phyllis M. Jones, Oxford university prsse , وقد اختار مقاله ونقلها الى العربية رشاد رشدي في كتابه « مختارات من النقد الادبي المعاصر ، القاهرة (مكتبة الانجلو المصرية) . كما نقلها يوسف عبد المسيح ثروة في كتابه « فن الادب » ، دار الكاتب العربي ، بيروت . ومما يذكر انها كتبت مقالاتها هذه عام ١٩٢٥ .

(٢) مادة « القصة القصيرة » في :

Oxford Junior Encyclopedja , vol. XII , 1954

بعرضها كما هي (١) . بل ان القصص نفسه « كان ... يقول للكتاب الناشئين : لا يجوز للكاتب ان يجلس بين أربعة جدران ، وأن يستل المواضيع من ذاته ، بل عليه ان يرى الحياة والناس ويلمسهما ، وعليه ان يستمع الى احاديث القوم كما هي ، لا كما يتخيلها ، وان يسعى دائما الى الاسفار والاحتكاك بمختلف العناصر والشعوب ، ونصح الكاتب مرة أحدهم بقوله : سافر الى اليابان ... سافر الى استراليا ... أجل تخط حدود بلادك الى اوربا حتى اذا عدت شعرت بأنك تقف على تربة آسيوية ! .. وبعد ذلك ارجع الى منزلك ... وانت تحمل الشيء الكثير من المواد والمعلومات ، بل الكثير من القصص ! .. ونصيحتي اليك ألا تجلس في القطار الذي تسافر فيه الا في عربات الدرجة الثالثة (٢) ... » .

واذا اضطرت القيم وتلاطمت التيارات عن يمين وشمال وراح اصحاب الآراء والنظريات والفلسفات يملون على الادباء ان يفعلوا كذا ، ويقولوا كذا .. وقف تشيكوف ثابتا يمتحن الموقف ولا يستجيب لغير نفسه فلم يقبل كل شائعة ولم يتبع كل ذائعة (٣) . والفن مانع في نفسك

(١) بما يفهم من المقدمة التي كتبها (Daniel Rops) عام

١٩٤٦ لمجموعة ضمت ستاً من قصصه بعنوان Le Moine Noir وقد ترجمها الى الفرنسية Gabriel Arout وصدرت في باريس عن مطابع Flore .

(٢) عن ص ٣٢-٣٣ من الكتاب الذي ألفه نجاتي صدقي عن الاديب ونشرته دار المعارف بمصر عام ١٩٤٧ في العدد الـ ٥٠ من سلسلة اقرأ .

(٣) قرأت مثل هذا في كتاب عقد على الاديب الفته بالفرنسية كاتبة لا يحضرني اسمها .

بفعل الحياة ولم يكن استجابة للأمر والنهي والطمع الرخيص بالشهرة
وارضاء القاريء أو الناقد ؛ وما ينبع عن الحياة يبقى حيا حتى بعد زوال
المظهر الذي أوحاه ، ويرى الخلف في هذا المظهر الذي أجاد السلف
وصفه متعة هي متعتنا بالتاريخ القديم تراه بعينك ، ثم ان هذا الذي
توجيه الحياة ينطوي حتما على عناصر الوجود وجوهر الشيء ، وهذه هي
هي على اختلاف الزمان والمكان .

ان حياة هذا الاديب على قصرها (١٨٦٠-١٩٠٤) مليئة بالتجارب
التي عاناها في نفسه وفي مجتمعه بين الفقر والامراض والآلام
النفسية دون ان يجره شيء من ذلك الى اللؤم واخلاق اللؤماء ، انما
ظل كريماً طيباً يحب الطيبين . واذا كانت الكتابة من الصفات التي
تغلب على قصصه ، واذا كانت هذه الكتابة تقرب أحيانا من اليأس ، فانك لتلمح
بأن هذه الكتابة بما يهذب الطبع وينبه الضمائر من غفوتها أو غفلتها ،
ونلاحظ - كما لاحظ دانييل روب ان « يأسه ليس مغلوفا على نفسه او
مستقطبا على هوة ذاته ، ولكنه مفتوح عن شيء أكثر تأسيا ومتجه نحو
هدف » .

واذا علمت انه كان طيبا يداوي الناس عرفت كيف ان الموهبة
الصادقة تشق طريقها، وعرفت كيف انها تستغل كل شيء في سبيل ظهورها
ونبوغها . واذا علمت ان القصة القصيرة لم تكن محترمة يوم بدأ يكتبها ،
عرفت كيف تتحدى الموهبة الصادقة المؤلف وتفرض نفسها على الانسان
والتاريخ . حدث في خريف سنة ١٩٠٢ ان زاره في بيته - وهو مريض -
جماعة من الادباء فكان مما قاله لهم : « انكم محظوظون يا كتاب اليوم ،
فالناس يخلعون عليكم آيات الثناء على ما تقدمونه لهم من قصص قصيرة .
أما أنا فقد مرى زمن كان الناس فيه ينهالون على بالشتائهم لاننى أكتب

القصة ! ، . لأنهم كانوا يعتقدون أن الكاتب لا يكون موضع الاحترام والاعتراف بالجميل إلا اذا وضع رواية كبيرة ! . . غير انني بينت عمق هذه الفكرة وخرقت الحائط بجيبي من أجل القصص القصيرة (١) .

وهكذا كانت آثار تشيكوف هي المثل الأعلى للقصة القصيرة أما سواها فقد ظلت حكايات أو بقايا حكايات - اقاويص - ان شئت . ولهذا رأيتني احدثك عنه إذ لا مفر من ذكره ، وكل حديث عن القصة القصيرة لا يعنى به كان ضرباً من العبث واضاعة الوقت (٢) .

اقرأ في أية لغة تعرفها ، الانكليزية ، الفرنسية ، الالمانية . . . وحتى العربية (٣) ، ولا شك في انك ستواصل ثم يتكون لديك المفهوم الصحيح للقصة القصيرة الحديثة الناجحة ثم حاول الكتابة وستجد نفسك وتجد منهجك الخاص .

إن هذا الرجل الذي أبدع هذا الابداع في القصص القصيرة ، والقصيرة جداً ، لم يحاول أن يكتب قصة طويلة شأن معاصريه ، وانه حين حاول أن يخرج عن العدد المحدود ، المحدود من الصفحات . . . الى العشرات لم ينجح كما يجب ، وربما جاءت قصته شبه الطويلة أشبه بمجموعة من قصص قصار - أقرأت له « القاعة رقم ٦ » - مثلاً ؟

(١) نجاتي صدقي في العدد الـ ٥٠ من اقرأ ص ٤٤-٤٥ .

(٢) العبارة مستوحاة من كلمة Virginia Woolf .

(٣) ترجمت مجلة « الرواية » التي كان يصدرها الزيات عدداً من

قصصه . وألحق نجاتي صدقي طائفة من القصص في العدد الـ ٥٠ من اقرأ ، وشرعت دار اليقظة العربية بترجمة أعماله الكاملة وأصدرت الجزء الاول والجزء الثاني .

ولم يكن تشيكوف في ذلك بدعا ، فمن قبله كتب موبسان أكثر من قصة طويلة (لعلها ثمان) ولكن هل قرأت له « حياة » مثلا ؟ انها لفيف مفروق من عدة حكايات ، ويظهر أن شيئاً من هذا الذي يلاحظه قارىء موبسان اليوم لاحظته قارئه أمس ، وربما أذى موبسان ذلك وأثاره ، ولعله كان الباعث لثورته على النقاد : « لست الوحيد الذي وجه اليه نفس النقد ونفس السبب كلما ظهر له كتاب جديد . . . ان أكبر عيوب هذا الكتاب هو انه ليس قصة بالمعنى الصحيح . . . واستطيع أن اورد عليهم بالحجة عينها : « ان أكبر عيوب الكاتب الذي يشرفني بالحكم عليّ هو أنه ليس ناقداً (١) » .

كانت لسكي دموبسان دولة ، وما زالت قائمة خارج فرنسة ، وكان من أماني تشيكوف أن يكتب مثل موبسان ، ولكنه لحسن حظه لم يكن موبسان ثانياً ، إذن لأصابه ما بدأ يصيب موبسان من اعياء واملال وانصراف النفس عنه وعن فنه الذي يغلب عليه الاصطناع والافتعال ، وتعتمد غرابة الاحداث وغرابة الاطوار وعناصر المفاجأة ومغريات الشهوة وألعاب الذهن . وقلما عاش لموبسان أثر في نفس قارئه . إنك تشعر وأنت تقرأ موبسان أنه مشدود إلى عصره وإلى مكان بعينه وأنه لا يملك القوة التي يغزو بها كل نفس وكل زمان ومكان .

ومن عجيب ما يراه دارس موبسان أن قصص الرجل مقروءة عند الأجانب أكثر مما هي مقروءة عند الفرنسيين انفسهم . وفي الوقت الذي احتفلت امريكا بمناسبة مرور مئة عام على ولادة موبسان ، لم يعن الفرنسيون

(١) من مقدمة Jean et Pierre

بذلك وقد أبدى كثير من نقادهم استغرابه لعناية العالم بموبسان وربما وجد بينهم من سخر منه ومن فنه وأنكر عليه عناصر البقاء والخلود .

ويظهر ان الفرنسيين يقرأون قصص موبسان الطويلة اكثر من فراءتهم أفاصيصة . ويعلل بعضهم هذه الظاهرة - ازاء موبسان أو ازاء القصة القصيرة اطلاقا - بأن القصة القصيرة لاتنسجم ومزاج القارىء الفرنسي . ولايعنى هذا - على أى حال - ان الفرنسيين لم يكتبوا القصة القصيرة - أو لا يكتبون . وبالامكان عد العشرة والعشرات من الاسماء ، ولكن على غير جدوى ، لان الذي يكتب يذهب مع الريح ، ولانك قلما تجد كاتباً كبيراً يزاولها على انها فنه الاول . وقد وضعوا اخيراً جائزة للقصة القصيرة وقد نالها جان جاك گوتيه ولكنك تفتح كتابه وتقرأ مقدمته فتعلم انه بدأ الكتابة مبكراً وان هذه القصص من آثار شبابه وانه كتبها لان الحكايات القصار لا تستدعي جهداً كبيراً متصلاً (١) .

وحاول آخرون ممن عرف بالقصة الطويلة ان يكتبوا القصة ، ومن هؤلاء ستندال ، ولكن قصصه القصيرة ليست شيئاً ، ولم يستطع ان يعلو بها درجة مناسبة ، ولو لم تكن هذه القصص من عمل مؤلف « الاحمر والاسود » لما سمع بها أحد ولما عنى بها أحد . وقريب من أمر ستندال أمر « بلزك » ومن الصعب ان تبلغ أفاصيص فلوير الثلاث - مهما وجدت من معجبين - مبلغ مدام بوقارى - مثلاً .

وقد تنبه الى هذه الظاهرة كاتب مقالة القصة القصيرة في دائرة المعارف البريطانية (ط ١٦) ، ولكنه ذكر ان Scott's wandering Willie's Tales and Dickens ' Achils ' Dream of a Star

Jean Jacques Gautier — Vous Aurey de mes (١)
Nouvelles , Paris , Julliard , 1957 .

أمثلة بارزة على الشذوذ لهذه القاعدة . ثم ذكر عددا من الأدباء من أساتذة القصة القصيرة لم يكتبوا طويلة : بو ، موبسان ، یرت هیارت ، جی . دبلیو کایل ، أو هنری .

وقال كاتب « القصة القصيرة » في دائرة معارف اكسفورد : لا يوجد في القصة القصيرة كاتب انكليزي له من التفوق مالماساذي الفن العظيمين : موبسان وتشيكوف ، انما يوجد عدد كبير من القصص القصيرة في مختلف الاشكال مثل حكايات كبلنك وكانون دوويل ، اج . جی . ويلز وكاترين مانسفلد وكوبارد ؛ وقال انك لاتكاد تجد كاتباً للقصة الطويلة في المئة الاخيرة لم يكتب كذلك قصصاً قصيرة ، ومن اشهر هؤلاء الاعلام الذين برزوا في النوعين : كونراد ، روبرت لوسی ، ستيفنسن ، هنری جيمس ، جيمس جويس ، دی . اج . لورنس ،

ان مثل هذا الكاتب مثل ذلك الاستاذ الفرنسي الذي اعترف ان ليس في أدبه مثل شكسبير فتألم فاستدرك وقال : ولكننا نستطيع ان نجتمع من هذا الاديب الفرنسي وذاك ما يساوي شكسبير - وكلا الكاتبين على حظ من العبث .

وقد علل پول موران (١) تأخر القصة الانكليزية القصيرة عن الطويلة بأمور منها ان الانكليز يحبون السعة ولا يحبون ان يقرأوا ما بين السطور ، وانهم بطيئون في التفكير وفي الفهم ، وأنهم - أخيراً - لا يعنون

(١) Paul Morand في المقدمة التي كتبها لـ Union Jack

وهي مجموعة من القصص الانكليزية القصيرة صدرت مترجمة الى الفرنسية عن Gallimard في سلسلة « بعث القصة القصيرة » عام ١٩٣٦ ، ط ٣ .

كثيرا بالكيفية التي ينتهى بها أثر أدبى ، وبالمزايا الشكلية لهذا الاثر أو بشدة الأسر .

وحين أشار پول موران هذا ، الى بعث القصة القصيرة في انكلترا منذ نهاية القرن التاسع عشر ذكر ان الذين اسهموا في هذا البعث لم يكتوتوا انكليزيا خلصا : فهنرى جيمس فرانكو - اميركى ، وآر . الى . ستيفنس فرانكو - اكوسى وكونراد انكليزي - سلافى ، وكبلنج انكليزي - هندى . ويكاد يجرننا پول موران الى بحث « القصة القصيره » ونفسيات الشعوب ولكننا لانريد ان تدخل في هذا النقاش لانه طويل .

ونحن اذ نتحدث عن ندرة القصة القصيرة عند الانكليز او غيرهم انما نعنى ندرة الجيد والخالد ، أما اذا قصدنا الى الكمية ، فما كتب عند جميع الامم - وما يكتب ، كثير وكثير جدا ، وليس من المعقول ان يعدم ما يكتب قراءا ، انما الملاحظ ان هذا الذى يكتب يقرأ مرة واحدة ويرمى كما ترمى الجريدة اليومية ، فكأن الغاية الاولى منه التسلية العابرة : تسلية للمؤلف لانه لا يكتب ما يكتب الا عندما يتعب من عمله الاول وهو يؤلف القصة الطويلة أو المسرحية أو القصيدة ؛ وتسلية للقارىء لانه لا يقرأ ما يقرأ الا في الفرص القليلة التي تنهيا له خلال عمله المتصل وذلك في اوقات الطعام أو الانتقال والسفر ، ومعلوم ان الانسان غير مستعد لان يقرأ قصة طويلة تتطلب انتباها متصلا مستمرا في مثل هذه الاحوال ، انما يحتاج الى وحدات قصيرة - تنتهى عندما تنتهى فرصة غدائه او عندما تصل به السيارة الى المحطة التي يسكن فيها .

وما يكتب هكذا ولهذا ، يشجع على مزاوله القصة كل امرىء وامرأة من كان ومن كانت ولا سيما المبتدىء والمبتدئة ، وما كان هذا حاله فقد

عناصر الدوام والبقاء . وأصبحت الجرائد والمجلات عاملا جديدا في هذه السرعة وفي هذه الكثرة ، ويهم الجريدة ان تملأ صفحاتها بكل سبب ولو أداها ذلك الى تبني حجة تشجيع الشباب وتقوية الاقلام الناشئة وتنمية المواهب الغضة ، والقارىء اليومي يقرأ كل شيء - ولا تخلو قصة من طرافة يومية تعبر عندما يعبر اليوم ، ولا يهمه الفن أبدا ، انما المهم الحادثة ولتأت بعد ذلك على هيئة تقرير يقدمه « شرطى » الى « مركزه » .

لقد اصبحت القصة القصيرة بابا دائما في الجرائد والمجلات حتى ان « بعض معاهد الصحافة الاميركية والاوربية تقوم بتدريس فن كتابة القصة القصيرة الى جانب تدريسها فن كتابة المقال الصحفي وغيره من الكتابات الصحفية (١) . وليس من الغلو الشديد ماروي عن سومرت موم - وهو الذي بدأ محاولاته في القصة القصيرة منذ ١٩٢٦ - من انه يرى ان الفضل الاول في انتشار الاقاصيص يعود الى المجلات اولا وأخيرا» وأنه يقول « ما من نوع من أنواع الفنون ينتج مالم يكن هناك طلب له . فلو ان المجلات لم تنشر الاقاصيص لما كانت الاقاصيص تكتب (٢) » .
وصحيح ان الصحافة وما تقتضي من افتعال وعجلة و « طلب وعرض » تفسد الفن في بعض جوانبه ، ولكنها تكون حافزا للكتابة ولتصيد الموضوعات المناسبة، وسببا لتوكيد الصفات الفنية لكاتب من الكتاب - فاذا

(١) جميل الحسنى في مقدمة الكتاب الذي ترجمه عام ١٩٥٦ في سلسلة ال ١٠٠٠ كتاب بعنوان « مختارات من القصص الانكليزية القصيرة » .

(٢) عن عبد الحميد جودة السحار في مقدمته التي صدر بها مجموعته « همزات الشياطين » .

لقيت موهبة وثقة بالنفس قدمت للعالم قاصا كبيرا ، ألم تكن آثار موبسان وتشيكوف من ثمرات الجرائد والمجلات .

وهكذا نرى أثر الصحافة في القصة القصيرة سلباً وإيجاباً ، ونرى مكان القصة القصيرة من نمط حياة العصر المعقدة فنرى بذلك مظهراً من مظاهر اهتمام المعاصرين بها . ومظهر آخر من مظاهر هذا الاهتمام هو هذه المجاميع من المختارات : « قصص من موبسان » ... مختارات من القصص العالمي ... « ٢٠ قصة من الأدب الأمريكي » ... الخ . ومظهر آخر هو هذا الاهتمام بالحكايات الشعبية ، ولا يمكنك ان تدخل مكتبة في الغرب دون ان ترى كتباً وسلاسل بعنوان « حكايات اغريقية .. فارسية .. مغربية ... الخ (١) . كما انك تجد كتباً اخرى خصص مؤلفوها شطراً من حياتهم لجمع المتناثر هنا وهناك من الحكايات الشفهية . ومن أحدث هذه المحاولات ما فعله في فرنسا Henri Pourrat في مجلداته الجادة بعنوان « كنز الحكايات » .

ان في هذه الحكايات كنوزاً ثمينة ، لان فيها المظهر الاول للفكر الانساني ، وفيها المظهر الاول للانسان الفنان ، وما أبدعه الانسان الاول عن فطرة وصدق يحفظ الخطوط السائدة للنفس الانسانية ويحتفظ بعناصر البقاء ، ثم ان فيه عنصراً لانستطيع اليوم ان تتوفر عليه ألا وهو عنصر البساطة والسداجة ، ولانظن القرن العشرين بحياته المعقدة بمستطيع ذلك ولا

(١) وبدأ العرب يفعلون مثل هذا ، وقد مر معنا عدد من المجاميع المترجمة ، ولندكر هنا سلسلة « قصص مختاره » التي تصدرها « دار بيروت » فكانت فيها قصص مختاره من الأدب الاسكندنافي ، الفرنسي ، الاسباني ، الصيني ... الخ .

تظنه بمستغن عنه لانه يجد فيه مخلصا من ضيق ماهو فيه ، وتسلية يخلو بها - وجها لوجه ، ازاء جده الاول .

تؤنس هذه الحكايات - أول ما تؤنس - الاطفال ، ولهذا كانت موردا عذبا لدور النشر الحديثة تنهل منها وتعب من دون حسيب أو رقيب ولمن عساها تدفع حقوق التأليف ؟ ان أفضل ما تقدمه عوضا عن هذا الواجب هو هذه العناية الفائقة بالاخراج والتزيين والطبع ... مما يجد فيه الاطفال متعة وغذاء - وفائدة .

ويخطيء من يظن ان الحكايات للاطفال فقط ، لانك مهما بلغت من العقل والتعقل ، نلتذ بقراءتها وتجد فيها البذرة الاولى للعقل الفلسفي عند الانسان - ان كنت تنشده العقل ، وتجد فيها المتعة الساذجة والخيال الساذج - ان كنت تنشده ذلك وتريد الهرب من تعقيد القرن العشرين وعوامل قلقه (١) .

وتهب الرياح

وتعبر الى الشرق العربي فنقرأ وترجم ونكتب القصة - لأول مرة كما كتبها الغرييون أو من تأثر بهم الغرييون (٢) . وتكون فينا المحاولة تلو المحاولة ، ويظهر بيننا الرائد اثر الرائد وقد اشتهر في القصة القصيرة تيمور وبرغ يوسف ادريس وما زلنا في هذا الدور وان بدا طويلا ،

(١) ولعلنا نتبه فنعلم شيئا مما عمله الغرييون ، فنحفظ بذلك تراثا انسانيا ونهيب لاطفالنا وشيوخنا ضروبا من المتعة والفائدة . ويكفي ان تكون لقصصنا نفحات من « ألف ليلة وليلة » ...

(٢) ينظر اسماعيل أدهم في كتابه « توفيق الحكيم » وعبد العزيز عبد المجيد في The Modern Arabic Short Story ومحمد يوسف نجم في « القصة في الادب العربي » القاهرة ، ١٩٥٢ ، ص ١٧٢ مثلا .

ولست المسألة مسألة وقت أو محاولات ... وخطوات الى الامام فقط ، انما
هى مسألة تهيؤ الموهبة المناسبة لهذا اللون من ألوان الفن ، اما في القصة
القصيرة فمحاولاتنا أكثر ، وقد هال الدكتور طه حسين اقبالنا على القصة
فقال : « القصص فن أدبي قيم ممتع ... ولكنه فن من فنون الادب
وليس هو الادب كله ، فما بال شبابنا يغرون بهذا الفن دون غيره من
الفنون . هذه ظاهرة تحتاج الى شيء من الدرس والتفسير ... » (١)
وعالج العراقيون القصة ، وولعوا بالقصيرة منها ، وكان لهم بين
الحين والحين شيء يقرأ ، ولكنه بداية البداية . والمؤسف في هذا الباب
هو ان الذين زاولوا هذا الضرب - على كثرتهم - لم يبدأوه كما يجب ،
او بمعنى أدق لم ينهوه كما يجب . ذلك أنهم بين مراهق مغرور
ما أسرع ما يتهاوى ؛ وشيخ جاهل لم تواته المطاوعة الفنية ؛ و « مصلح
صغير » يحمل هذا المخلوق الضعيف مالا يطيق من نظريات وأراء غريبة
عن طبيعة الحوادث وغريبة عن « تربية » الكاتبين وأمزجتهم وطران
معاشهم ؛ وبين مقلدين أعجبوا بهذا أو ذاك من أساليب كتاب الغرب
فراحوا يذيبون شخصياتهم وهم يمسخون . وبدأ آخرون بداية حسنة ثم
غيروا رأيهم في اللون الفكرى الذي « يجب » ان يعرفوا به .

اتنا لانريد ان تشاعم ، ولاسيما بعد ان قرأنا اكثر من قصة جيدة
لايمكن ان تكون قد جاءت عفوا دون مؤهلات فطرية ومقومات مكتسبة ،
أقرأت « عهد جديد » و « مجرمون طبيون » و « غثيان » (٢) انما
الذي نرجوه مخلصين ان يكثروا هؤلاء الكتاب من مطالعة الآثار القصصية العالمية

(١) من مقدمة لكتاب « ألوان من القصة المصرية » ، القاهرة

(دار النديم) ١٩٥٦ .

(٢) احدى قصص مجموعة « نشيد الأرض » لعبد الملك نوري .

وان يزيدوا من تجاربهم ويوسعوا من أفق حياتهم ، وأن يؤمنوا بقيمة ما هم فيه من قراءة وكتابة دون ان ينسوا أنهم انما يكتبون باللغة العربية وان لهذه اللغة حقوقها عليهم ... حتى اذا عرفوا ذلك وعرفوا صلاحهم ساروا على هدى ذاتهم غير ملتفتين الى هذا أو ذاك ، وعلى غير محاباة أو خوف أو تقليد . اننا نعتز بشبابنا المبدع ويشرفنا ان تكون لنا منهم مجموعة طيبة نباهي بها الامم ونقدمهم ليدخلوا في تاريخ الادب العالمي ويحتلوا بقصصهم مكانا من كتب المختارات . (١)

المعلم الجديد - كانون اول ١٩٥٧

(١) مما يذكر للامام بالمهم من فن القصة الطويلة ، التلخيص الذي عملته مجلة الآداب البيروتية في عددها الخاص بالقصة (كانون الثاني ١٩٥٤) للكتاب الذي ألفته الكاتبة البلجيكية Nelly Romau ونشر بالفرنسية منذ سنوات بعنوان Physicologie du Roman (فيزيولوجية القصة) . ووردت المراجع الانكليزية المهمة للقصة القصيرة في ذيل مادة Short - Story من الطبعين الاخيرتين لدائرة المعارف البريطانية ومن « قاموس المصطلحات الادبية » .

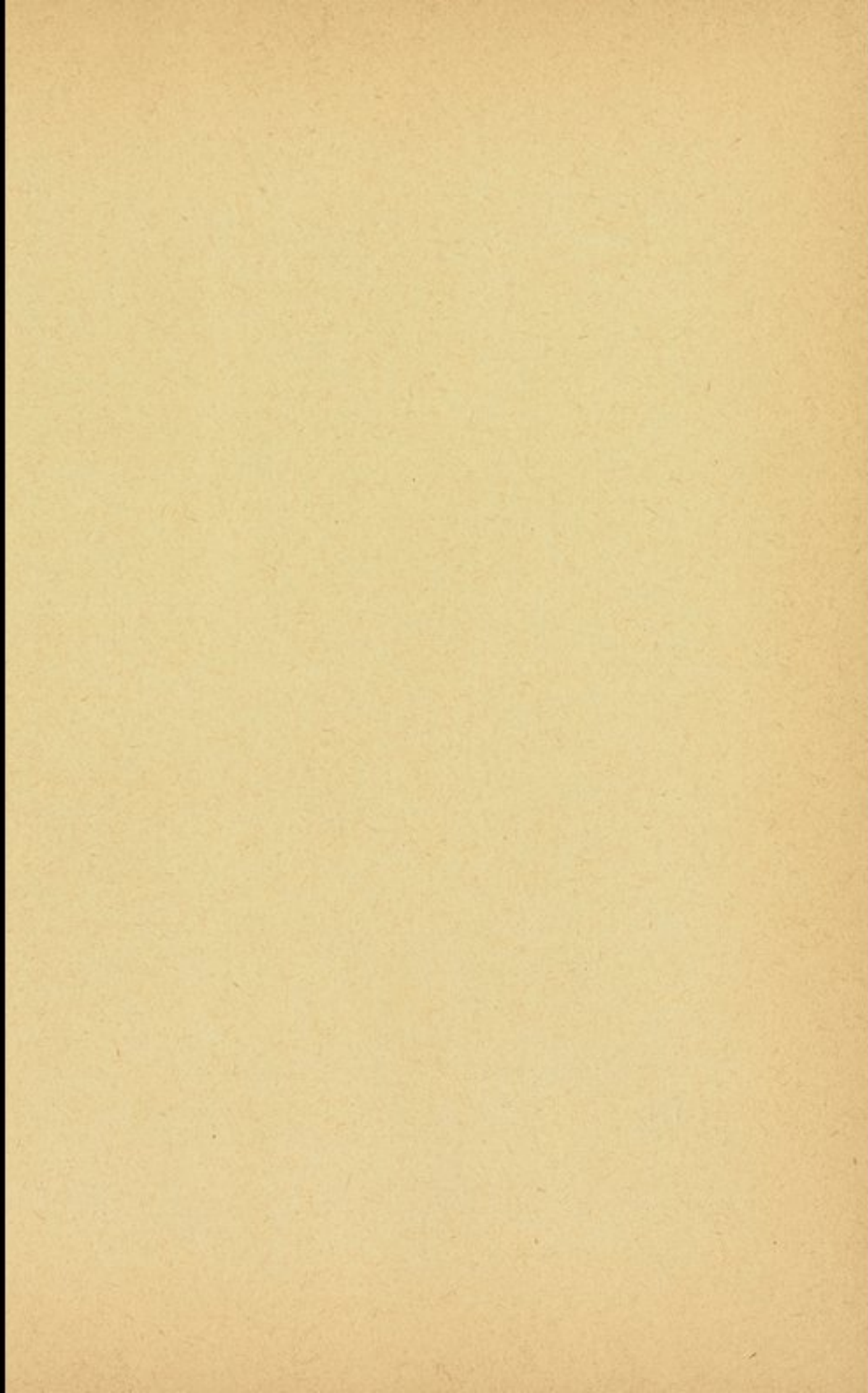
Handwritten text in Arabic script, likely bleed-through from the reverse side of the page. The text is faint and difficult to decipher but appears to be a continuous paragraph.

Handwritten text in Arabic script, possibly a signature or a specific heading, located in the middle of the page.

Handwritten text in Arabic script at the bottom of the page, possibly a concluding statement or a date.

(۲)

شہر حدیث و معاصر



اللوحة في « الشوقيات »

لم تكن الدراسات التي صدرت عن شوقي قليلة ، وقد ساد هذه الدراسات الطابع التاريخي ، فهنا حياته بين ميلاده ووفاته ، وهنا بيته ودمه ، وصلته بساسة زمانه ، وهنا مقابلة بينه وبين جافظ ، ومقابلة بينه وبين المتنبي ، وهناك وطنيته وعقيدته ، وهناك اغراضه في الرثاء والغزل والوصف والمديح ، الى آخره .

وقد الممت بشيء من هذا وذاك ، والممت بشيء من شعر شوقي ، وكلما بعد عهدي به .. قويت في نفسي خاطرة ، خاطرة خلاصتها ان التاريخ في الدراسات الشوقية غلب الفن وان ما حول النص منها اغرق النص .. وليس التاريخ فنا وليس الشعر تاريخا .

ويتباعد العهد ، وتقوى الخاطرة ، وتوضح وتبين : ان صفة شوقي الغالبة هي التصوير ، فهو رسام ، وهو يعمل بالريشة اكثر مما يكتب بالقلم ، ولا يقف هذا عند غرض الوصف ، ولو كان ذلك ، لما كان صفة غالبة ، انما هو شأنه في اغلب اغراضه .

ثم تمر على وفاة شوقي ست وعشرون سنة ، وتفكر مصر في تخليد ذكره ، وتطلب الي المشاركة ويحدد للتحضير ساعات محدودة ، لا تكاد تكفي لمحكوم عليه لان يدافع عن نفسه ، ذلك اننا لم نخبر بالمشاركة الا

قبل المهرجان باقل من اسبوع ، وكان علينا ان نهيب في هذه المدة
الوجيزة الف شيء وشيء ، وفي زحمة هذه الاشياء .. وزحمة ذلك الوقت
... عاودتني خاطرتي القديمة ، فعدت الى الشوقيات ، ورأيت - فيما
رأيت :

ان غير قليل من صور شوقي قد اوهنته الايام ، وافقدته شيئاً من
روائه ، وان شوقي كان يستعين بالمبالغة التي يتذوقها عصره ، فتشغله عن
الصور نفسها ، اولاً بأس - بعد ذلك لديه - ان تكون نتيجة للتعجب الارادي
القصدي ، وان من هذه الصور ما اكتنفته النثرية ، فتقطع في سلك
كلماتها تيار الوحي الصادق . وان وصف الطبيعة - ان احتل مكاناً من
الديوان - فانه ليس على درجة عالية . فقد غلب عليه الجفاف ، وساورته
النثرية ، وان كثيراً من لوحاته التي حاول ان يجمع على سطحها اكثر من
منظر واحد ، اقرب الى الكليشة والفوتوغراف منها باللوحة ، اي انها لم
تعن كثيراً بالاختيار ، وتراكت فيها الاحصاءات ، ولم يميز فيها بين
ما يؤخذ وما يترك في التفصيلات . هذا ما بدا لي ، ولكن الكلام عليه
يخرج قليلاً عن مجال المهرجانات . ثم انه - ان كان صحيحاً ، لا يحول
دون دراسة الصورة عند شوقي ولا يحول دون العثور على صور تستجد
وتستلمح مما يبرر الدراسة ، ويقف الناقد والقارىء على آثار نبيلة ، فيها
براعة ، وفيها قوة ... وجدة وابتكار ، ... ونظرب الحاسة الفنية ،
وتبعثها على الاعجاب بالاثر ، وعلى الاعجاب بالشاعر .

اجل ، ان الصفة الغالبة في شعر شوقي هي التصوير . وكان هم
النقاد القدامى ينحصر بالجزء الصغير من الصورة مما ينطوي عليه البيت
الواحد . وكان أثر هؤلاء النقاد ظل قائماً في دراستنا الحديثة ، فما رأينا

عناية كافية بالصورة وباللوحة - وهما اوسع من التشبيه والاستعارة . ولا
يعدم البلاغي ان يجد عند شوقي امثلة كثيرة . على مفردات بحثه ، بل
انه ليستطيع ان يجد امثله ناجحة واكثر من ناجحة : ألم يكن شوقي هو
القائل : -

لله انت فما رأيت على الصفا هذا الجلال ولا على الاوتاد
والقائل :

هذا فضاء تلم الريح خاشعة به ويغشى عليه الدهر محتشما
والقائل :

فأعرض عن قواده الجندشاردا وعلمه قواده كيف يهرب
يكاد الثرى من تحتهم يلج الثرى ويقضم بعض الارض بعضا ويقضب
والقائل :

أقام على الشفاه بها غريبا ومر على القلوب فما اقاما
والقائل :

جرى وصفق يلقانا بها بردى كما تلقاك دون الخلد رضوان
والقائل :

وطني لو شغلت بالخلد عنه نازعتني اليه بالخلد نفسي
والقائل :

والحرية الحمراء باب بكل يد مزرجة يدق

لقد قال شوقي كل هذه الروائع ، وتترك للبلاغيين من أهل البيان
والمعاني ... امر العناية بها .. ونسير ، فما كانت غرضنا الاول - مهما
تدل هذه الجزئيات على المخيلة

ان غرضنا الاول هو البحث عن اللوحة ، او بمعنى ادق ، عن اللوحة
المختارة - اي الصورة التي لاتقف عند الجزء ، وانما تستقصي الاطراف

وتلقت الى دقائق التفصيلات ، عارضة وحدة - او وحدات صغيرة -
رأها الشاعر حقيقة نابضة في مخيلته ، وبراها القارىء وحدة مستكملة
الاعضاء ، منسجمة التلاوين ، فتثير فيه شعورا يشبه الشعور الذي يبعث
« الرسام » على النظام والتجويد ، وتوحي اليه أشياء اخرى يضيفها عليها
من نفسه ومن ظروفه ، ويقترب الاثنان كلما اقتربت المخيلة ، وكلما
تقاربت الظروف النفسية .

ونستعرض حياة الشاعر ، ونستعرض شعره ، ونبحث عن اطوار
النعيم ، واثار حفلات الرقص والقصف ، وانعكاسات البلاط .. ونبحث
في الذي نظمه ليسجل هذا الطور في حينه ، فلا نجده موفقا . وتسير في
معرضه ، فلا يستوقفك منه شيء ذو بال ، لانك لا ترى رواء ولا تحس
ربا ، انما هو وصف ، ووضع الاسود الى جانب الابيض ، فتمر مر
الكرام ، وتسير ، فتجذبك صور اخرى هي غير تلك الصور ، او انها
تلك ، او شيء منها ، عندما اصبحت ماضيا .. وباتت ذكريات . فحفظ
منها الزمن الاقوى الذي ادخر عاطفة زادها الموت حياة ، وجعل لها
نفاذا من وراء اللفظ واشعاعا من خلف الالوان .. وظلالا لدى الاطار.

وكلنا يعلم ان شوقي عاش مدة في باريس ، وكانت له فيها اوطار
واوطار . وكان غاب بولونيا من مسارح تلك الاطوار . ولكن شوقي لم
يحدثنا عن الغاب ايام الغاب . ولم يصور لنا الاوطار ايام الاوطار
والشباب ، عهد الشباب ، والهوى .. عهد الهوى .. لا . فقد مر
الزمان ، ولاذت الاحداث في زاوية من زوايا النسيان .. ثم « يرى »

الشاعر الغاب ، فيستيقظ الوجدان ، ويخفق القلب ، ولولا ذلك ، لما
بلغتنا عن ذلك الغاب على لسانه رواية ، ولما عرفنا ان له من قلبه مكانا
- هذا المكان الذي يجلوه بقوله :

هلا ذكرت زمان كنا	والزمان كما نريد
نطوى اليك دجى الليالي	لي ، والدجى عنا يذود
فنقول عندك ما نقول	، وليس غيرك من يعيد
في كل ركن وقفة	وبكل زاوية قعود
نسقي ونسقى والهوى	ما بين اعيننا وليد
فمن القلوب تمائم	ومن الجنوب له مهود
حتى اذا دعت النوى	فتبدد الشمل النضيد
بتنا وما بيننا	بحر ودون البحر ييد

أيام حلوة ، صافية ، زاهية ، مؤاتية تتخللها خطوط عفيفة من
الهوى ، وهادئة من الرضى . ولكنها لم تصل الينا كما هي ، وكما
كانت ، انما وصلت ذكرى ، ذكرى يكتنفها سواد الحشرات فيقلل من
روائها وبهائها . وقد يكون هذا اكثر تأثيرا في نفوسنا - ولكن الذي وقع
وقع ، وهو ان الشاعر لم يصور الشباب في شبابه ، فيبدو وضاء وضاحا
ويقف المشاهد ازاء هذه اللوحة ، فيصيبه من حاضر الرسام شظايا ، ومن
كآبته كآبة . ولو وقف ازاءها يوم كانت حاضرا لغمره المرح والفرح ،
وربما الغبط والحسد . وتجتذبننا اللوحة ، فنجدها أكثر تأثيرا من مشهد
فها هو ذا الرسام « ازاء مصدر وحيه » . وها هو ذا يرجع الى ماضيه
شيئا فشيئا ، حتى ينقطع عما حوله تمام الانقطاع . وها هو ذا الماضي
حاضر .. حي بين رواح ومجيب ، وقيام وقعود وهوى وصباة .

ونعود من جديد ، ونعيد النظر بعين الممتحن المتفحص ، أكثر من
عين المتأثر المأخوذ . فنرى الرسام ، انما نجح اول مانجح ، فيما صور
من اوطار قلب ، محب ، كانت له في « الغاب » ايام سعد وسعادة ، وما
زالت هذه المشاهد عميقة في نفسه ... ولكنه عرضها عرض شاعر عربي
لا يبدو انه تأثر بالشعر الغربي وبالرسام الغربي . اما حبيته فلم نعرف
عنها شيئاً ، ولم تتبين سماتها ، وانك لا تستطيع حتى ان تقول انها
فرنسية .

ويحاول ان يعني « بالوسط » الذي كانت تجري فيه مثل هذه
الاحداث ، فلا يطاوعه تيار الوحي كثيرا ، ولا يسايره في خطوطه ، وقد
يفارقه في منتصف الخط ، فيظل النصف الثاني « مظلما » مثل « والرياح
به هجود » ومثل « والناس نامت والوجود » او يفارقه في الخط كله
فيأتي ناشزا ، ومثل :

فنييت في الايناس يغبظنا بها النجم الوحيد
والغصن يسجد في الفضاء وحبذا منه السجود

وليست هذه الاحيائية التي سكبها على الطبيعة ، احيائية الروماتيين
انما هي احيائية البلاغيين العرب في امثلتهم في الاستعارة المكنية -
وشتان .

ولو سار شوقي في احيائيه على نهج : « نطوي... فنقول... » ، لكان
للوحة شأن آخر ، لان المهم في اللوحة ، ما وراء خطوطها من قوة
وحياة .

ثم ان الاطار الذي تعرض داخله مهم ايضا ، ويشترط في هذا

الاطار ان يكون جزءا لا يتجزأ من الصورة ، وان يكون له من الحياة مالها ، وعليه من الظلال ما عليها ، ولكن ، اين غاب بولونيا وهو مسرح تلك الاوطار ومسراها ؟ تبحث عنه ... فلا تجد له اثرا البتة . اين « البحيرتان » ؟ اين الاحبة في الزوارق .. وبين حنايا الشجر .. متعانقين ، ولدى مسارب الدروب ... متخاصرين ، واين البواسق واين الرحمة ... واين اين . تقول انه لا يريد ان يرسم منظرا « واقعيا » فليكن ذلك ، ولكنه لم يرسم شيئا من غاب بولونيا ، ولعله رسم اشياء غريبة عن الغاب ... استعارها له ، من بساتين مصر مثلا . ولئن كان ذاك ... وليكن ، .. فلم يقصر الشاعر في رسم اوطار القلب ، كما بقيت « قائمة بين الضلوع » .

تلك وقفته في غاب بولونيا وله وقفة اخرى .. في زحلة (٢) . ويتساءل المرء ، هذه هي زحلة ؟ ويجيب كل من رآها : لا ... ثم اين هو شوقي وراء الكلمات والسطور ؟ لاتجد منه شيئا . انما هي مبالغات تكاد تكون تعليمية ، فهي اوصاف عامة ، جاهزة ، فان كان الشاعر قد وصف الوادي قبل ان يراه .. فان الايات مقبولة في مكانها ، وان كان قد اراد ان يرسم ما يرى ماثلا امامه ، ففي الايات مصداق لما قلناه من انه لا يجيد رسم المناظر الطبيعية التي تقع عليها عينه ، وانه لا يستطيع ان يرسم الحاضر .

ولكن الذي يستوقف المشاهد من « زحلة » شيء غير زحلة ، تستوقفه ذكريات الشاعر ، اي حاضره الذي كان ماضيا .

شيعت احلامي بقلب باكي ولمت من طرق الملاح شباكي
ورجعت ادراج الشباب وورده امشى مكانهما على الاشواك
وبجاني واه كان خفوقه - لما تلفت جهشة المتباكي
شاكي السلاح اذا خلا بصلوعه فاذا أهيب به فليس بشاكي
قد راعه اني طويت حباتي من بعد طول تناول وفكاك
ويح ابن جنبي : كل غاية لذة بعد الشباب عزيزة الادراك
لم تبق منا يا فؤاد بقية لفتوة او فضلة لعراك
كنا اذا صفقت نستبق الهوى ونشد شد العصبة الفتاك
واليوم تبعث في حين تهزني مايبعث الناقوس في النساك

هذه لوحة ، ولوحة جيدة ، تمثل شيخا ، كان لشبابه في الغرام
صولات وجولات ، ولقلبه معارك وانتصارات ، وقد تكون مبالغا فيها ،
ولكنها هكذا تبدو ، وهكذا يحسها ربها .

وتمر الايام ، ويمضي الشباب ، ويخلف هيكلا ، يضم داخله
شيئا كان في يوم ما قلبا . ويحاول ان يغالط نفسه ، فيتعرض للمرأة ...
وهيهات ، فما لمرأة فيه طمع . وما عليه الا ان ينسحب ، حزينا كاسف
البال ، يروح ويجيء في باطنه شيء يابس ، فقد لباقته وطاقته ولم تبق
فيه الا اطياف ماض تقض حاضره . وما اشد الانسجام في لوحة التقى
فيها الهيكل .. الباهت بهذه الالياف اليابسة ، التقيا وكان رابطهما
الماضي ، بل ذكرى الماضي الماضي ، بل الاسى عليه ، والاسى على
ذكراه . ويودع الهيكل صاحبه الذي يسميه قلبا على سبيل التجوز ،
ويعترف بالحقيقة المرة ، ان لم تبق لهما بقية لفتوة ، او فضلة لعراك .

كل شيء منسجم في هذه اللوحة ، والحسرة تنعكس من ثناياها وهذه
الحسرة الصادقة هي التي وهبتها هذه القوة ، وهذه الحياة ، وبعدت بها
عن الرصف التعليمي . على ان تذكر ان ليست لها اية صلة بزحلة ، وانها
ثمرة من ثمار الماضي لم تقتطف في حينها

وتسير في القصيدة فترى لوحة اخرى ، هي لوحة « جارة الوادي »
وفيهما جودة دون ان تكون ذات صلة مباشرة بزحلة ، ولكن ، لها الصلة
كلها فيما نحن فيه من ان شوقي يجيد استعادة الماضي واستحضاره
واحياهه :

لم ادر ما طيب العناق على الهوى حتى ترفق ساعدي فطواك
وتعطلت لغة الكلام وخاطبت عيني في لغة الهوى عينك
ومحوت كل لبانة من خاطري ونسيت كل تعاتب وتشاكي
لا امس من عمر الزمان ولا غد جمع الزمان فكان يوم لقاءك

ولم تصل اليها هذه اللوحة باللوانها الحمر الشديدة الحمرة ،
السود الشديدة السواد ، انما جاءت في ظلال الحسرات ، واطلت من
وراء الاسى ،

وصحيح ان الذكريات مهمة في دنيا الرسامين ، وغير الرسامين ،
والرومانتيين خاصة . وانها رصيد غزير يأخذ طريقه الى حاضرهم من
حيث لا يشعرون ولكن من الرسامين ، من اذا وقف ليرسم منظراً ،
شغله الحاضر ، فعرضه بشكل يقرب من الشكل الذي تراه انت ، دون
ان تستطيع الاعراب عن رؤيتك ، ولم يكن شوقي - كما رأينا - من
هؤلاء ، انه لا يرسم حاضره أو بمعنى أدق ، انه لا يجيد رسم حاضره

الا عندما يصبح ماضيا ، أو عندما يكون ذا صلة بالماضي ،

ولا تقف هذه الظاهرة - ظاهرة سيادة الماضي ، عند حياة شوقي الشخصية ، إنما تعداها الى حياة مصر كلها . ، فقد قال كثيراً في حاضرها الذي عاشه . على اختلاف القول ، وعلى اختلاف الاحداث والأعلام ، ولكن اللوحات القيمة التي بقيت ماثلة ؛ هي لوحات من الماضي . ولعلك شهدت لوحة « انس الوجود » (١)

ايها المنتحي « بأسوان » دارا كالثريا تريد ان تنقضا
اخلع النعل واخفض الطرف واخشع لا تحاول من آية الدهر غضا
قف بتلك « القصور » في اليم غرقى ممسكا بعضها من الذعر بعضا
كغذاري اخفين في الماء بضاً سابحات به ، وابدين بضاً
مشرفات على الزوال وكانت مشرفات على الكواكب نهضاً
شباب من حولها الزمان وشابت وشباب الفنون مازال غضا...

والشاعر في « انس الوجود » رسام يحاول ان يرسم ما يرى . أو أن يظهر للمشاهد بأنه يرسم ما يرى ، فلقد احتوت اللوحة تلك القصور من مخلفات عهود سالفة بعيد ، ولكنها لم تحوها كما يبدو لعامة الناس : قصوراً متقاربة ، متلاصقة ، اغرقها النيل ، وقد اختفى جزء وظهر جزء لأن ذلك اغراق في الواقع ، وليس من الفن في شيء ، وهو تعليم وجغرافية وتاريخ ، والرسام غير المعلم . . . وصحيح انه يعرض ما يرى ، وما يراه الناس ، ولكنه يعرض اعجابه ايضاً ، وقد فعل ذلك شوقي ؛ فقد نقل اعجابه الى المشاهدين ، وجعلهم يرون في تلك القصور البيض اكثر مما كانوا يرون ، وجعلهم يرونها احياء ، مذعورة . ومصدر اعجاب

شوقي هو التاريخ ، وكون المنظر تاريخيا ، وان هذه القصور - على بعد
الزمان بها - ما زالت حية حاضرة ، وكان للاعجاب شريك آخر في اثاره
الشاعر ، هو الاسي على ما تعانیه هذه القصور من عوامل التلف .

وما كان بين شوقي وبين النجاح التام في كل اجزاء اللوحة الا
السيطرة التامة على اصباغه ، فلقد اندس بينها ما يمكن ان يكدر
الانسجام ، ولا ادري لم اختار شوقي « الضاد » قافية ، واكبر الظن انه
اختارها اصطناعا ، ليدل على « روزفلت » بلغة الضاد . ومع هذا تظل
« انس الوجود » رائعة يرى القارىء فيها - على البعد - ما رأى شوقي
ويتأثر بما تأثر به شوقي .

هذا الماضي - الماضي المصري - يظهر أكثر ما يظهر ، ويبدو
أوضح ما يبدو ، عندما يقف شوقي ليصور ابا الهول (٤) ، فلا يصور
التمثال نفسه ، وانما يصور التمثال ، الاثر والاثار التي يتركها في
الاخرين . ثم لا يلبث هذا « الاب » ان يشير شتى الاسئلة ، ذات
الصلة بشوقي ، آنذاك ، فلقد بدا متشائما ، وبدا ضجرا ، حائرا ..
وبدا طالبا للعبارة :

ابا الهول ويحك لا يستقل مع الدهر شيء ولا يحتقر
تهزأت دهرا بديك الصباح فنقر عينك فيما نقر
اسال البياض وسل السواد واوغل منقاره في الحفر
فعدت كأنك ذو المجسبين ، قطيع القيام ، سليب البصر
كان الرمال على جانبك ، وبين يديك ، ذنوب البشر

فعرض صورة لذلك الجبار المتشامخ الذي سخر من الزمن ، وسخر

(٤) الشوقيات ١ : ١٥٨ - ١٧٠

من الدهر ثم لم يلبث ان استسلم فشاها خلقته ، وغارت قوته ، ومسح
عنقوانه .

واللوحة تريك ابا الهول مجسما : فهذا جبروته ، وهذا البياض وهذا
السواد . . وهذه الرمال على جانبيه .

ولكن ، لا تعتقد انك رايت ابا الهول خلال هذه الصورة ، لانها
صورة شوقي اكثر منها صورة ابي الهول ، وهي تختلف عن رؤيتك اياه
قبل ان تقرأ هذه الايات . اما وقد قرأتها ، فان اول ما ستعمله حين
تتطلع في تمثال ابي الهول انك تطيل النظر الى عيونه فتبحث عن السواد
والبياض ، وعن آثار المنقار .

ان شوقي يرسم ما في نفسه ، وما يوحيه فيها ابو الهول ، وما
يسكبه هو عليه .

ولا غرو فهو شاعر يطاوع مقتضيات الشعر الغنائي في فطرته
الأولى . وائر موحيات ابي الهول في نفس الشاعر متنوعة الصفحات .
ففي كل لحظة صورة لا تتصل كثيراً بالصورة السابقة .

بسطت ذراعيك من آدم ووليت وجهك شطر الزمر
تطل على عالم يهدل ل وتوفى على عالم يحتضر
فعين الى من بدا للوجو د ، واخرى مشبعة من عبر
فحدث فقد يهتدى بالحديث وخبر فقد يؤتسى بالخير . .

وهكذا يسكب شوقي ما في نفسه على التمثال ، دون ان يحاول ان
يجلو له صورة واقعية . والملاحظ ان شوقي لا يجيد كثيراً اذا اراد ان
يرسم الشيء كما هو امامه ، واذا اجاد ، فلا يطول نفسه ، واذا طال

مع الاجادة فاعلم انه لا يرسم اشياء وقعت ، وانما ، اشياء تصورهما .
فليست اللوحة عنده عرضا للعرض ، انما هي عاطفة شوقي التي تطل من
وراء المرثيات ، عاطفته ، او قل حزنه من الدهر ، والمه من فعلاته .

وعلى هذا لا يصح ان يتخذ شوقي في الجيد من شعره مصدراً
للتاريخ ، لانه انما يتحدث عن بنات تخيله ، او عن الماضي كما صورته
اليه كلمة واحدة وردت في تاريخ ، او كما صورته بقية عاشت بعد
اهلها .

نفهم من كل هذا ، ان شوقي في جياذ لوحاته ، لا يخلق اذا اراد
ان يرسم الاشياء كما هي وكما تبدو ازاءه وازاء الآخرين . ومن هذا
انه لا يجيد اذا اراد ان يصور الحاضر والقريب ، حتى اذا اصبح
الحاضر ماضيا ، والقريب بعيدا اجاد واحسن ووهب الصورة حياة وقوة
يهبها من نفسه وشخصه بما .

هذا شأنه في حياته الخاصة ، وقد رأينا بولونيا وزحله ، وهو شأنه
مع التاريخ ، وقد وقفنا عند ابي الهول وانس الوجود . واذن ، فالجياذ
من لوحاته التاريخية لا تمثل التاريخ وانما تمثل شوقي ، او التاريخ كما
راه شوقي في شكواه وتشاؤمه من الحياة وتفكيره في مصيرها ، فتعكس
هذه الشكوى على الرائي ، وتعمل على ان تثير فيه انطباعات متشابهة .

وشوقي في مجمل هذه اللوحات اقرب الى الشقاء منه الى النعيم ،
واقرب الى الحزن منه الى المرح ، بما يدل على انه في اعماقه غير ما يريد
ان يبدو للناس ، وغير ما اراد الناس ان يروا فيه ، بعد ان علموا صلته
الشديدة بالبلاطات .

هذا ما تمليه علينا جياذ اللوحات .. وللمرء ان يذكر في تعليل هذه الظاهرة - ظاهرة التأثر بالماضي ، وغلبة هذا التأثر عند الاجادة في الكلام على الحاضر - اقول للمرء ان يذكر اكثر من سبب . وبماكانه ان يرد ما تعلق منها بحياته الخاصة ، الى ان الشاعر لم يستطع ان ينصرف كله الى تصويرها ايام وقوعها ، لانه كان يخشى القالة ، ويفكر بنقد الآخرين وسخطهم على سلوكه الشخصي .. حتى اذا بعد الزمن ، وباتت - هي - ذكرى ، وبات - هو - شيخاً ، انصرف اليها كله ، يعرضها ويعرض اعنف لحظاتها ، وهو يعتقد ان مثل ذلك الماضي لا يمكن ان يسيء اليه والى حاضره .

اما ما تعلق منها بماضي مصر فبماكان المرء ان يرده الى ما هو شائع ذائع من ظروف شوقي ، شوقي الذي نشأ بلاطياً وظلت البلاطية جزءاً من شخصيته ونفسه مهما تختلف به شؤون الحياة ، وشوقي الذي عاش في مصر في زمن بدأت تكون فيه للشعب كلمة ، وكلمة ذات بال . يريد الشاعر ان يرضي هذا ، ويريد ان يرضي ذلك ، والتوفيق امر غير ممكن لرجل لم تعدد شخصيته ولم تزدوج في مثل هذه المواقف - في الاقل .

ولهذا ، فانه ، حين يصف البلاط يعلم في نفسه انه يغضب الطرف الاخر وحينما يصف الشعب يحذر من وقوع العكس ، فلا يستطيع ان ينصرف كله الى طرف ويهبه كل ذاته .

اما الماضي فهو جنة ، وهو سند ينصرف اليه وهو يعلم انه يرضي بذلك كبرياء الشعب ، وكبرياء البلاط ، كما يرضي نفسه ايضاً ، لأن

للماضي الذي عرضه شوقي أو الذي جود في عرضه هو امر ذاتي ، لا يكاد
يزيد نصيبه من الموضوعية على عدد قليل من المواد الخام .
وعلى هذا ، يمكن القول انه لو مد الله في عمر شوقي او لو انه
عاش في عصر جمهوري ، توحدت فيه حاجات الشعب وحاجات الحكومة
وتوحدت فيه اهداف الشعب واهداف الحكومة ، وتوحدت فيه ايجاد
الشعب وابعاد الحكومة .. اقول لو عاش شوقي مثل هذا العهد المبارك
لكان ممكنا ان يجلوه في لوحات جياذ لا يعوق ريشته - وهي تخط وتلون
وتظلل - خوف من امر خارج عن طبيعة الصورة .
ان هذا يومك يا شوقي ، وبامتسا حاجة الى موهبتك ولغتك ..
ولوحاتك .. ورحمة الله عليك .

التم في مهرجان شوقي بالقاهرة

الأداب ١٩٥٨

البركان^(١)

إذا ذكرت الثورة العراقية ، وذكر الشعر ، ذكر البصير . ولا غرو ، لقد كان شاعرها ، ومؤجج حماس أبنائها ، ومسجل حركاتها وسكناتها . ولحقه من الأذى والسجن والنفي ما يلحق كلّ وطني يستشير همم أبناء قومه ، ويسعى لاستقلال بلاده ، ويتنصب السلطات المغتصبة العدا .

وقد استمع أبناء الجيل الماضي الى البصير في المحافل والنوادي والمساجد ، وقرأوا له في الجرائد والمجلات والمجاميع الصغيرة ، فأعجبوا به ، وحفظوا له ، وتناقلوا نوادره وتتبعوا اخباره ، واحلوه المنزلة السامية وابتغوا عليه الألقاب الجليلة وفاء واعترافا واكباراً فهو «معري العراق» «وشاعر الشعب» «والشاعر الوطني» . وكان خبير نفيّه حدثاً في تاريخ العراق وحسبه انه كان مادة في البيان الذي أصدره المعتمد السامي البريطاني .

واتقل إلينا شيء من ذلك الاعجاب ، فللبصير في نفس كل وطني احترام واجلال ، وبلغنا شيء من ذلك الشعر ، فأنشدنا ونحن في غمرة الحماسة : « وطني والحق سينجده » ، ورددنا : « اطلبي بحرك يا أرض

(١) ديوان شعر للدكتور محمد مهدي البصير ، صدر ملحقاً للمجلد الثاني والعشرين لمجلة المعلم الجديد . بغداد ، مطبعة المعارف ، اواخر تموز ١٩٥٩ .

العراق « (ص ٦٥) ، واستظهرنا : « أن ضاق يا وطني عليّ قضاكا »
(ص ٥١) .

وكنا نطمع أن نرى ذلك الشعر مجموعاً في ديوان ، يرجع إليه
الأديب ، ويفيد منه المؤرخ .

وقد أدّى صاحبه ما عليه إذ جمعه وبوّبه وقدم لقصائده ،
وحفظه في مخطوطة جعلها في متناول يده ، ولكن أكثر من حائل كان
يقف دون ؛ طبعها ، حتى اذا كانت ثورة الرابع عشر من تموز ، زال
كثير من تلك الحوائل ، بل ان الثورة الجديدة كانت دافعاً للعناية بالثورة
الأولى وبآثارها ، وألقت على العراقيين واجب البحث عن التراث
الوطني .

وكان طبيعياً ان ينشط استاذنا الدكتور البصير الى طبع ديوانه ،
ولما لم يكن يطمع من وراء ذلك في مال ، رأى أن يقدمه هدية لمجلة
« المعلم الجديد » لتقدمه هي هدية لقرائها الكثيرين ، في عامها الثاني
والعشرين .

وهكذا صدر البركان

وفي مقدمته يقول المؤلف : « اطلقت على هذا الديوان
اسم « البركان » ، لأنه يمثل جهادي المتواضع في سبيل العرب
عامّة والعراقيين خاصة ، ويرمز الى نشاطي الحزبي المحدود
الذي كنت أمارسه سراً وعلانية ، مدة تقرب من خمسة عشر
عاماً

. . . وأعترف أن بعض قصائد هذا الديوان ومقطوعاته نظم على
عجل ، ولاسيما في أيام الثورة ، يوم كان لزاماً عليّ أن انشد مساء كل

خميس . . . قصيدة سياسية جديدة تهز المشاعر وتثير الخواطر على
الانتداب وما يستتبع من مصائب وويلات . وتذكر الناس بما كان
للعروبة والاسلام في سالف الأيام من مجد باهر وملك
زاهر .

والواقع أنني كنت أستعيب بالخطبة عن القصيدة أحياناً ، ولكن
الجمهور كان أشد ميلاً الى الشعر ، وأكثر اقبالاً عليه ، وكان لابد لي
من اشباع ميله وارضاء رغبته قدر المستطاع ، هذا عدا المناسبات الأخرى
التي كان يطلب إليّ فيها ان أقول شيئاً من الشعر يقل مرة ويكثر
مرة . . .

ولهذه الأسباب المختلفة والمتعددة رأيت ان اعيد النظر في طائفة
من قصائد هذا المجموع ومقطوعاته لأحذف منها ما ينبغي حذفه وأصلح
منها ما ينبغي إصلاحه . وقد فعلت كل ذلك مع الاحتفاظ التام
بالمبادئ والأفكار التي كنت انادي بها آنذاك . . . »

ولا شك في أن المؤرخ يطمع أن يرى القصائد كما هي ، وكما
قيلت وأعلنت ، لتكون أدق في الدلالة ، واصدق في الشهادة . إلا ان
مالك الشعر نفسه أراد غير ذلك ، أراد أن يخرج على الناس بالشكل
الذي يريد أن يروه عليه ، وما على المؤرخين - بعد ذلك - إلا ان
يتبعوا أنفسهم ويرجعوا إلى صحافة الفترة التي يؤرخون لها ، ليجدوا
ضالتهم

والمقدمة على إيجازها تبين أشياء كثيرة ! وهي اذ تحدد المضمون
وما ينطوى عليه من الأفكار والأغراض والمعاني وحتى العواطف الوطنية ،

تكاد تحدد الشكل : فهي تقرر أسلوب الديوان الأخباري التقريري ، وتلقى ضوءاً على لهجته الخطائية ، ولاغرو ، فالبصير ملتزم ، بقصد من وراء النظم الى تعليم الوطنية وتربية الناس عليها أكثر من أى شيء آخر .

وكان هذا الأسلوب الطابع السائد في عصره ، فلم تكن الطواعية هي التي تفيض وتتفجر - أولاً . وانما الارادة هي التي تتحكم وتنظم . ولم تكن الصياغة هي الرائد الأول ، انما المعاني والأغراض والافادة المباشرة فالسطور واضحة تعرب عن نفسها لكل قاري سامع . ولذا شغفت بمقدمات تاريخية تبين اسباب النظم ودواعيه زال عنها كل لبس وغموض .

وهذا - بالطبع - لا يمنع من ان يقع القاري على مقطعات غذاها الحماس بما يجعلها تتعدى الظرف الذي قيلت فيه ، وقـ تستعين - كذلك - بطرافة الحادثة . وسرد قصصي تقبل في اثنائه النثرية .

ونحن اليوم .. نقرأ هذا الشعر .. ونقرأ البركان .. فنجد الخطوط السائدة في الفترة الأولى من النضال الوطني ، نجد مفاهيم الفترة ومشكلاتها ، ونجد الاتحاديين والحلفاء .. والوطنيين والخونة ، والاستعمار والاستقلال ، والشرق والغرب .. والمعاهدات .. والمراوغات .. والحرب والسلام .. ونجد المقدمات الأولى لعدد مما هو سائر بيننا اليوم في مثل هذه المصطلحات ... نجد ، فنعلم كيف كانت ثورة « العشرين » بداية

صالحة للانتفاضات والثورات التالية لها . ويهجننا ان نرى ان أبناءنا -
وهم في عهدهم المبكر في النضال - قد تنبهوا إلى أشياء كثيرة تعلى من
أقدارهم وأقدارنا .

وقد يستغرب الكثيرون من أبناء اليوم الذين يظنون ان « السلام »
والدعوة الى السلام من مخترعاتهم ، ان يفتحوا « البركان » فيقرأوا أول
ما يقرأون :

ماللسلام مقوض الأركان ماذا أقام قيامة الانسان ؟ !

ثم يسمعون البصير يقول :

أنا لا أحب سوى السلام أو الردى وان جرّ حب السلم للاذعان
ويسمعونه يتساءل عن الحرب وأسبابها ، وعن الفزع واليأس ، وعن
هؤلاء الشباب الذين يتساقطون صرعى .. يتساءل تساؤل المنكر المستنكر
مما يدل على تمكن الدعوة من فكر صاحبها وعمقها في نفسه !

أيفعل كل هذا فاعلوه لاحراز السيادة والثراء ؟ !
أليس لهم سوى هذا سبيل إلى ما يشتهون من العلاء
ألا هدمت يد الحدثان عزاً يشاد على رقاب الأبرياء
ولا بلغت مأربها نفوس ظوامىء للدموع وللدماء

والدعوة للسلم لاتعني - بإية حال - وقد أشار إلى ذلك البصير
أيضا - الخضوع والخنوع و « الاذعان » ... لا ... اذا لجّ المستعمر
في ضلاله ، وألح في جباله ، نهض الشاعر الثائر يستنهض قومه إلى
الحرب - ولا خلاص من الانجليز وحياتهم إلاّ بالحرب :

والله ما ضربوا الا على وتر
لكن رحي الحرب قد دارت لتطحنهم
ان كنت لاتهتدي من نارها بسني
ان وطفوا السلم سدا في بلادهم
وانما الفرق كل الفرق بالنعم
وهذه فرصة ياشرق فاغتم
فسوف تطوي الحشا منها على ضم
فقد تمزق في سبل الدم العرم

o o o

واذا كان البركان سجلا للوطنية والدعوة اليها ، فانه لم يغفل
ما تتعرض له مثل هذه الوطنية في كل زمان ومكان من اذى على
يد أبناء البلد انفسهم .

ومن غرائب ما حفظ لنا البركان ، هو ما ألمعت اليه قصيدة
« صوت الشعب » (ص ٣٠) « من قيام بعض وجهاء « الحلة » بحمل
سكانها على توقيع عرائض سياسية يطلب فيها تعيين السير برسي كوكس
ملكا على العراق ، على ان يكون تحت وصاية انجلترا » - والخبر وحده
غاية في سخرية الاقدار ، وسخافة العقول .

وتشتد الخصومة بين الشاعر وبين انصار الاحتلال البريطاني ودعاة
الرجعية في الحلة ، فينهض مفتخراً (ص ٣٩) :

.. تقول رجال إنما هو شاعر
ولا وأبي ، لا يحفظ الشعب بحده
وما أنا من يزجي القريض بضاعة
بلى كم نطق الشعر فصلا اقوله
وأطلعت في أفق النهى منه حكمة
وعندي أباد للزمان شكرتها
فأبلغ ما يروى الرواة لشاعر
لى الله كم قارعت دهري فيثني
كأنني في احداثه طود لجة
فماذا الذي توحى إليه رغبته ؟
وشاعره جهلا بضاع وكاتبه
فتلزمه مدح الكريم مواهبه
فيكبره من حنكه تجاربه
فلم يتقدم صادق الفجر كاذبه
وإن عركت بالغمز عودي نوابه
من الشعر ما أملت عليه مصائبه
وأنيابه مفلولة ومخالبه
تبدد شمل الموج منها مناكبه

وتشتد الخصومة ، فيفخر الشاعر متألماً ، فيدل على انه يجيد الفخر
وإن كره ، ويحسه عاطفة وان يرى الى الله منه عقلاً .

إن مقدمات من هذا النوع تجرّ حتماً إلى « اعماق السجون »
ويعزّي الشاعر نفسه (ص ٣٨) ولا ينال السجن منه ، ولا يبلغ به
اعداء البلاد مرامهم (ص ٧٩) :

قالوا سجت لرأي كنت تعلقه فاكم ، فحسبك مالاقت من غصص
فقلت هيهات : سجنى لا يغيرني إن الهزار ليشدو وهو في القفص
ولم يكتم الهزار ، ولم يسكت ، وانما ظل يتأمل حالة بلاده ،
ويفكر بالحلول وبالاصلاح ، ويدعو الى التضامن والأخوة العربية
الكردية ، والسنية الشيعية ، وبيث الأمل ، ويندد بالغرب ويهدده بصحوة
الشرق ، دون أن ينسى أن يسخر من علمه الضار الذي يدلّه على
الحروب وتدمير الربوع وقتل الابرياء (ص ٨٩) :

إيه يا غرب كم تذرعت بالعلم الى نيل غاية نكراء
كم شنت الحروب تلو حروباً وشفعت الارزاء بالارزاء

○ ○ ○

كم ربوع باتت وقد سمتها الخسف قبورا فسيحة الأرجاء
ودون أن ينسى السخرية من « ولسن » وخلفاء « ولسن » من
ضعفاء واقوياء :

قلت للحق هل وجدت نصيرا قال : اعداي كلهم نصراني
قلت : قد شدّ « ولسن » لك أزرا قال : إني بليت بالضعفاء

○ ○ ○

قلت : ماذا تقول فيمن يليه قال : تجديد خيبة لرجائي
ويخرج من السجن ، وينفى ، ويعود . . . دون أن يكتم او

يسكت .

ويختتم الديوان بقصيدة « عهود أم قيود » ! انشدها الشاعر في
حفلة افتتاح الحزب الوطني العراقي في ايلول سنة ثمان وعشرين وتسعمائة
وألف :

كم قطعنا باسم العراق عهودا لم تكن في يديه إلا قيودا
وفيها يخاطب المفاوضين في عقد المعاهدات مع انجلترا ، ويضحك
« عليهم » ويسخر منهم ومن عقولهم وضمائرهم : (ص ١٢٣) :
. . أتقولون إنها أكرهتنا فحملنا ما لا نراه سديدا
شكر الله سعيكم ، خبرونا كم بذلتم في كبجها مجهودا
حدثونا على البساطة يا قوم واخلوا الابهام والتعقيدا
أي شيء قالت اريد فهاتوا فرفضتم وقلتم لن نريدا

o o o

. . وينتهي الديوان وبطمع القاريء المعاصر أن يستزيد من
التاريخ الحديث لشعبه ونضاله ، ومن اخبار سرآئه وضرآئه ، ومن سير
المخلصين والخائنين . . ولكن الطمع لا يستبد بالقاريء كثيراً ، فقد نص
الشاعر في المقدمة على انه منذ سنة ١٩٣٠ انصرف نهائياً عن السياسة
والأحزاب .

على ان « البركان » ليس كل شعر البصير ، إن هناك ديواناً
آخر ما زال مخطوطاً هو « زبد الأمواج » يحتوي على أغلب انواع
الشعر المعروفة .

نرجو ان نراه مطبوعاً ، كما نرجو ان نرى دواوين « الثورة »
الأخرى من شعر معاصري « البركان » مما لم يتح له أن يطبع بعد .

كانت لنا أيام

عمر النص ، شاب من خيرة الشعراء المعاصرين ، اكتملت له جوانب الشخصية ، وتهيأت سبل المعرفة ، واستقامت طرائق العيش : تمكن من العربية وأعجب ببحريتها وألف روائعها وله قرابة بجميل بثينة - قد ينكرها . وأجاد الفرنسية وتأثر بقلريها - دون ان ينسى حظه من الانكليزية وله صلة بالرومانتيكية - قد ينكرها ، وزاد على الادب الدكتوراه في الحقوق . وهو إذ - ينظم - بثق بنفسه وبفنه ، ويعمل بتؤدة وصمت ، وينقح ويهذب ، تمده موهبة أصيلة . . . يرسم بها صوراً جديدة هي صور رآها أو تخيلها ؛ ويعرض للنفس الانسانية خلجات جديدة ، هي خلجاته التي عاناها وأعرب عنها باخلاص . ولا يعني التجديد عنده الخروج المطلق على عمود الشعر العربي والانغماس في العبث السهل .

طبع ديوانه « كانت لنا أيام » في بلدته دمشق عام ١٩٥٠ وممر من دون صخب أو لجب ، والديوان قصيدة واحدة في ثماني وعشرين قصيدة تسجل حادثة واحدة : هي تاريخ قلب كريم أحب فسدت « ليلي » عليه كل سبيل :

وكنت اذا لاحت تبتك من الهوى وكدت من البرح الممض تصدع
وكان نصيبه منها مواعيد غائمة وأمالا بخيلة . . . يوسعها ويوسعها
حتى يبني على أساسها القصور ويعاق الجنائن . . . فيزهو بحبسه هذا
الذي ، ملأ حياته ، وبعث عزمته ، وأنار قصده .

وما هي حتى بات هذا الحب مهدداً ، واضطرب الفتى ، ولم يجد
غير قلبه ملاذاً يسأله عن الغد الأسود ، ولم يكن قلبه بأقل حيرة منه .
« فلم بانت ؟ ولم أذف النوى ؟ » .
أأجفى بلا ذنب وأترك في العرا يروعني قر وتنثر زعزع
كان في عز الأمل وغلوائه ، بما ضاعف عليه وقع الفراق ، الفراق
الذي سماه « وداعا » كمن يريد أن يغالط نفسه أو يغالط الآخرين .
وكانت « ليلي » تفكر ، فاستسلمت للحاكمين ، ولعلها لم تمنع كثيراً
فانضوى قلبها تحت أكناف زوج ، واستنام لوازع العرف دون أن يبدي
ما يشعر بعزلة شديدة . ولعلها حظرت على الرجل الأول حتى الانين ،
كان ذلك أخريات عام ١٩٤٦ أو في تاريخ يرمز اليه بهذا العام ،
كان وكانت عاصفة صاحبة . . .

لا تثر نعمتي ففي كل عرق ثورة تغتلي ولفح شظايا
ثم نشد الخلاص والسكينة :
جن الظلام وأفقر الدرب قالى م تدلج أيها القلب
ويتطلع فتحول الدموع دون النجوم :
وأنا الذي زرع النجو م وقال يا نفس احصدي
شط الخيال ! فلم أجد غير الدموع على يدي
ثم هدأ وتدبر :
من حلم نبي فيا ليتنا لم نعرف الحلم ولم نبه
ولم يمت الحلم ، ولكنه بات جرحاً عميقاً يسيل شعراً حزيناً . . .
مسكيناً . . . تتجدد عليه الغلائل السود .

وهكذا ولد « كانت لنا أيام » مضرجاً . . . في مهد الأسى
والياس ، فلما نطق لم يتكلم عن « الايام » . . . وإنما عن أعقابها
وما خلفت من آلام وحسرات ، ومن أطياف وأشباح ، ومن أخيلة

قد تعلمه وصور قد تعزبه ، ومن أمان خائبه وأناك حائرة :

لا تراعي ! تلك دنياي التي مات سناها

وأمت ألوانها الغر ورثت صفحاتها !

تلك دنياي التي أبدعت بالأمس رؤاها

وسألت النور لا يبرح ، ما عاش ، فضاها

تلك دنياي التي عشت على وهم رقاها

خنقتها يقظة الجرح وسالت في دماها

فاذا بالحلم المبدع قد جف وشاها . . .

نعم ، لقد ملأت الذكرى « الديوان » وشاعت في أرجائه ،

ولكنها ذكرى فقط ، أو انها ذكرى الذكرى لانها لا تتكلم على حادث ولا

تروي حدثاً ، انها تحمل الصدى ، أما الاصل ، فقد احتفظ به الشاعر

لنفسه ، حذراً واعتزازاً - ونعما فعل ، والصدى هو المهم ، وهو الذي

يهمس فينا ، ثم هو النهج الارقى .

وعمر هذه الذكريات ثلاث سنوات .

ومهما حاول صاحبها الكتمان - كتمان « المنى الغايات » ،

استحال عليه ذلك ! ومهما حاول النسيان - نسيان « الاحلام المخففة »

غلبه الوجد ، فالتجربة عنيفة ، والجرح عميق ، والشاعرية خصبة ،

والدواعي كثيرة ، وفي كل مكان ، فقد يرى « ليلي » حقيقة وهي

ما زالت حية تقطن مكانا ما في الشام ، وقد يذكره بها كل شيء ، هذه

الورقة الذابلة - مثلاً ، الورقة التي رآها شاحبة فوق التراب ، فحنا

عليها وأسى ، لأنه وجد نفسه في عروتها ، ورأي دموعه في عيونها :

أود لو تنبض هذي الشفاه وتستقي ماءك من أدمعي

أود لو اسكب فيك الحياه ويغتذى ضلعك من اضلعي

o o o

يا ورقتي لم يبق الا الصدى يئن في الافق فهل تسمعين

◦ ◦ ◦

والعمر وهم والاماني سراب فكيف تبكين على خضرتك
وما بكث الورقة ولكن عمر بكى ، قالها كمن يعزي نفسه !
وهيهات !

هيهات أن ينسي ، وهناك . . . أفيأؤها ؛
انها دارها : قفف أيها القلب . . . وناد المواجه المكنونة

◦ ◦ ◦

عدت ليلاي ! فاقظني الزنبق الغض وبشي على الطريق غصونه
اي نعم . . . ان كل شيء يعيدها اليه :
كلما غمغم النسيم تذكر ت . . . فخلت النداء في آذاني
ثم هناك . . . هناك الاطيفاف :
طلعت فأورق في الشباب وهدهدت اضلاعى المرهقة
ولم تطلع هي ، ولكن خيالها . . . طلع لسبب . . . قد يكون
تافها ، وقد يكون لغير سبب . . . طلع فاذا كل شيء
جديد ، وكأنها أمامه ، هي نفسها عينها . . . يتوسل اليها ويبتها ،
ويخبرها عن البرحاء وعن آثار اسمها في خاطره وفمه وفؤاده :

ولو انني اسطعت بعث الحياة وجدت بأنفاسي الرقيقة
وجئت اليك أشق الغيوم وأصدح بالغنوة المشرقة
وتختلط عليه الامور ، ويلتبس الوجود بالعدم :

أأنا يا ليل ! أم هذا خيال الذكريات
يبعث الأمس الذي مر ، ويذكي خفقتاتي !
والمنى البيض على كفي أشلاء رفات
ينقل الدهر عليها خطوات حذرات

كلما مر بها . . . مر بخوف وأناة
نازفاً فوق بقاياها أضاليل حياتي !
وما أسرع ما تتخاذل عروق هذا الذي أراد أن ينسى ، وأراد
أن يصدق بالغنوة المشرقة . . . فكم يحرص ، وكم يخاف :
أخاف من السنين تغل بأسي وتوهن مرتني وتشل زندي
وأفرق ، أن سلوت ، ذهاب حلم وقفت عليه أشواقى وودي !
تريدها أن تبقى . . لأنها كل ما بقى لك في الوجود ، ولأنك
قد وقفت على هذا الحلم اشواقك ورسمت بدمعك معالمه :
وما الكون ان أنا أنسيتهما وما انا . . ان كنت لا اذكر
ثم ماذا ؟

لقد أدك الحمل . . ودنت الشيخوخة المبكرة تهددك بالوحشة
وتتذرك بخريف العمر ، وما لك من سند غير الذكريات :
دعي لي الذكريات ! فكيف أحيا اذا أفل الشباب وكنت وحدي !
عندما يعيش الانسان مع الذكريات ، فكأنه يعيش مع انسان . . .
يحادثه ويحاوره فلا يشعر بالوحدة - والوحدة ضرب من الفناء . ويكاد
الشعور بالهرم يبعث صاحبه على البحث عن « ليلي » جديدة ، ولكن
الوهم الاول سيظل حقيقته الكبرى ،
وإنا للديوان الثاني لمنتظرون (١) .

المعلم الجديد - حزيران ١٩٥٨

(١) كتبت هذه الكلمة في صيف سنة ١٩٥٦

وأنت تقرأ (هواجس نفس)

كانت مجلة « المعلم الجديد قد رحبت بقصيدة « هواجس نفس » التي بعث بها السيد عبد الله خضر المهدي فنشرتها في عددها الاول من مجلدها التاسع عشر (شباط ١٩٥٦) ، لما لمست فيها من شاعرية وفن ...
وجدة مع تمكن من القديم : -

سجى الليل الاعواء بعيد ورقاص ساعتى الساهر ...
ثم أصالة وثقة بالنفس وبراعة في مزج الفكر بالعاطفة بحيث تتحد في تأملات لا يثقلها العقل : -

سأضحك منى وأطوى الانين وأنصب صدرى لريح العدم ..
وتتلو الصورة منها الاخرى منبثقة من دنيا نفس تحتشد فيها الهواجس ، وقلب لا يستقر به القرار .

تبحث هذه النفس عن الحقيقة أو عن الخير - ان شئت ، لانها قد تبلغ السر أو تكاد ولكنها لا تلبث حتى تنفر كمن يخشى ان تكون الاشباح واقعا و « وحشة القبر » وجودا - وفي الدنيا « ربيع » قد « ينثر ألوانه » الزاهية على المغالقي الموحشة ، ونور قد يدق أبواب هذه الموحشات و « جنح الليل معتكر » ...

هواجس هذا الشاعر من نفسه ، وهى الرئيسية في مكونات شخصيته ، وهى التي تهبه هذه القصائد ذات السائر الرمادية . وبعد ان يطول التوجس ويستوى الوجود والعدم تبدأ هذه النفس تبحث لها عن مخرج أجدى ، وذلك من حقها ، فهي مازالت شابة ، وليس « الهوى العدو » بمستطيع ان يسد كل المنافذ ، ويبحث النفس عن المخارج

طبيعي وانها لواحدة في العقل المجرب أيدا وسندا ومنهضا وحاديا : -

هبوبا هبوبا مع العاصفات مع الجائحات رحاب الفضاء

وحشدا لهذي المنى الظامئات ونشرا جديدا لهذا اللواء

وسحا مع الديم الهاميات ليورق عزمي ويحيا الرجا

ويأخذ عنى نشيد الحياة مقيم النجوم وسيارها

لقد ألفت هذه النفس هذه النجوم ولكنها تريد ان تطلع عليها
اليوم بثوب جديد تتخلله الاشعة ، ويحتويه الوميض ، وأخذت هذه النجوم
عن تلك النفس أناشيد عديدة ولكنها ستأخذ ، منذ الآن ، أناشيد الحياة
أناشيد العزم والرجاء ...

هكذا يخيل للشاعر وهكذا يخيل للقارىء ، فيستريحان ويطربان
الى هذا المرسى الجميل الذي بلغناه بعد طول الاين والتكد ، فيهنىء
احدهما الآخر متمنيا طول الاقامة وطيبها - وهيهات ... فما هو الا خيال
اسهم العقل البطر في عمله ، لان الهواجس هي الغالبة وهي الاصل ، أما
الاستقرار فطارىء يندس كلما نامت النواطير فاذا « بالهواجس » التي
تنشرها « المعلم الجديد » اليوم ، اخت الهواجس التي نشرتها أمس ، وقد
نمت وترعرعت وتميزت سماتها وبدت اسبابها وقد ساء هذه النفس ان
« تحيا طليقة حياة الاسير » و « للحق في الناس شتى الصور » وألمها
ان ترى « تساقط أيامها الذابلات » فأنت ان تستنيم الموهم وسخرت
من العقل حتى جرته الى ساحتها : -

ولست من السائمات البقر عدمن النهى او عدمن البصر

سواء عليها طريق النجاة ودرب تولاه جزارها

جرته واقنعتة حتى تطوع فتولى القيادة : - « عفا الله عنى لقد

رابنى » ثم لم يلبث ان انضوى هو نفسه تحت اللواء ، وقد رأينا العامل

في هذه العودة ، توقد حس غريب الصورة « وأيسر همى أنى بشر »

ولاول مرة نرى « البشر » مكان « الشاعر » ويكاد يلتبس الامر لولا
« الحجر والبقر » : -

شربت من الوهم حتى ارتويت ونلت من الهم حتى اكتفيت
ولاويت دهرى حتى التويت فما أنا حى وما أنا ميت
وتجنى القروود ورودا رأيت ومجناني شوك ، فماذا جنيت !

ما جدوى التميز اذا كانت هذه « البشرية » عشواء تجنى ورودها
القروود !

وفي هذه « الورود » يمكن ان نلمح سببا لحزن الشاعر ، ومن
وراء هذه الورود يمكن ان نتصور العامل الشخصى للنظم والتظلم ...
وفي القروود أيد لما نلمح وسند لما نتصور ، ومن خلق القروود ، أنها
تستطيع ان تتسلق وتصل ، ومن خلقها وخلق اعوانها « الحقد الموغر
الشرير » الرخيص : -

... يسير وأيامه تقصر يؤم على الدرب أهل القبور
ودنياه من حقه أصغر وقد ضاق عنه مداها القصير ..

ولم يطل الشاعر وقوفه عند « الورود » و « القروود » وكأنه يريد
ان يحتفظ بالتفصيلات لنفسه او ان يدخرها لفرصة اخرى - وحسنا
فعل ، ولنرحل معه ... وقد عمم الخاص وذلك من بعض شؤون الطبيعة
الانسانية ، فكيف بها وقد وجدت في حاضر المجتمعات وماضيها ما يؤيدها
ويقويهها : -

... وما الذئب في غلس يرتقى باغدر من لا بسين البرود
ومن عات في الزمن الاقدم يعيث بهذا الزمان الجديد

ان في هذه « الخطوب » الجسم وما يكتنفها من « سعير الطباع »
و « مهازل الايام » ما يكفى وحده ان يكون سببا في بعث النفوس المرهفة

على التشاؤم ، ولم يرد شاعرنا ان يتكلم على لسان الدنيا ولم يدع إلى صلاح
سبل العيش فما هي الا وقفة قصيرة ارتدى على أثرها « الصوف »
وانطوى مع السابقين الذين لواهم الدهر « فابتعدوا عن بنى آدم » ،
متغربين عن « زحام العبيد » ، ان نفوسهم لاتقوى على هذا الخصام
التافه لاتطبق ان تثبت بالابهة الزائفة ، وكم تمنى ان تكون من
« الأبدات » « رعين الضحى آمن جارها » ... انطوى وانطوا محتفظين
بشرفهم وصفاتهم وتقائهم ... لقد زهدوا في الدنيا وعافوا مواردها : -
كما اغتربت في الخضم البعيد بزرق المحيطات أحدى الجزر
توحش فيها النبات المديد وغسله في السماء القمر
فما أحلى العزلة وما أطيب هذا النبات المتوحش، ما أبدعه صباحاً!
وما أبدعه مساءً. ان المرء ليحس بسيادة وانه ليحب كل شيء في جزيرته
- احدى الجزر ، يحبه ويحنو عليه ويحرص عليه من ان تمتد اليه
« الزائفات » ... ، وتدنه أوضار المدن .
ولم يلجأ « المهدي » في تصوفه الى الربط والصوامع، ولم ؟ وهناك
« جانب الشط » ... الطبيعة ابهى وأطيب ... وهى مشار ذكريات
عذاب ... ومبعث آمال جدد : -
.. وأصعد في الشرق نجم حبيب فعدت وبى نشوات عذاب ..
وفي مثل هذا ما يعيده الى الحياة ناسيا او مسامحا . أتراه يقيم
على الامل ؟ نرجو ان نرى الجواب في « المعلم الجديد » أو في « الديوان
العتيد » ... وأهم من ذلك ان نرى شاعرنا يسير من حسن الى أحسن
وله من حسه المرهف وتجربته وثقافته ... وثقته الصامته ... خير
معين ...

قصائد من القلب

هذا شاعر يضرب في ديوانه الاول (١) على وترين ضرباً هادئاً يكاد
يكون همساً ؛ وتكاد الملامسة تقسع على الملامسة والوتر يلتصق بالوتر ؛
حب كل الناس ، الغناء من اجل الجميع ، من اجل اليوم وفجر الغد ،
وبسبب ما يعتري البلاد وما يجب ان لا يكون . . وما يجب ان
يكون . . .

اصدقائي . .

عندما تورق في الأرض دمائي ،

زهرات لون حيي ،

لون قلبي

عطرها البحر ،

وطعم الخبز ،

امواج الضياء

فاضفروا منها اكاليل لشعبي (ص ٥)

وقد تكون المعاني معروفة والصور مألوقة ، قد تكون ، ولكن
الروح التي تطل من ورائها جديرة بالاحترام ، والتواضع الذي توميء
اليه تحقيق بالسمو . . والاصغاء .

انه شاعر ذو رسالة يعمل على انقاذ شعبه من الشقاء وعلى اعداده

لمستقبل سعيد . .

(١) الجبوري (سامان) - قصائد من القلب، بغداد (مطبعة اتحاد الادباء العراقيين) ١٩٦٢ .

ان لم اهب للناس

اعصابي وحرفي . .

إن لم اهبها

يا جماهير ازدريني

• • •

شعبنا المنسى في صمت الجنوب

حرفنا يفتح قلبه

حرفنا يفتح دربه

ثم . .

حب بعينه ، لم تبينه ولم نعرفه ، ولم يرد الشاعر ان يبينه ويصرح
به فكأنه شيء خاص به لا شأن للناس به ، وما شأن الناس بمن
كانت ؟ ومن تكون ؟ ومن هي ؟ . . يقول انها جنوية فهل هي
كذلك ؟

المهم انها اعقتبت في النفس اسي ومسحة حزن . وانها تركت
شاعرها يعاني الوحدة ، وانه ليرسل صوته دون جواب - ودون
طمع بجواب :

عينان . .

ودمعتان تجوان . . باتئاد ، .

ووجها الحزين شاحب ،

رماد

يريد ان يقول والصراع

يدب في خطوطه ، فيسحق الثوان

ويربط اللسان

يريد ان يقولها . . وداع ! . .
ويسحق الضمير والفؤاد

◦ ◦ ◦

أليس كل الناس يعشقون ؟
ويشعلون قلبهم شموع ؟
صغيرة ، تنير درب حبههم ،
ونار

أليس كل الناس يجهلون
ما قيمة الفراق والدموع ؟
إذن لماذا أحمل الغرام
براحتي دونما حياه
كجثة باردة . . رماد ؟ . .
اكان كل ذلك الوداد
كما اراه ،

- دونما حياة -

براحتي بارداً . . ركلم ؟ . .

◦ ◦ ◦

اقيم في فؤادي الحزين
هياكلا تصنعها يدان
تمجدان ساعة الوداع ،
والدموع . .
وتكبان في خشوع :
عينان

ودمعتان تحبوان . . باتشاد . .

ووجهها الحزين شاحب ،

رماد

ويجري في عروق القصيدة نسغ من الحياة ، هو مدار التجربة
التي عاناها وسيب الدمع الذي سكب له لدى وداع حبيبة محبة ، فكان حدأ
فاصلا في وجوده ، وجود شاعر لم يكن من الحقد بحيث يصب على الوداع
لعناته ، انما كان واياه على نمط يمكن ان نصفه بالراقي ، فقد جعله
لونا من مجد ، وهذا اكثر من طريف ، ورمز الى ان العلاقة كانت اكبر
من جسد وان قلبه اوسع من عضل وخلق له اهدأ بما يعقب العاصفة ، أو
انه يبدو كذلك ، اما في سره فيقتات على الم ويأس :

الارض في عينيك كالحبة حزينة

وخطاك تفتس التراب . . بلا انتهاء

كالبحر تعبره سفينة

ظلت تجوب مرافئ الاحزان . . مظفأة الشراع

كثيراً ما سمي الناقدون هذا رومانتيكية ، ولكن هذه الكلمة فقدت
كثيراً من دلالاتها واجترتها الالسن حتى عادت حروفاً جوفاء ملطخة
بشوائب وغرائب - فلن اقولها .

والشاعر في حبيبه صادق غير مدع ، ولا يهمه ان يصدقه الناس
ولا يريد ان يتيه عليهم فكان الامر طبيعي ولا داعي للبرهنة والاختيال .
ومن كان كذلك لم يبالغ في آلامه وآماله الوطنية ولم يغل في
حديثه عن لوعته في حبه .

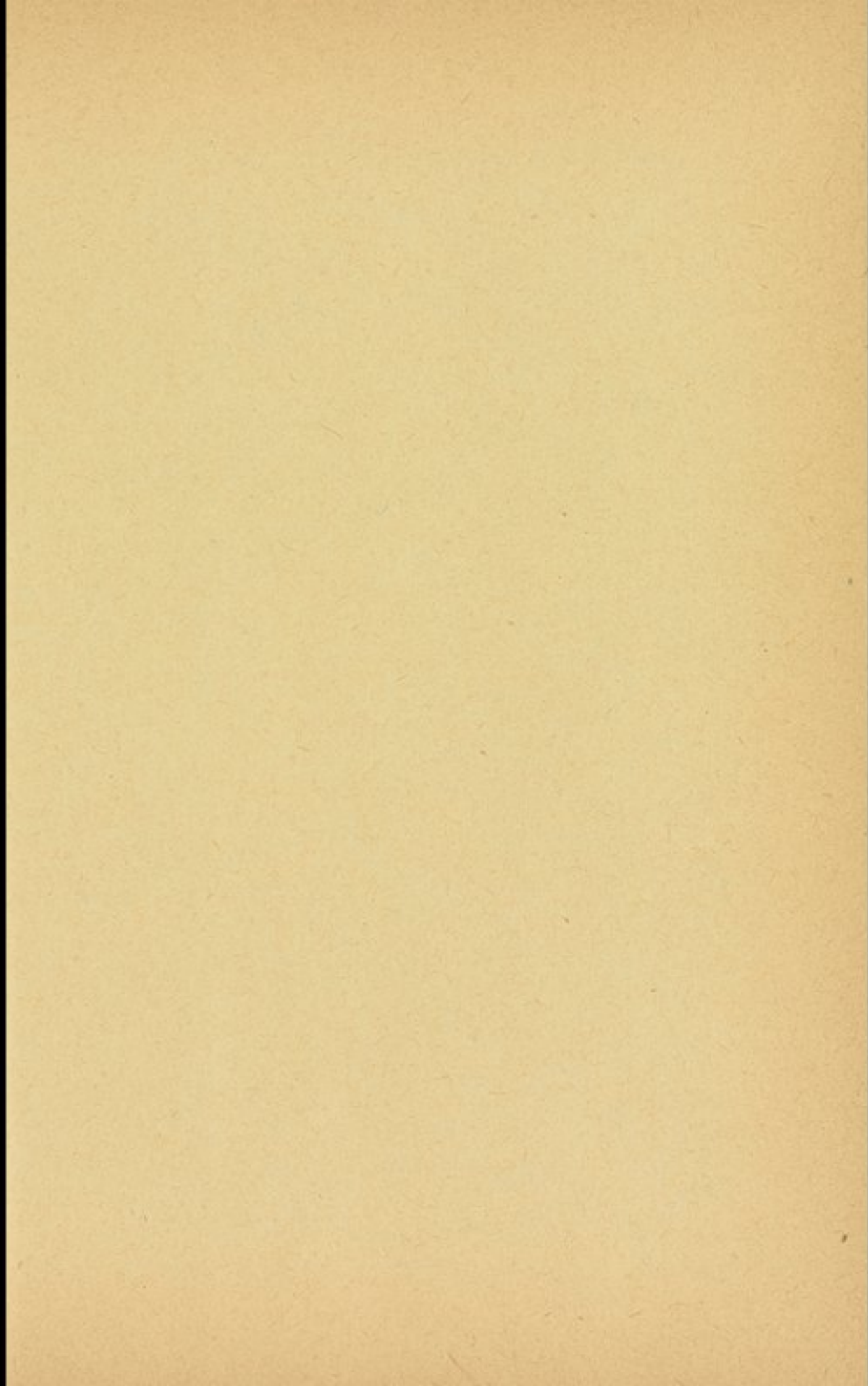
انما يزجي الكلام سهلاً مشرقاً ، ناصعاً تزينه صورة هناك

واستعارة هناك باناة وتؤدة ، وايقاع وهمس ، وغير قليل من الترف -
ومن كان كذلك نزه اسلوبه عن الجفاف وابتعد به عن الخطابة ،
وارتفع عن الشعارات . أنه امرؤ يحترم نفسه ويحترم فنه واذا رأيت
بين الحين والحين شيئاً من النثرية ، وشيئاً من السطحية ، ومتابعة لسعدي
أو لبدر... أو اشياء اخرى من هذا القبيل فلأن هذا هو الديوان الاول .
والمفروض بالديوان الثاني ان يكون اكثر عمقاً واكثر اصالة واوصل
بالقلب وابقى في النفس .

هذا هو المفروض والمنتظر وان كان الشاعر لم يدل - في قصائده - بين
١٩٥٨ ، ١٩٦٢ على تطور كبير .

فلنتظر التطور في الديوان المقبل ، فان الموهبة التي خلقت - قصائد
من القلب - ليست سحابة صيف .

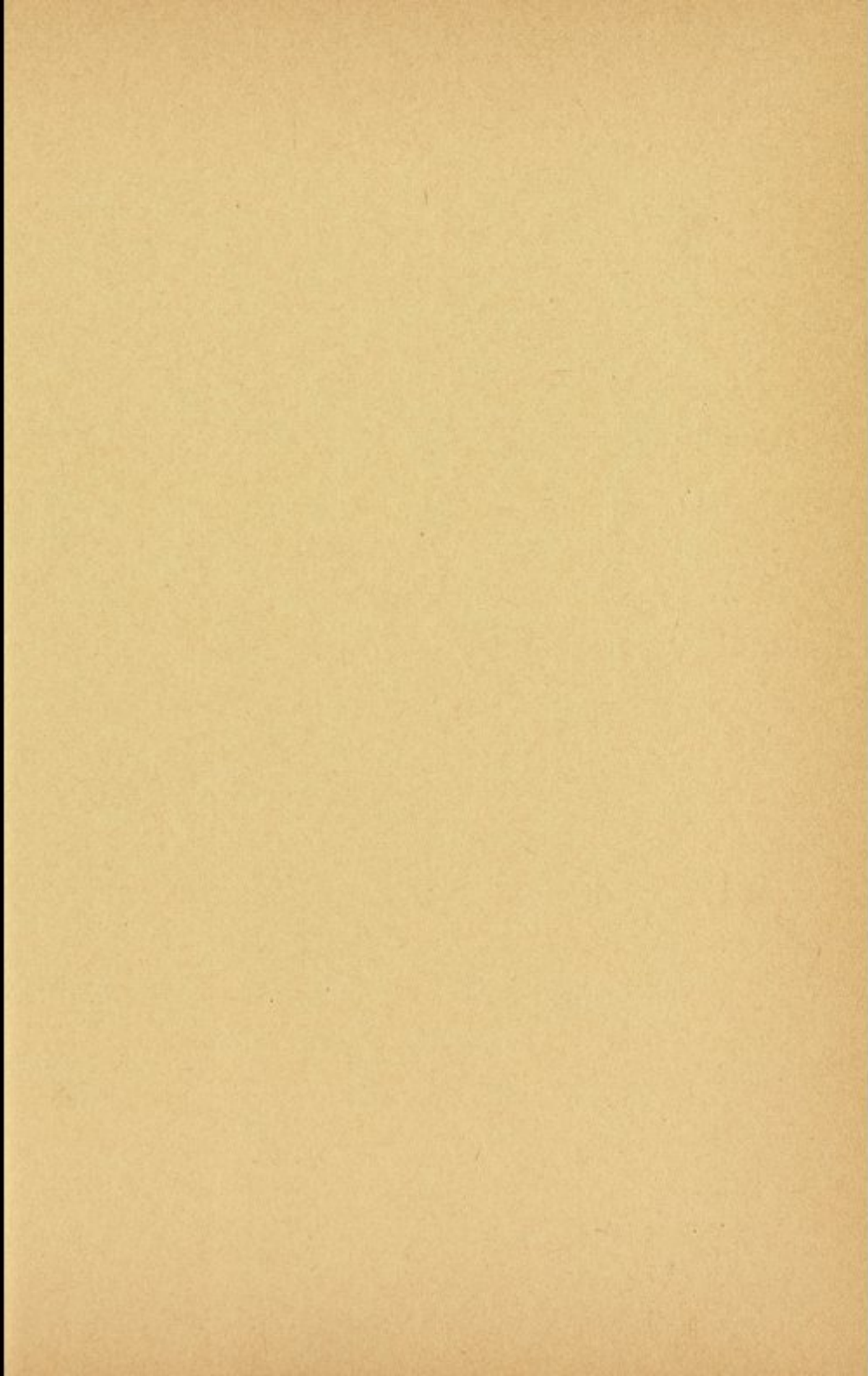
صوت الاحرار - ١٩ - حزيران ١٩٦٢



(۳)

تعريف بكتب ..

نعيه



محاضرات في النقد الادبي

تأليف الدكتورة سهير القلماوي القاهرة (مطبعة دارالها) ١٩٥٥

كان من حسنات معهد الدراسات العليا بالجامعة العربية أن دعا أستاذة الفاضلة لتحاضر في موضوع - رغم - خطره المتزايد وبسبب هذا الخطر المتزايد - كاد يصبح لعبة بيد فلان وفلان . وقد أتم المعهد فضله فنشر هذه المحاضرات ضمن سلسلته التي احتلت مكانها من المكتبة العربية .

لقد أفاد المعهد وأفدنا من هذه الكراسة ذات الموضوعات الخمسة (النقد الادبي الحديث ص ٥ - ١٣ ، الناقد ص ١٤ - ٣١ ، المؤلف ص ٣٢ - ٥٣ ، النص ص ٥٤ - ٧١ ، القيم والميزان ص ٧٢ - ٨٥) التي عرضت بوضوح واشراق وتؤدة خلاصة لتدريس غير قصير ، وزبدة لمطالعات نابهة في أكثر من لغة ، وعلى أكثر من صعيد . ولا غرو فما كانت الدكتورة الفاضلة دخيلة على الموضوع ، ولا جديدة عهد به ، وكان بإمكانها أن تؤلف مذعام ١٩٤٧ وقبله ... تؤلف ... وتطبع ... وتعيد الطبع - لو شاءت . والقلمماوي قديرة فيما تكتب ، لانها - كما يقول أهل التربية الحديثة - أستاذة نامية ، لا تقف عند عدد محدود من الكتب والآراء تعيد فيه وتبدي ، انها تتابع تطور النقد الادبي في كل مرحلة - خيرها وشرها ، نجح أم لم ينجح ، قديما وحديثا . وهي اذ تقرأ الغرب لاتنسى تراث العرب والاسلام ، وقد نبهت (ص ٥١ ، ٦٢) لدراسة الوحي والكلمات المتشابهة من زوايا غفل عنها كثير من الباحثين - حتى الذين تجردوا للتأليف في تطور النقد الادبي عند العرب .

من أول ما عنيت به الدكتور القلماوي في كتابها ، هو تمهيد الطريق
وتحديد الموضوع ، و « ان النقد الادبي كثيرا ما يختلط ب... تاريخ الادب » واننا
نجهل المدلول الدقيق للنقد وهو يعالج النص والنصوص ، ونجهل صلته بعد ذلك
بالادب المقارن . واذا ما اتضحت السبل - أو كادت . حدثتنا عن مهمة
الناقد (ص ١٤ - ١٨) بين التحليل والحكم . ولكن من هو الناقد ؟ الجمهور
أم المحترفون (ص ١٩ - ٢٣) ؟ وكثيرا ما دعا الكاتبون - وتوفيق الحكيم منهم -
الناقد لان يتجرد عن الهوى (ص ٢٧ - ٢٨) ولهم حق في ذلك ، ولكن
الاستاذة سهير تؤمن بأنك « اذا أردت أن تطاع ، فمر بما يستطيع » وتقول :
« أنستطيع أن نطالب الناقد ألا يتقيد بذوقه الخاص ؟ ... » ان « كل ما
يمكن أن نطالب به الناقد ... هو أن يتجرد عن الهوى الذي تمليه عليه
أشياء أجنبية عن الفن ... » وفي هذه الاقوال حكمة ، وخبرة بطبيعة
الاشياء . وخلاصة لمناقشات طويلة .

والمؤلف ، مؤلف النص الادبي ، من الموضوعات التي أكثر النقد الادبي
الكلام فيها ، وغايته الاولى في ذلك التعرف على النص وجدته ، ولكن
الذي حدث أن خرجت هذه الدراسات الى ميادين أخرى كالتاريخ وعلم
النفس وربما الطب أيضا (ص ٣٢) . ولولا الحذر الذي يغلب على
المحاضرة الفاضلة للاحظت أن هذه « الغاية » استحالنا أحيانا شططا
وبلادة وأصبحت غاية بنفسها لا تذكر السبب الذي وجدت من أجله
(تنظر ص ٣٦ - ٣٧) .

وقد تصدى للكلام على العوامل المؤثرة في الفنان ، سنت ييف الذي
يعزو العامل الاول الى احداث حياة الشاعر الخاصة ، وتين صاحب
« الزمان والمكان والجنس » ، وقد كتب هذان العلمان كثيرا وكتب عنهما
كثيرا ولقيت نظرياتها - فيما لقيت - من التفيند ، في فرنسا في غير فرنسا ، وقد

سمعنا بشيء من ذلك ولكن الدكتورة سهير تريد أن تثبت في كتابها «
الرد على الرد» فتقول «لاتين ولا سنت ييف كانا من هذه السذاجة
بشيء ص ٤٢» وأخشى أن تكون سورة الدفاع قد حملتها بعيدا . ثم
ترك سنت ييف وتين وتستعرض آراء جوردان - الكاتب المعاصر - عن
أثر «النظام» ، النظام الثقافي كله لعصر من العصور في النص
الادبي . وقد لاحظت - ولاحظنا - أن في هذه النظرية كثيراً من
الغموض والابهام .

وبما تقتضيه دراسة الاديب المنشئ ، «محاولة» معرفة «عملية الابداع
الفني ص ٤٦» وصلة الوحي بها ، وعرض لبعض البحوث المهمة فيه مثل
كتاب الأنسة هاردنج وتعرض للفرق بين قصد الشاعر وقصد القصيدة :
أقول «محاولة» ، لان هذا «العلم» من هذا الميدان يبقى محاولة
مهما بلغ من العمر أو يبلغ . وليس غريباً أن نقرأ
في ختام هذا الفصل (ص ٥٣) انه «مهما تكن قيمة هذا الكلام
الذي يقوله الشعراء عن أنفسهم ومهما يتقلص الميدان أمام البحث العلمي ،
فالذي لا شك فيه أن مناطق أو مراحل هذه العملية لا يمكن الا أن
نظل غامضة ، لانها لا بد أن تعتمد على شيء شاذ عبثي هو السر الفني ..»
اذن لنتركه نحن ونتكلم على النص ، روح النقد وجوهره ، وليس
عجيباً أن يسير النقد الحديث «نحو تمجيد النص الادبي وحصر الجهود
حوله حتى أصبح النص شيئاً شبه مقدس ... يستأثر بكل انتباه الناقد
ودراسته» ولا سيما بعد الذي أفسدته «النظريات الاجتماعية والنفسية
والتاريخية» مما أدى الى صيحة فلوير وغير فلوير (ص ٤٤) . وموضوع
دراسة النص واسع جداً ، وقد عنيت السيدة الموافقة بنقاط مهمة ، عالجتها
من زوايا قل أن ينظر منها عندنا ، فقد تكلمت في «الاداء» (ص ٥٤ -

(٦٦) : فالكلمة صوت ، والكلمة لا توجد مفردة ، واذن فالموسيقى والاوزان والايقاع الداخلي من أسس النص . هذه الاداة صوت له دلالة ، فما دخل هذه الدلالة بالايحاء الموسيقى ؟ وما هو الخيال الصوتي الذي يدعو اليه اليوت ؟ وما علاقة الجرس بالمعنى ؟ ثم شيء عن الدلالة في الحقيقة والمجاز والكلمة المركبة والتشبيه والخيال ، ومن النقاد الكبار من عرف الفن الادبي بأنه « لغة الخيال » ، « ولا تنسى أبداً ، أننا في دراسة الخيال لا نعني بالصورة من حيث هي ... وإنما ... الطاقة الايحائية ... ص ٦٥ » . وخلاصة القول في الاداة هي أن « ميدان الشاعر ليس هو اللفظ من حيث انه صوت أو أصوات أصطلح على معنى معناها ؛ وإنما مجالاته في تركيب هذه الاصوت بحيث تنسجم وتتوافق انسجاماً وتوافقاً لا يأتي من طبيعة اللفظ ولا يخضع لقواعد (الا العامل الشامل منها) . كما أن مجالاته في ارتباطات هذه المعاني بعد ترك هذا الذي اصطلح عليه ، جانباً ، لانه لا مجال لابداع الفن فيه ص ٦٥ » .

ان لدراسة النص هذه صلة « بالانواع الادبية » (ص ٦٦ - ٧١) وقد مست المؤلفة هذه الصلة مسأ خفيفاً وسريعاً ، وتساءلت عن مدى تحكم النوع بالمضمون أى تحكم الشكل بالمادة الفنية ، وعن أشياء أخرى لم تلبث أن عرضت اثرها تقسيم أرسطو الشعر الى غناء وملاحم ومسرحيات وما لقبته هذه التقسيمات من سلطان حيناً وتمرد حيناً آخر ، ولئن وجد من الغربيين من درس الانواع الادبية حسب نظرية داروين فان ذلك مما يصعب تطبيقه في الادب العربي .

يسود طابع السرعة هذا ، في الفصل الاخير من الكتاب الذي عالج « القيم والميزان » وعرض لما كان بين ارسطو وافلاطون ثم ... الميزان الروماني ثم الميزان الخلقى ثم الجمالي الذي يعتمد أصحابه « على النص

مجرداً الى حد بعيد من حال المؤلف النفسية وحال الناقد النفسية ما
أمكن « انهم » يدرسون النص من حيث الكشف عن مواطن الجمال
فيه التي تنطبق على المقاييس الجمالية الصرفة : الانسجام ، التوافق ،
الترايط ثم الاخيلة والصور ثم الالفاظ والموسيقى « . ولا شك في أن
هذا كلام يكتنفه الغموض وربما ازداد غموضاً وفوضى « كلما بولغ
في توضيحه وفلسفته . وكما حال ضيق الوقت (ص ٨٤) عن تبين
المذهب الجمالي ، فقد حال دون الكلام على عودة النقد الحديث الى
الميزان الخلقى .

ينتهي الكتاب ، الكتاب الجامعي ، وكنا نتنظر أن ينطوى على قائمة
تفصيلية بالمصادر التي اعتمدها المؤلفة ، واثم ذكر الكثير من هذه
الكتب خلال البحث فانها وردت مقتضبة وغير مصحوبة بالحرف اللاتيني
الذي يعين على البحث عنها أو مراجعتها أو تلفظها - على الاقل ، فكيف
يبعث مثلاً ، طالب لم يسمع بـ Richards اذا رآه على شكل رتشارد
وما زلنا مختلفين في كتابة الـ Ch ، ومثل ذلك قل في « جيون »
و « ركاردو » . ثم أن أحد الطلبة قرأ رأى أى اليوت في
« الخيال الصوتي ص ٩٥ » وأعجب به وأراد أن يستقصيه فأين يجده ؟
أفي مجلة أم في جريدة أم كتاب ؟ ان المؤلفة تعلم جيداً أنه لم يتبيهاً
لتلاميذنا وقرائنا الوقوف على كل هذه الاسماء من قبل ، وان ذكرها
في الكتاب على الشكل العابر ، لا يؤدي الغاية المتوخاة في بعث طلابنا
على البحث والرجوع الى الاصل ، ان ما نقوله لهم بلغتنا العربية لا يعدوا
أن يكون تمهيداً - هو قليل جداً من كثير جداً ، ولا بد من التسليح
بلغة أجنبية لمن أراد أن ينهل من المنبع . ان هذه اللغة الاجنبية - وانستطرد

قليلا - تعلمه أن الكثير مما تمسّدق به - من آراء يعتبرها شخصية ويتصورها
مبتكرة ... لا يزيد على أن يكون آراء شباب . ان الالمام بشمار الغرب
يوفر عليه كثيرا من الغرور وكثيرا من الأتعاب .

اننا لم نطالب الدكتورة المحترمة أن تكون صاحبة نظرية أن نظريات
في النقد الادبي ، وهي أجل من ان تدعي ذلك ، ولكنها أجادت الفهم
وأحسنّت التفهيم وتلك أهم واجبات من يتصدى الموضوع من الموضوعات التعليمية .
ان السيدة القلماوي محاضرة ومدرسة وليست فيلسوفة ، وغاية التدريس
- رضينا أم أيننا - أن تقدم المعارف بوضوح واتساق يدلان على تمكّنك من
فهمها وسهرك على حذقها ، وهذا ما توفر بنجاح في الكتاب الذي نحن
بصدده . واذا جهل الطلاب والمدرسون هذه الحقيقة فإنهم يصبحون
- في لحظات - فلاسفة كبارا ويكفي أن يردد الواحد منهم عددا من الآراء
التي لا يعيها والمصطلحات التي لا يفقهها والاسماء التي لا يعلمها . وهنا
يصبح النقد الادبي - كما هو اليوم - خطرا على الفكر وآفة في الضمير .
أجل ، ولكن ذلك لا يمنع أبدا - كما فعلت الاستاذة المؤلفة فملقت -
وهي تستعرض آراء الآخرين تعليقا شخصيا هو ثمرة تتبعها الخاص . وقد
عرفنا مثلا أنها من انصار النص . ولم يظهر هذا الحماس في الفصل
الذي عقدته عليه حسب ، انما لمستاه هنا وهناك على مختلف الصفحات
الآخري ، ومن الصعب فصل مواضيع النقد الادبي (ص ٧) . وعندى
أن « نصيتها » تبدوا على أو ضحها فيما عرضته للدفاع عن سنت يف
وتين (ص ٤٠ - ٤١) . ولكنها ، كأغلب ، « النصيين » ، خصت ما حول
النص بأكثر عدد من الصفحات - وهي تعلم يقينا أن ذلك لم يكن في
صميم النقد وانما هي محاولات ... فاشلة . ثم انها . كأغلب النصيين
تبرر (ص ٨٤) هذا الجهد المبذول بأنه « فشل لا بد منه ولعله فشل خير

من النجاح» ! وقد قالت المحاضرة مرة (ص ٦ وهي الصفحة الاولى من الكتاب) : « لنبدأ بالكلام عن نص معين ... ولناخذ مثلا قصيدة حافظ ... ، رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي ... ! » ومن سمع قولها وانتظر دراسة نصية للقصيدة ، كان مخطئا في انتظاره . وكم من فرصة مثلها عرضت ، فمرت وكأن لم تكن . ان الذي بلوح لي - على كل حال - أن الطابع النظري الفلسفي هو العنصر السائد في تكوين السيدة الفاضلة وبناء عقليتها .

وفي الكتاب بعد ذلك هنات هتات ، مرد أكثرها الطباعة أو ضيق الوقت ، ومن تلك ، نسبة « السيد » (ص ١٧) لمولير ، والمؤلفة تعلم (ص ٢٢) أنها لكورني ثم هناك اضطراب في نظام الفوارز (ص ٣٣ ، ٤٨) ، وكتابة همزة ان (٤٩ ، ٥٢ ، ٥٧ ، ٦٥ ؛ ١٤ ، ٢٩ ، ٥٠ ، ١٨ ، ٥٢) ، وهمزة القطع (ص ١٨) . أما الجمع بين قد ولا (ص ٤٨) وبين أل واسم التفضيل ومن (ص ٤٨ ، ٦٥) وما الى ذلك مثل « هاما ص ٣٦ » . فما لا يقبله الصرفيون والمغويون . وربما جرت طبيعة أسلوب المحاضرات وجر التأثير بالعبارة الاجنبية الى شيء يتصوره القارىء تناقضا « ص ٤٨ هاردينج والوحي » وغموضا « ص ٦٥ » والى شيء من الوهن في تركيب عدد من الجمل مثل « ولكننا لاشك نسأل سؤالا جوهريا ... ص ٣٣ » ومثل « ولكن أحداث حياة الشاعر ما دامت يمكن أن تكون ... ص ٣٥ » ومثل « وقد يتكلم عن هذا ثانويا في باب الاخراج اذا تكلم عنه أصلا ... ص ٨٢ » « اذن فالموضوع ليس يدخل ... ٨٢ » .

ان هذه الملاحظات الا « توافقة » بالاضافة الى ما للكتاب من قيمة - والى ما لاسلوبه من سلامة ووضوح والى ما نعرفه في الاستاذة الكريمة من فضل . كم تمنى لو استطاع معهد الدراسات العليا أن يصل الدعوة بالدعوة .

فيحفظ الدكتور القلماوي الى جزء ثان تفصل فيه ما أوجزته من نقاط كالاداة مثلا وتزيد عليه فصولا أخرى ضرورية لاستكمال جوانب البحث .
وكم نرجو من المؤلفة - المحاضرة أن تبر بوعدها «ص ٧٨ ، ٨٥» فتخرج لنا كتابها العتيد في القيم والميزان . وكم نأمل أن يكون كتابها « المحاكاة » الذي أصدرته عام ١٩٥٣ ، الحلقة الاولى من سلسلة طويلة وعميقة في « فن الادب » . الا ان الدكتور سهير القلماوي من خير من ألف باللغة العربية في الموضوعات الغربية للنقد الادبي . واذ نقول « من خير » فانما نفكر - أول ما نفكر - بالدكتور محمد مندور صاحب الآثار التي يطمأن الى سلامتها في هذا الباب (١) .

الاستاذ ١٩٥٦

(١) اجتذب « معهد الدراسات » الدكتور مندور وأعادته الى النقد الادبي بعد غياب سياسي .
مكان من آثاره « محاضرات في الادب ومذاهبه » - القاهرة ١٩٥٥ . واذا كان طرق موضوع المناهب -
قبل ذلك في كتابه « في الادب والنقد » الذي طبع عام ١٩٤٩ ، واعد طبعه عام ١٩٥٥ . فان في
كلامه الجديد افادات واطافات ، وأما كلامه على « الادب » فهو فصل كنا نتظره ، وطالما اقتدناه في
كتبه السابقة لانه تمهيد طبيعي للنقد وهو بهذا متمم لكتاب الدكتور القلماوي . ولعل الدكتور مندورا
يذكر - عند اعادة طبع كتبه - ثبتا بالمراجع التي اعتمدها .

الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي

تأليف الدكتور يوسف خليف - دار المعارف ، مكتبة الدراسات الأدبية ٨ / القاهرة ١٩٥٩

منذ سنوات والباحثون يشعرون بضرورة دراسة الأدب العربي ، والمجتمع العربي ، والتاريخ العربي على غير النهج المألوف ، وبغير الروح التي أصبحت جامدة لا تحيد عن خط محدود . فأرادوا أن يوسعوا دائرة البحث لتعنى بما لم يعن به التاريخ ، وبمن عاشوا في زاوية وماتوا في زاويتهم مع عظم دلالة وجودهم .

فليس من المعقول مثلاً ، أن يكون العصر الجاهلي ، شيوخ القبائل ، وشيوخ الشعراء . . فلا بد من أن يكون من الناس من كان يمون المجتمع ويقوم أوده ، ولا بد من أن تكون هناك مجموعات لم يكن ليؤبه بها ، لكنها ، مع ذلك ، جديرة بالبحث والدراسة ، حرية بالعناية والاهتمام .

وكان الصعاليك مما لفت نظر هؤلاء الباحثين ، في الزوايا عن موضوعات أكثر جدة ، وأكثر انصافاً ، وأكثر شعبية ، وظلوا يحومون حولهم . . . وزاد عدد الذين هموا بدراساتهم ، وداعتبتهم الاحلام بالكشف الجديد الذي يرضى روح العصر الجديد . .

ولكن البحث في الصعاليك وأمثالهم يلزم صاحبه أشياء كثيرة ، أقلها الصبر والجد ، والانابة في التنقيب في المصادر المتناثرة عن هذا الخبر أو ذاك ، وعن البيت والبيتين . [لان التاريخ — كما أصبح معلوماً — لم يكتب كما

يجب ، وأن الكتب التي وصلت اليها كتب خلفاء وسلاطين ؛ ولم تكن بغير
الحاكمين الا عرضاً ، وان الشعر الذي عني الناس بحفظه هو الشعر الذي
قبل في مدح هذا الخليفة وذاك الوزير ، اما شعر طائفة نبذها المجتمع
فانتقمت لنفسها بالشكل الذي سمح لها زمنها أن تنتقم به ، فلم
يكن معقولاً ان يرعى او يحفظ .

اذن ، كيف الكلام على الصعاليك ! ويبدو انه لا بد من الكلام على
الصعلكة والصعاليك !! كيف ؟ وكيف ؟

من الناس ، من استسهل — على عادته — الموقف ، واكتفى بسطر
وسطرين فكون حديثاً طناناً رناناً ، لا تعرف اوله من آخره ، ولا صدقه
من كذبه ، ومنهم من استغل ركض الناس وراء العنوانات فألف فصولا
لا ماء فيها ولا نبات . والمسألة أخطر من ذلك !

وليس من العدل أن نتحدث عن شيء ، ونؤلف في شيء ، دون أن
يكون لنا الجلد على جمع المواد الاولية من كل مصدر ومرجع ، ومن
بين كل شارد ووارد ، ومطبوع ومخطوط .

والا ، فليس من الصعب أن تطيل الحديث الخيالي ، وليس من
الصعب أن تطيل الكلام في اشتراكية الصعاليك ، وان تزيد على ذلك
فتنسب اليهم كل ما تريد ، وكل ما توحى اليك النظريات في
الايجاب والسلب .

المهم اذن ، أن نتحدث عن علم ، وأن نتجرد — في الاقل — الى
جمع المعلومات ، وليس هذا بالامر السهل في مسألة الصعاليك .
ولهذا ..

كانت أهم المحاولات ، وأضخمها ، هي احداثها ، اى المحاولة التي

قام بها الدكتور يوسف خليف في كتابه الذي صدر حديثاً بعنوان « الشعراء الصعاليك في الشعر الجاهلي » .

وقد بدأ الرجل كما يجب ان يبدأ . . .

وأخبرنا في مقدمته أنه مفتون بالعصر الجاهلي ، وأنه حين فكر في دراسة العصر الجاهلي لم يحاول أن يقف منه موقفاً عاماً شاملاً . . . وإنما حاول أن يتخير جانباً من جوانبه .

ففعل ، وأختار « الشعراء الصعاليك » .

ثم عرض منهجه في البحث وهو سليم كل السلامة وقد زان متانة الخطة فيه ، الاتزان والحذر والنواضع .

ثم بدأ يستقصي ، ويستقرى ويستنتج :

« والصعلوك » هو الفقير الذي لا مال له يستعين به على أعباء الحياة ، ولا اعتماد على شيء أو أحد يتكئ عليه أو يتكل عليه ليشق طريقه فيها . . .

فالمسألة . . . ليست فقراً فحسب ، ولكنها : فقر يغلق أبواب الحياة في وجه صاحبه ، ويسد مسالكها . . . « في ركابه الجوع » و « شعوراً حاداً بالفقر » .

ينظر هؤلاء الفقراء الجياع ، المحتقرون في مجتمعهم ، المنبوذون من اخوانهم في الانسانية ، الى الحياة ليشقوا لهم طريقاً في زحمتها ، وقد جردوا من كل الوسائل المشروعة ، فلا يجدون امامهم الا أمرين : اما أن يقبلوا هذه الحياة الذليلة المهينة التي يجيئونها على هامش المجتمع ، في أطرافه البعيدة ، خاف أدبار البيوت يخدمون الاغنياء أو ينتظرون فضل ثرائهم ، أو يستجدونهم في ذلة واستكانة ، واما أن يشقوا طريقهم بالقوة نحو حياة

كريمة أبية ، يفرضون فيها انفسهم على مجتمعهم ، وينتزعون لقمة العيش من أيدي من حرموهم منها ، دون أن يبالوا في سبيل غايتهم أكانت وسائلهم مشروعة أم غير مشروعة ، فالحق للقوة ، والغاية تبرر الوسيلة .

« وقد سلك الصالِك السبيلين ، أو بعبارة أدق ، انقسموا في هذين السبيلين الى طائفتين : طائفة قبلت ذلك الوضع الاجتماعي الذليل ، وطائفة رفضت ذلك الوضع ، وأبت أن تعيش الحياة الساقطة التافهة المهينة ، ووجدت في القوة ، قوة النفس والجسد ، وسيلة تشق بها طريقها في الحياة .

وفي شعر عروة بن الورد موازنة طريفة بين الطائفتين :

لحا الله صلوكا اذا جن ليله	مصافي المشاش ، ألفا كل مجزر
يعد الغنى من دهره كل ليله	أصاب قراها من صديق ميسر
ينام عشاء ثم يصبح طاويا	يحت الحصى عن جنبه المتعفر
قليل التماس الزاد الا لنفسه	اذا هو أمسى كالعريش المجور
يعين نساء الحى ما يستعنه	فيمسى طليحا كالبعير المحسّر
ولكن صلوكا صحيفة وجهه	تضوء شهاب القابس المنتور
مطلا على اعدائه يزجرونه	بساحتهم زجر المنيع المشهر
فان بعدوا لا يامنون اقترابه	تشوف أهل الغائب المنتظر
فذلك ان يلق المنية يلقها	حميداً ، وان يستغن يوماً فأجدر

وليست الصعلكة امرأ من غير تعلق .

انما هي ظاهرة اجتماعية يفسرها « التضاد الجغرافي » لجزيرة العرب ، والنظام السائد القائم على الايمان بالوحدة القبلية وبجنسيتها والعامل الاقتصادي الذي نتج عن طرق التجارة ، والتناقض الطبقي .

وهكذا ينتهي الباب الاول بعد ان استغرق حوالي مئة وخمسين صفحة
لا غنى عنها .

وينفتح الباب الثاني ، ويتناول فيما يتناول موضوعات شعر الصعاليك ،
وفي هذه الموضوعات : أحاديث المغامرات ، والمراقب ، والتوعد والتهديد ،
والاسلحة ، والرفاق والفرار ، وسرعة العدو ، الغزوات على الخيل ،
وطبيعي ان يتضمن شعر الصعاليك آراءهم الاجتماعية والاقتصادية ،
والتعليقات التي تملبها عليهم ظروفهم لتفسير حياتهم وتسيب صفاتها ..

فقد رسم السليك صورة انسانية مؤثرة لما نالقيه خالاته الاماء السود
من الضيم والهوان ، وهو عاجز لفقره عن أن يعمل من اجلهن شيئاً .

أشاب الرأس أني كل يوم أرى لي خالة وسط الرحال
يشق علي أن يلقين ضيماً ويعجز عن تخلصهن مالى
والخطة العملية في فلسفتهم : الغزو والاغارة :

متى تطلب المال الممنوع بالقنا تعش ماجداً أو تخترمك المخارم

« ومن الطبيعي أن تكون طبقة المالة اكثر طبقات مجتمعم تعرضا
لغزواتهم فبينما كان تأبط شراً يفضل اصحاب المواشي ، واصحاب المزارع
الخصبة ، واصحاب النوق الحوامل ، كان « الأعلام » يقصد التلك السمان
المترفين ، ضعاف القلوب :

أيسخط غزونا رجل سمين تكنه الستارة والكيف
ولو رفعت ثوبك في خروق تروعك في مهالكها الشدوف
تخاف لزام عادية ثعول كما يتفجر الحوض اللقيف
اذن لذكرت حالك غير عصر وافسد صنعها فيك الوجيف

« وقد رسم بذلك صورة ساخرة طريفة ، لرجل مترف ، وجهت اليه
امرأته برها وعنايتها حتى سمته فأصبح من صنعها ، ولكنه مع ذلك

- ولذلك - ضعيف القلب ، لو اخترق صحراء لفرغته شخوصها ، ولحسب كل شخص فيها فارساً ، لانه خائف من اولئك الصعاليك المتربصين به وبأمثاله في ارجائها ، الذين اذا رأوه انصبوا عليه كما تتفجر المياه من حوض متهدم يحاول صاحبه اصلاحه دون جدوى ، وعندئذ تضطرب نفسه ، وينهار كيانه ، ويفر هارياً ، ويذهب صنع امرأته فيه سدى « (ص ٢٢٧) .
صورة ساخرة طريفة لصيد سمين .

وبعد أن يستوعت الاستاذ المؤلف الحديث عن موضوعات شعر الصعاليك هذه ، ويخصص لها اكثر من سبعين صفحة ، ينتقل كما يقتضى منهج البحث العلمي ، فيخصص ما يقرب من ذلك لدراسة الظواهر الفنية ، فيقف عند كبل ظاهرة وفرة مناسبة تجلوها وتؤيدها بالشواهد وبما يجلو الشواهد نفسها .

ثم يعقب ذلك بدراسة خاصة لانموذجين مختلفين من الصعاليك : عروة بن الورد الذي يمثل شخصية الصعلوك الانساني ، والشنفرى الذي يمثل شخصية الصعلوك المتمرد .

وينهى الكتاب - كما يجب - بخاتمة تركزه وتلخصه .

وبعد ..

فكتاب « الشعراء الصعاليك » سفر قيم ، بذل فيه مؤلفه الفاضل شطراً حميداً من عمره بأناة وصبر فجاء ثمرة طيبة ، وأثراً محموداً .
وان المرء حين يريد أن يقدم هذا الكتاب الى القاريء لا يملك اكثر من هذه الخطوط الهزيلة التي رأيناها ، ولاشك في أن خير طريقة لمعرفة هي قراءته كاملاً .

ولقد سد الاستاذ المؤلف - على الناقلين الباحثين عن المعائب الكبار السبل

التي اعتادوا النفاذ منها - بعلميته وموضوعيته ، وسدها بسلامة فكرته
وسلامة منهجه ، ثم سدها بتواضع لا يتأتى الا للعالم ، وحسبك ان
تسمعه يقول - بعد ذلك الجهد الجاهد - أن كل ما وصلت اليه من نتائج
لا يمكن أن يكون الكلمة الاخيرة في الموضوع .
وبمثلته ، ومثله فليعمل العاملون .

المعلم الجديد - كانون ثاني - شباط ١٩٦٠

تكملة اكمال الاكمال

في الانساب والاسماء والالقباب

تأليف جمال الدين أبي حامد محمد بن علي المحمودي المعروف بابن
الصابوني المتوفى سنة ٦٨٠ هـ . حققه وعلق عليه الدكتور مصطفى
جواد . بغداد (مطبوعات المجمع العلمي العراقي) ١٣٧٧ هـ -
١٩٥٧ م

لا يستطيع ناقد أن يقول في تحقيق هذا الكتاب شيئاً غير المدح -
المدح من كل صنف ولون ؛ ولا يجد حاقداً على المحقق منفذاً ، فلقد
- والله - قلبته راضياً ، وقلبته ساخطاً فما وجدتهني الا معجباً ، ومادحا
حامداً ، ومن اللؤم أن نبخس الناس أشياءهم ، ومن اللؤم القعود عن
الثناء على المجيدين . وألح على كلمة « تحقيق » لاني أعلم أنها في نشر
هذا الكتاب أهم من الكتاب نفسه ، ويكفيك أن الدكتور العلامة قد
جعل من الكتيب الذي لا يزيد على (٥٠) ورقة ، مجلداً ضخماً بأكثر
من (٥٠٠) صفحة . واذن فما كان اجدر أن يسمى « تكملة تكملة
اكمال الاكمال » .

وليس الدكتور مصطفى جواد غريباً على أحد ، والناس يعرفونه
ويعرفون مثابرتة ونشاطه ، وتبحره في التاريخ وفقه اللغة العربية ، ولقد
ساعد على ذلك - فيما ساعد - المذيع والمجلات الكثيرة والمجامع العلمية

والمؤتمرات والتعليقات والتعقيبات والتصحيحات وتقويم عوج المختصين ...
و « الناصر » و « الفتوة » و « سلامة اللغة » ... و « الجامع المختصر »
و « المختصر المحتاج اليه » و « الجامع الكبير » ... و « سيدات البلاط
العباسي » و « المباحث اللغوية » ... و « بغداد قديماً وحديثاً » و « في
اصول الادب والتاريخ » ... الخ ... الخ .

يعرف الناس الدكتور مصطفى جواد ، ويعرفون علمه وتبحره ،
ولكنهم - على ذلك - سيدهشون اذا وقفوا على « تكملة اكمال الاكمال »
ورأوا الحواشي والتعليقات والتصحيحات ... و « علم المؤلف والمختلف »
اي نعم ، ان استاذنا مختص بهذا العلم ، وهو فن جليل لا يهيا الا بالصبر
والمثابرة والذاكرة والاخلاص في العمل والخبرة الطويلة ، والا ، كم هم
الذين ينتهبون الى الخطأ في « الافشين حيدر بن كاووس » والى الخطأ في
« علي بن أحمد القالي » وفي « الطيب أبي الثناء محمود ... ابن دقيقة » ؟
من ؟ لقد أخطأ في الاول الشيخ الحضري وفي الثاني الاستاذ احمد امين
وفي الثالث الدكتور احمد عيسى المصري ... وصواب كل ذلك عند
استاذنا الدكتور مصطفى جواد أو بمعنى أدق عند بحثه وعلمه . وهكذا
نعلم أنهم : « خيذر » و « القالي » و « ابن زقيقة » ، وهو يعتمد في ذلك
عديداً من المصادر والنصوص ، ومن بينها هذا الكتاب الذي يحققه .

في هذا الكتاب ، يستدرك ابن الصابوني ، ويذيل على « اكمال
الاكمال » الذي ألفه ابن نقطة المتوفى عام ٦٢٩ هـ في الانساب والاسماء
والالقباب ، وقد رتب ابن الصابوني كتابه على حروف الهجاء ، وذكر
في الاسطر المختصة لكل علم : النسب والاساتذة والتلاميذ ، وأعار تاريخ
الولادة والوفاة جانباً من عنايته ، وربما استشهد بالبيت أو الايات اذا
كان المترجم قد زاول الشعر ؛ الا أن همه الاول هو الحديث وأصحاب

كل اسم ، وعلى سبيل المثال : ابن بكمش ، ابن سودكين ، شهدة ...
الخ الخ - ثم انظر فهرس الاعلام لتعجب ...

ان اسما يأتي عرضا في خبر من الاخبار يضبطه الدكتور ويجهزه
بأكثر من نصف صفحة من المصادر والمعلومات ، ولك أن تنظر مثلا :
الختلي ، الجنابذي ، الرامشي ، ابن حمويه ، الامنازي ، بني زهمويه ،
الدغولي ، أبو الفضل منوچهر وابن الدجاجي ، ابن البلطي ... الخ الخ .
وفاطمة بنت سعد الخير والمبارك بن الشعار ... وبين هذه الاسماء من
تبلغ حاشيته الصفحتين وزيادة ، ولك أن تنظر على سبيل المثال : حاشية
أبي العلاء الحسن بن احمد (ص ١١٨) وحاشية العليمي (ص ١٧٨)
والكركي (ص ٢٧٦) .

وليست مسألة الحواشي مسألة حجمية أو عددية ، انما هي فن وعلم .
لانك انما تترجم الاسماء المغمورة التي لا يمكن أن تمتد اليها يد عامة
القراء ، وانك تذكر من المصادر ما كان نادرا جداً عما لا يقع في متناول
كل يد . فليس من المعقول أن تترجم لعنتره العبسي أو لعمر بن الخطاب
أو لحسان بن ثابت ... لان ذلك أمر تافه ، وما أسهل أن تجعل كل
هامش كتاباً كاملاً ، وهو بعد ذلك عمل أولى يقع فيه المبتدئون في علم
النشر . ان التعليق يجب أن يكون كما فعل الدكتور مصطفى جواد .
وهذا ما لا يتهاى بيسر ، لانه يعتمد استعداداً طويلاً ، وقد يقول قائل .
وما وجه الاعجاز في الحواشي : أعرف العلم في المخطوط ثم أعود الى
هذا أو ذلك من المصادر فأعلق وأطيل التعليق ! وهذا اعتراض يدل
على حمق شديد ، لان البراعة في العمل لا تكمن في المصادر المشهورة :
ابن خلكان والصفدي والكني ، لا ، ان هذه المشهورات لتضيق في خضم
ما يذكر الدكتور مصطفى جواد من كتب قلما عرفها أديب وقلما سمع

بها سامع ولئن حقق الدكتور هذا الكتاب في مدة محدودة ، لانه ثمرة
لدرس طويل وبحث طويل ، كلما مر به علم من اعلام المخطوط تذكره
وعرف ماضي بحوثه وطيات تقييداته فراجع واقتطف المناسب وعرف كيف
ينتقل من التعليقة الى الوافي ، الى لسان الميزان ، الى النجوم الزاهرة ...
الى روضات الجات ، ومنها لضرورة ومناسبة الى الطبري - وانظر فهرس
الكتب لتعجب .

ثم ان الدكتور يقف من هذه الكتب التي يرجع اليها موقف
السيد العالم الذي يعي ما يأخذ وما يدع . ويصلح هذا ويقوم عوج ذلك
ثم يضيف ويضفي .

ولنبداً بالبداية ونسائل : كيف جاز للدكتور أن يقدم على نشر
مخطوطة لا توجد منها الا نسخة واحدة ، بينما ينصح أهل التوجيه بالاحجام
عن عمل مثل هذا ، ولهم في ذلك حجة مقبولة هي صعوبة العمل
واستحالة الضبط ، فكيف تصلح التصحيفات - مثلاً ، وكيف تملأ الفراغات ،
وكيف تحل الرموز ، وكيف ؟ وكيف ؟ وهذه مشكلات قائمة في كل
مخطوطة ، وهي كثيرة في - تكملة اكمال الاكمال - ، ولكن عالماً هو الدكتور
مصطفى جواد يعرف كيف يذلل هذه الصعوبة ، وها أنت ذا تقرأ المطبوع
واذا هو من السلامة وكأنه حقق على عشرات النسخ الواضحة الخط ،
البينة النقط .

ثم ان استاذنا عمل ما هو أجل من ذلك ، فلقد أصلح من الاخطاء
ما يمكن أن يعزى الى ابن الصابوني نفسه ، فقد جاء في (ص ٢١٥) :
« والفقير أبو القاسم محمد بن عبد الرحمن بن اسماعيل ... المعروف بأبي
شامة » فعلق الدكتور : « قلنا اسمه عبد الرحمن ... » ثم ساق المصادر :
« قال الصفدي ... وفي تذكرة الحفاظ ... وقد ترجم نفسه في ذيل

الروضتين ... » . وجاء في (ص ٢٧٥) : « منسوب الى قرية قريبة
عن بعقوبا يقال لها قباب » فيعاق الدكتور « الصواب » « قباب ليث »
بالاضافة . قال ياقوت ... وفي مرصد الاطلاع ... وناريخ العراق
بين احتلالين ... » . وجاء في (ص ٢٧٥) : « ... والقناني ... بفتح
القاف ... المنسوب الى دير قنا » ويقول مصطفى جواد كذا ورد والصواب
بضم القاف ، قال ياقوت ... وقال الشاشتي ... ومسالك الابصار ...
وجاء في (ص ٣٥٢) : « الامام أبو المفاخر محمد ... النوقاني ...
درس بالمدرسة النظامية ... » فيعلق الدكتور : « قال ابن الديلمي ...
وكان عنده طلب للمدرسة النظامية ... » انه كان يرغب في التدريس
بنظامية بغداد الا انه لم ينله . وجاء في (ص ٩٥ - ٩٦) : « ... من أهل
الحريم الطاهري » والدكتور هو الذي جعلها كذلك . لانها جاءت في
المخطوطة : (الحريم الناصري) ، وكذلك فعل (ص ٣١٧) « باليزيدية »
التي كانت في المخطوطة « اليزيدية » وكذلك فعل (ص ٣٣١) اذ أصلح
« المتيجي » « بالمتيجي » معتمداً مشتبه الذهبي وغيره ... الخ .

ولا شك في أن عدداً من هذه الاغلاط يعود الى جهل الناسخ ، ولكن
ذلك لا يقلل من خطرها . والدكتور مصطفى جواد هو وحده يستطيع
الانتباه اليها وتقويم زيغها .

وينبها ذكر « الحريم الطاهري » الى اثبات فضيلة اخرى لتكملة
تكملة اكمال الاكمال ، هي ناحية الخطط والمحلات والاماكن الجغرافية -
ولك أن ترجع الى فهرست الاماكن لتلم بأهمية هذا الباب ، واذا تذكرت
أن الدكتور مصطفى جواد هو صاحب أحاديث بغداد قديماً وحديثاً ، تأكد
لك أنه سيصل لك من هذا الكتاب ما انقطع ، ويربط الماضي بالحاضر .
فهو لا يكتفي بأن يصحح - الحريم الطاهري - وانما يقول (ص ٩٥) انه

« كان على دجلة ، بين أرض الكاظمية الحالية وقصور وبساتين
عبد الحسين الجلي » .

وكذلك فعل في أماكن أخرى منها ما جاء في (ص ٣٤٣) :
« توفي ... ودفن بمقبرة الخلال بباب الأزج » ومقبرة الخلال التي ذكرها
هي مقبرة عبد العزيز بن جعفر المعروف بغلام الخلال وتعرف اليوم
بمقبرة - الخلائي - في جنوبي بغداد العتيقة .

وإذا وردت على الصفحة (٥) كلمة - جامع القصر - قال : - ... في
دار الخلافة العباسية التي كان حدها الأعلى شارع السمائل الحالي وحدها
الأسفل محلة المربعة على الترجيع ... - وإذا وردت - مقابر قرش - قال :
وهي بلدة الكاظمية الحالية . وإذا وردت - باب الطاق - قال (ص ٣٥١) :
« ولما بدأت العمارة فيما حول مقابر الخيزران أي مقبرة الامام أبي حنيفة -
انصلت العمارة بباب الطاق ، فهي اليوم أرض جنوبي الاعظمية الحالية » .
أما « الاجمة » (ص ٦١) فلم يذكرها ياقوت في معجم البلدان ولا
ابن عبد الحق ولا لسترنج - ويستفاد مما ذكره ياقوت في معجم الادباء -
لا معجم البلدان : أن مقبرة الاجمة كانت متصلة بباب أبرز وباب أبرز
هي محلة الفضل وحمام المالح والبارودية الحالية ، فتكون الاجمة في محلة
خان اللاوند وما إليها (١) وهكذا يمكنك أن تطيل قائمة خطط بغداد ولك
أن ترجع ثانية الى الفهرس . ولم يقف الامر عند بغداد ، ألم يقل
ص ٣٧٣ ان البندينجين هي مندلي الحالية ... وتستطيع أن تفيد أموراً تتعلق
بالشام ومصر .

وكما تمر - بالناشر - خطط ومواقع تمر به مفردات واصطلاحات
حضارية ضاعت مع الزمان ، ومن هذه كلمة - المعلوم - فما معناها ؟
وهاكها مستعملة في جملة مفيدة (ص ٣٣٨ - ٧) « اذا سافرت فلا تنزل

(١) من المفيد ان تذكر انها وردت في ديون الايبوردي ١٨٧ - ١٨٨

رباطاً يكون له معلوم « ويفسرهما الدكتور : » المعلوم هو ما يسمى اليوم بالتساهل
- الراتب أو المرتب - وفصيحه الجراية وهي اجراء النقد على مریده
مشاهرة ... قال ابن خلكان في ترجمة نصر الله ابن الاثير - فخيرہ
صلاح الدين بين الاقامة في خدمته والانتقال الى ولده ويبقى المعلوم الذي
قرره له باقياً عليه - . ويجمع المعلوم على - المعاليم - قال تاج الدين
السبكي في طبقاته الكبرى - وقد أدت فكرى وغلب على ظني أن نظام
الملك أول من قدر المعاليم للطلبة .

والدكتور تعقيبات تاريخية أو لغوية على كلمات اخرى مثل صفعان
ص ٣٥١ - وشادن أغصني بريقه - ص ٣٥٨ والدوشاني ص ٣٤٣ . وعلم
الدكتور باللغة وبتطور استعمال المفردات على العصور معروف لا يجاريه
فيه معاصر ولا يستطيع قارىء أن يجده في كتاب بعينه أو في قاموس ،
انما هو خبرة وسهر طويل وذاكرة وتقييدات - وانظر فهرست - الفوائد
والشوارد - (ص ٤٤٩ - ٤٥٠)

وأمر آخر لا يقل خطورة عن كل هذه الامور ، وفيه رد
على اولئك الذين يستهينون بمسألة المصادر والاشارة اليها والافتباس منها ،
ويريهم - من جديد - ان هناك ما يسمى - علم المصادر - وان من
مقتضيات هذا « العلم » المقدرة على اصلاح الخطأ في النص المقتبس
من الوجهة التاريخية أو اللغوية أو - النثرية - في الوقت الذي يقف فيه
سائر المحققين من شباب ومدعين موقف المؤمن ايماناً مطلقاً بما يقرأ
من مصادر . والامثلة على اصلاح المصادر في - تكملة تكملة اكمال
الاكمال - كثيرة ومفيدة جداً . ومن هذه الاخطاء ما وقع فيه الناشرون
المعاصرون ، ومن أمثله ما جاء بشأن الشريف النقيب النسابة محمد بن
أبي البركات : - وترجمه العماد الاصبهاني الكاتب في خريدة مصر

(ج ١ ص ١١٧ ...) وقد ذكر طابعو الخريدة المذكورة الاساتذة أحمد أمين وشوقي ضيف واحسان عباس أن الصفدي ترجمه ونقلوا شيئاً من الترجمة وقالوا :- انظر فوات الوفيات طبع استانبول ج ٢ ص ٢٠٢ مع أن الكتاب هو الوافي بالوفيات لا فوات الوفيات ... وجاء في الخريدة المصرية ج ١ ص ١١٨ ما هذا نصه - وقرأت أيضاً بخطه في كتاب كتبه الى الامير عز الدين حارن (كذا) لما قصده بالشام ... وقال طابعو الخريدة تعليقاً على - حارن - :- هكذا بالأصل واعلمها الحارمي نسبة الى حارم احدي بلاد الشام أو لعلها خازن - . والصحيح أنها - جاولي - قاله أبو شامة ... وله ترجمة طويلة في لسان الميزان ج ٥ ص ٧٤ .

ومن تصحيحات الدكتور الناشرين ما جاء ص ٢٢٧ « ... وأبي عبدالله محمد بن ابراهيم المعروف بالكيزاني » اذ ذكر في الحاشية : « ... وقد تصحف نسبه في المرأة على الاستاذ كرنكو وجماعة حيدر آباد في المرأة (٨ : ٢٥٤) الى - الكتاني - وتصحف عليهم الجنوشاني المذكور في ترجمته الى - الحرشاني - وهو محمد بن الموفق وفي - ص ٤١٤ - ورد بالصورتين ولم يستطيعوا ترجيح احدهما على الاخرى .

والحقيقة أن مسألة التصحيف من أخطر مسائل النشر وهي تعيى - كما رأيت - العلماء الاعلام والمختصين المنصرفين الى النشر ، فضلاً عن سواهم من المدعين الذين يستسهلون الامور ويعتقدون في انفسهم ما ليس فيها ولها ، فضلاً عن هؤلاء الشبان الذين خيل اليهم انهم علماء - وتلك بعض النزوات . أما استاذنا الدكتور مصطفى جواد فهو علامة في - علم التصحيف - وقد رأيت مكانه من - المؤلف والمختلف - وتبحره في قضاياها ووقوفه على مظانها . وهناك أمثلة اخرى ص ٢٢٥ « ... أبي الكرم الشهرزوري ... قرأ عليه محمد بن هارون الحلي ... »

وقد تصحف في « غايمة النهاية » ج ٢ ص ٣٨ « الحلي » الى « الحلبي » -
و « الجبلي » الى الجبلي . وهامش ص ٩٩ « ... جاوولي ... وله ترجمة
طويلة في لسان الميزان ج ٥ ص ٧٤ وقد جاء فيها من الخطأ في ضبط
الاعلام أمر هائل كالجوالى بدلا من الجواني ... وبغية الدولة مكان ثقة
الدولة ... الخ الخ » ومن هامش ص ٣١٥ تعلم أن من تصحيفات « ذيل
طبقات الحنابلة » ان « ابن العصار » أصبح - ابن القصاب - و « المراتي »
بات « المزالي » ...

وقد يكون بعض هذه الاخطاء راجعا الى جهل الناسخين ، ولكن
ذلك لا يرفع المسؤولية عن الناشرين . فلئن قرأ ناشر في مخطوط لسان
الميزان (ج ٣ ص ١٩ من المطبوع) ان وفاة حيص بيص كانت عام
٧٥٤ أقول حتى اذا عاد الخطأ الى الناسخ ، ان الناشر مسؤول ايضاً
ولا سيما ان حيص بيص مشهور ، ترد ترجمته في كتب كثيرة يكفيك
منها أن تطلع على الهامش الذي أثبتته الدكتور في ذيل ص ٣٧١ - ٣٧٣ ،
ومعلوم انه توفي عام ٥٧٤ .

ولا يصلح الدكتور مصطفى جواد التصحيف وأخطاء الناشرين
فقط ، انما يصلح أو هام المؤلفين ويعقب عليهم ويستدرك لهم ، والامثلة
على ذلك غير خفية ، ولعلك رأيت منها ما جاء في هامش ص ٣١٥ بشأن
أبي البقاء العكبري المتوفى عام ٦١٦ من انه قد « طبع شرح ديوان
المتنبي لعفيف الدين علي بن عدلان الموصلية منسوباً الى أبي البقاء المذكور
غلطاً . والظاهر أن الوهم في ذلك أقدم من عصر ابن معصوم المتوفى
سنة ١١٢١ فقد ذكره في كتابه « أنوار الربيع في أنواع البديع » ص ٧٠٣ »
منسوباً الى أبي البقاء ، قال : « قال العكبري في شرحه : سمعت شيخني
أبا الفتح يقول ... » . مع أن أبا الفتح هو نصرالله بن الاثير المتوفى

سنة ٦٣٧ ، فكيف يكون أبو البقاء قد درس على أبي الفتح بن الاثير؟!
ولاستاذنا الدكتور عديد من البرهانات على خطأ نسبة الشرح الى العكبري ،
ولكنه لا يريد أن يستفيض في كل مسألة . وهو يعلم أن المسألة مسألة
تعليقات . وان ازاءه ملاحظات اخرى على مصادر اخرى . منها
ما جاء في هامش ص ٣٢١ حيث قال « وعلى ذكر أحمد بن الديبشي
نقول ان ناسخ تاريخ الصفدي وابن العماد ذكرا وفاته في سنة ٥٥٨ ...
والصحيح أن أحمد بن الديبشي توفي سنة ٦٢١ لا سنة ٥٥٨ فهذه السنة
الاخيرة ، تاريخ ولادته ، قال ابن الفوطي ... ذكره ابن النجار ... » .
ومنها أي من تعقيباته على المصادر واصلاحه لخلطها ما جاء ص ٩٩ - ١٠٠
بشأن الشريف النقيب النسابة محمد بن ابن أبي البركات « ... وقد وهم
الصفدي فقال : « لقب رشيد الدين ... ويعرف بالمازندراني » . وقد
اختلفت عليه بترجمة « رشيد الدين أبي جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب
المازندراني المتوفي سنة ٥٨٨ » وذلك عند نقل الصفدي من تاريخ الاسلام
للذهبي « نسخة باريس ١٥٨٢ الورقة ٣٨ » .

وهناك نوع آخر من العلم يعرفه استاذنا خيرا من غيره ، وهو من
صميم « علم المصادر » ذلك أن لكل مصدر تاريخاً وأطواراً وأحوالاً ، ولعلك
سمعت بملاحظاته عن جزء المحمدين من كتاب ارشاد الارب المعروف
بمعجم الادباء ولعلك قرأت في هامش ص ٢١٧ من التكملة ما جاء
عن « عبد الغافر بن اسماعيل الفارسي » ... وترجمه ياقوت الحموي .
وفقدت ترجمته في الموجود المطبوع من معجم الادباء ، ونقل خلاصتها ابن
الفوطي في تلخيص معجم الالقاب ... »

وبطل الدكتور مصطفى جواد يتعقب المصادر ويستدرك عليها فان
مر في ص ٣٦٥ ابراهيم بن ترجم قال في هامشه : « لم يذكره الصفدي

في كتابه - نكت الهميان - مع انه شرطه ، وذكره المنذري في التكملة
ونص على ضبط اسمه بالحروف ، - نسخة مكتبة البلدية بالاسكندرية
ج ٢ و ٢١٩ .

ولا ينسى أن يستدرك على المؤلفين المعاصرين فاذا مر في ص ٣٢٥
أبو الكرم الشهرزوري قال في الهامش (ولم يذكره محمد أمين زكي
في مشاهير الكرد وكرديستان) .

هذه المعرفة بالمصادر قديماً وحديثاً وبالاعلام قديماً وحديثاً وهذا
الصبر وهذا العلم العتيد يجعلنا نسائل : لم لا ينشر الدكتور ما يعلم
من مخطوطات مهمة ، ان عدداً من هذه المخطوطات برد في حواشي
الدكتور علي شـكل بدل علي وقوفه على أسرارهِ وعلى خطورته للتاريخ
والادب ، مثل اجزاء من تاريخ ابن الديشي وتاريخ ابن النجار ومثل
« المحمدون من الشعراء » وطبقات ابن قاضي شـبهه والتعليقة وتاريخ
واسط

نسائل ، لاننا نعلم أهمية هذه المخطوطات ولاننا نعلم سهولة
تحقيقها على الدكتور مصطفى جواد وصعوبته واستحالته على من سواه
ولاننا نعلم ان الدكتور لا يتأخر عن التحقيق ان تهيأت له ظروف
النشر ، وانه لا يملك المال الكافي لنشرها على حسابه الخاص .

تلك أسئلة لم يبق لها مجال بعد أن أسس المجمع العلمي العراقي الذي
أخذ على عاتقه - فيما أخذ - نشر المخطوطات النادرة ولا سيما ما كان
خاصا بتاريخ العراق منها . ؛ وليس من اللياقة ان يطلب باحث عراقي
الى مجمع دمشق او قاهري او طهراني او انقري نشر تاريخ ابن الديشي
او ابن النجار عن بغداد مدينة السلام ، كلا ، ولا نصرة العماد في
تاريخ سلاجقة العراق ... الخ

ولست المسألة مسألة العراق وحده ، وإنما هي مسألة الحضارة الإسلامية كاملة ، لأن علم استاذنا الدكتور مصطفى جواد لا يقف عند بغداد وإنما هو عليم بتاريخ العرب في مختلف عصوره واقطاره ، هذا الى ان « بغداد » تكون اكبر أركان هذه الحضارة . وكم كان جديراً بدور النشر ، علمية كانت أو تجارية ، ان تستعين بالدكتور ، كم كان جديراً بدار الكتب المصرية أن تذكره وهي تنشر - الاغانى - مثلا ، كم كان قميناً بدار المعارف أن تستنجد به وهي تنشر - ذخائر العرب - مثلا ... ثم ماذا فعلت الجامعة العربية ومعهد مخطوطاتها . وقد علمنا ان هيئة تعترم نشر « انساب السمعاني » . أمن الممكن أن يطبع هذا الاثر قبل أن يراجع استاذنا العلامة .

ثم ان من يقرأ « تكلمة اكمال الاكمال » وينظر الى المقدمة والحواشي يرى أن الدكتور مصطفى جواد أشبه بمن ضاق بعلمه فراح يترصد الفرص للتخفيف من ثقله وهكذا كانت التكلمة منفصلاً ومنفذاً . وهكذا امكن تسميتها - تكلمة اكمال الاكمال - .

المعلم الجديد - نموز - تشرين ١٩٥٨

الشعر في بغداد

حتى نهاية القرن الثالث الهجري

تأليف الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى ، مطابع دار الكشاف ، بيروت ١٩٥٦

من اسم الكتاب ، نلاحظ أن المؤلف ينوي دراسة بيئة أدبية خاصة ، والنية حسنة ، ولا سيما بعد الذي لقيته الفترة التي يتناولها بالبحث . من « عنايات » مختلفات . وبعد تعدد مناهج البحث والدعوة الى الربط بين اللغة والحياة . على أنك مهما بالغت في تضيق مدى « بغداد » خلال تلك الفترة ، لا تستطيع أن تعزلها أو أن تحاول عزلها عن العالم الاسلامي . لقد كانت بيئة خاصة وعامة في آن واحد . وربما كانت مهمة من يؤرخ بغداد أشبه بمن يؤرخ باريس في القرن السابع عشر - مثلاً . اى انه يكاد يؤرخ شعر اللغة كله ؛ دون أن يعلم .

وقد حرص المؤلف أن يمسك بالزمام . فانطلق حذراً من نقطة مطمئنة . وبدأ بالتاريخ والجغرافية يحدد الزمان والمكان : وكما نود لو جاءت الصفحات العشرون بصفحتين أو ثلاث هي كافية لقاريء كتاب اسمه « الشعر ... » ولكاتب يريد أن يقول « إن بغداد كانت قبل المنصور قرية صغيرة هي بقية مدينة سامية أو سومرية قديمة العهد ... » وان المنصور ، اراد حين انشأها « ان يجمع بين صلته بأنصار الدعوة العباسية من الفرس » دون أن يكون بعيداً عن أهله وعشيرته ، وذوي

قرباه من العرب وقد كان « حفظ التوازن » هذا « طابعاً تتسم به بغداد » .

كنا نريد ان يستغل الفائض من تلك الصفحات العشرين لما هو أدخل في منهج البحث ، اعني : دراسة المصادر التي يعتمدها المؤلف ، مبنياً للقاري . الغث والسمين ، المطبوع والمخطوط ، الموجود والمفقود . أما صورة الحياة الاجتماعية والعقلية التي رسمها المؤلف فضرورة في منهاج البحث الحديث ، وضرورة في كتاب يقوم على تبيان هذه الصور في الشعر - وقد أحسن المؤلف إذ اوجز .

ولم ينبثق هذا « الشعر » في بغداد انشاقاً ، « والشعر في العراق - كالشعر الأموي - استمرار للشعر الجاهلي إلى حد بعيد » وفي العصر الأموي كانت بواكير للتجديد وكانت في جملتها آثاراً للتبدل الذي طرأ على الحياة العربية فوصلها بالأمم الأخرى ... وكان من أهم تلك الظواهر ... مشاركة غير العرب في الشعر ... وتأثر الشعر بالحياة العقلية ... ومسايرته للحياة الحضرية ...

اذن فقد كان للشعر - طريق - سلكه حتى بلغ بغداد . والمنهج يقتضي الالمام بهذا الطريق ويقتضي تبين صواه ، وقد فعل المؤلف . ولكن ، في الأربعين صفحة التي خصصها لذلك ، مواقف غير ضرورية جداً ، منها : مدلول الشعر ، ومنها هذه الموازنة بين الشعر العربي والشعر اليوناني ؛ كما أننا حين نتحدث عن سحيم ، أو نصيب ، لا تهمننا الا « تلك الطلائع التي تقدمت النهضة الفنية ، التي حمل لواها المولدون في العراق » من العناية بالبديع ، والقصد الى التفنن ، وما الى ذلك . تنتهي المقدمة بالصفحة التاسعة والسبعين ، ويبدأ الباب الثالث الذي كسر على - العوامل التي أثرت في الشعر - وأولها السياسي وهو ضعيف ،

وكان الشعر فيه يدور على العباسية ، والعلوية ، وقليل من الامويه . كان الشعر السياسي ضعيفاً جداً ، وهذا ما جعل الأمثلة معدودة لا تسمح لمناقش أن يناقشها أو يحللها . ولكن ، كان هناك مجال مسه المؤلف مساً خفيفاً ذلك هو الحروب في الشعر ، وكان من المناسب أن يعقد فصل خاص على « تاريخية الشعر العباسي » .

وثانيها ، العامل الاجتماعي « وقد دخل الاعاجم في الحياة العامة من أوسع أبوابها » ... وما كان بإمكان الجواري أن يأتي بجديد في الخطوط العامة والأمثلة المعروفة ، وما كان بإمكانه ان ينجو من التكرار لأنه ملزم باستكمال جوانب الصورة التي يقتضيتها كتابه « ويقابل الشعبية الروح العربي » والتفات المؤلف إليه منتظر ، وقد عودنا سعة الأفق في بناء الخطة . كما عودنا حسه العربي . ولكننا كنا نطمح أن نطيل وقوفنا عند الشعر الذي قيل في معن بن زائدة وابي دلف وحميد الطوسي ومن إليهم .

وثالثها : العامل الحضاري ؛ ولم يكن هذا في وصف مظاهر الترف والنعمة والمرح حسب . « فذاك المظهر الأنبي » اما الأثر الباقي فهو الأناقة في التعبير ، وهكذا كان البديع .

ورابعها : العامل العقلي ، وفيه آثار الكوفة في الرواية والبصرة في الدراية ، وفيه آثار العراق القديم وآثار اليونان القديمة ، وكان من آثاره القريبة : الشعر والتعليمي ودخول الفاظ الفلاسفة ومصطلحاتهم ؛ ومن آثاره البعيدة : هبوط أسلوبه وتحلله من قيوده الفنية ، وجنوحه الى التضحية بصوره التعبيرية الجميلة . ثم إن هناك - والمؤلف هو الذي يتكلم - ، ويقول : « ان هناك فرقاً لا ينكر بين التعبير عن الافكار التي تنشأ من الخبرات والتجارب الانسانية فتقبلها الحياة ظهراً

لبطن ، ثم تنفذ إلى نفس الشاعر نفوذ الماء الى الأرض الصلدة على مهل وروية وأناة ، فتغوص في قرارتها ولا تتبدد ؛ وبين الأفكار التي يستنبطها البحث في العلم والفلسفة ولا تزال تتجمع وتحتشد وتسرع في الحركة ، حتى يضيق بها الشعر المقيد ، ذو التقاليد الفنية الثابتة المستقرة ، ثم لا تلبث أن تحمله على قلب كيانه وتكسير قيوده ، حتى إذ فعل ذلك لم يجد شيئاً ، ولم تجد الأفكار نفسها ، فتعود تلتمس لها المجال الرحب الفسيح مجال النثر .

هذه آراء صائبة ، لم يدع الرجل ابتكارها ، ولكنها ترينا أن المؤلف الفاضل على صلة بالأراء النقدية .

ويبدأ الباب الرابع بتمهيد لبحث الشعر بين القديم والحديث ، وعوامله هي تلك العوامل الأربعة التي أثرت في الشعر ، وقد جرى في ثلاثة اتجاهات : فهناك المجددون المندفعون في التحلل والمجون ، وهناك المجددون المعتدلون الذين - عنوا بالصورة التعبيرية ، مع المحافظة على المقاييس الفنية المألوفة في الشعر من جزالة العبارة ورصانة الأسلوب ومراعاة الاداء الفني - .

وفي الباب الخامس يفصل ما أحدثه المحدثون في الشعر : في الموضوع وفي الأسلوب . فمن الجديد في الموضوعات ، ما حصل إذ استقل بمقطوعات قصيرة و أصبح فناً شعبياً عاماً في معانيه وفي أسلوبه ، يتناول الفرد ولا شأن له بالأسرة والقبيلة ؛ اما الجديد في الحكمة والزهد فقد درسه وكأنه يسير على طريقة الأعلام إذا اقتصر على ابي العتاهية ، ولكنه يعود الى طريقته ، في دراسة الشعر التعليمي . ثم يعود الى الطريقة العلمية في كلامه على الخمر وكأنه أحس بشيء من ذلك ، فوسع دائرة البحث في - الغزل بالملحوظ الذي « بلغ أشده عند الحسين .

ابن الضحاك فأصبح يعبر عن عاطفة... تشبه إلى حد ما عاطفة العذريين «
أما الجديد في الصورة والاسلوب فمنه محاولة التجديد في الأوزان
ولكنها محاولة لم تكن على جانب كبير من الجد ومنه سهولة الاسلوب
التي يبلغ معها مبلغ العامية ، ومنه ما كان من أمر البديع وما هو
مشهور عن ابن هرمة وابن ميادة وبشار والعتابي ومسلم بن الوليد
وابي تمام وابن المعتز .

وبعد فكتاب - الشعر في بغداد - يزينه جمال العرض ونقاء اللغة ومثانة
الخطة ووضوح ينساق معه القاريء يسر مع امتناع عن الانحياز بين
الجديد والقديم .

اننا نطمع ان نرى طبعته الثانية اكثر عمقا وأحفل بالشواهد الجديدة
مع عناية بدراسة لغة الشعر ودلالاتها وتطورها ، وقد عهدنا المؤلف نحويا
ولغويا اكثر منه مؤرخ ادب .

اخبار البحتري

تأليف أبي بكر محمد بن يحيى الصولي (المتوفى سنة ٣٣٥ هـ) .
تحقيق الدكتور صالح الاشتهر . دمشق (مطبوعات المجمع العلمي
الربيعي) ١٩٥٨ .

تقرأ في المقدمة : ان الصولي تلمذ على جلة علماء بغداد ، وكان
يكتب ما يسمع منهم ، ويقيده ما يملونه حتى تجمعت له مكتبة كبيرة ...
والف - فيما ألف - أخبار عدد من الشعراء كالفرزدق وابن هرمة والسيد
الحميري والعباس بن الاحنف ، وأبي نواس وأبي تمام ... كما جمع
دوواين عدد من الشعراء ورتبها على حروف المعجم ... وأصبح في أوائل
القرن الرابع اماما في اللغة والادب والعلوم الاخرى .

وللصولي مؤلفات كثيرة ، نشر منها اجزاء من كتاب الاوراق وأدب
الكتاب ، وأخبار أبي تمام . (١)

ولا نجد في الكتب القديمة التي تتحدث عن مؤلفات الصولي ذكرا
لكتاب أخبار البحتري لان هذا الكتاب في - حقيقته أخبار قدم بها
الصولي لديوان البحتري الذي جمعه في مجلدين ورتبه على حروف المعجم
وصحة نسبة هذه الاخبار الى أبي بكر محمد بن يحيى الصولي يؤكدتها

(١) نشر « أخبار أبي تمام » وحققه : خليل محمود عسكر وعمد عبدة عزام ونظير
الاسلام الهندي ، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٢٧ .

تأكيدا قاطعا وجود كثير من هذه الاخبار في كتب الادب ، بنصوصها
معزوة الى الصولي ...

هذا الكتاب اذا في اصوله مقدمة للصولي ، قدم بها لديوان
البحثري ، وهي منتزعة فعلا من أول الديوان ، وهي تنتهي بقول الصولي :
- آخر أخبار البحثري . وهذا أول شعره ... - وقد « أخذنا عنوان
الكتاب من هذه الجملة الاخيرة » .

ولقد زاد ايماننا بصحة هذه التسمية ما وجدناه من تشابه كلي في
طريقة التأليف ومنهج العرض والتبويب ، بينه وبين كتاب الصولي - أخبار أبي
تمام - ... ونحن أمام هذا التماثل الاكيد ننتقل الى أبعد مما ذكرناه ،
فنحن نزعم ان كتاب أخبار أبي تمام هو في حقيقته وأصوله مقدمة
لصولي قدم بها لديوان أبي تمام الذي جمعه ورتبه على حروف
المعجم ...

تقع مقدمة الناشر التي اقتبسنا منها هذه الفقر في (٤٢) صفحة ،
يلها الكتاب نفسه ويقع في (٩٠) صفحة وفيه : اتصال المؤلف بالبحثري ،
ما جاء في تفضيل أبي تمام ، ما جاء في تفضيل البحثري ، أخبار البحثري
مع المتوكل والفتح ابن خاقان ، أخبار البحثري مع الخلفاء بعد المتوكل ،
أخبار البحثري مع الوزراء والكتاب ، وأخبار متفرقة .

والكتاب على صغر حجمه كثير الفوائد ، وهو يعين على تفهم البحثري
وعصره ، ويهم مؤرخي النقد الادبي عند العرب .

ثم ان المحقق الفاضل ، رغبة منه في أن تكون الصورة التي يرسمها
الصولي في أخباره عن البحثري كاملة ، عمل ذبلا للكتاب جمع فيه من
كتب الصولي الاخرى المطبوعة والمخطوطة ومن المصادر التي نقلت عنه ،
تلك الاخبار التي لم يوردها في هذا الكتاب عن البحثري . وشغل هذا

الذيل حوالي (٤٨) صفحة تلتها فهرس مختلفة ونافعة .

وما بالجهد الذي بذله المحقق في المراجعة والمقابلة حاجة الى دليل .
ولا يحتاج الاخلاص في البحث الى برهان . هذا الى أن النهج الذي
اتبعه علمي وسليم جدا ... وأقل ما يدل عليه هو تمكن المحقق
من النشر ورغبته فيه وولعه به وحببه له ... والخدمة الجليلة التي يمكن
أن يقدمها في هذا الميدان لو أتبع هذا الكتاب يكتب اخرى ، ولاشك
في أن المجمع العربي بدمشق يقدر مثل هذه « الموهبة » ويرعاها .

والمحقق دراسة قيمة للبحثي نرجو أن ترى النور . كما نرجو أن
نرى لديوان البحتري الطبعة العلمية التي يستحقها .

ان امامنا في التحقيق والبحث طريق طويل يجب ان نعد له العدة
ونجند له الجهود لكي تبعث آثارنا على شكلها الاكمل الذي يهيء للدراسة
العلمية الكاملة وبعد للاستنباط الصحيح .

شعر صفي الدين الحلبي

تأليف جواد احمد علوش ، بغداد (مطبعة المعارف) ١٩٥٩

رسالة نال بها المؤلف الماجستير (بدرجة جيد جداً) من كلية الاداب
بجامعة القاهرة عام ١٩٥٣ . وبعد - زيادة بسيطة وتنقيح يسير - نشرها
في بغداد (وهو مدرس بكلية التربية) .

مهد الاستاذ علوش لبحثه بمدخل (ص ١١ - ٤٢) تناول فيه البيئة
الطبيعية والحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية والادبية في
العصر (بين الحلة وماردين) مما يعد القاري لمعرفة صفي الدين ويساعد
على فهم شعره

ينفتح الباب الامل وهو بدرس سيرة الشاعر (٤٣ - ١٠٨) فيتحدث
عن حياته و « صفي الدين سننسي طائي ... ولد عام ٦٧٧ هـ في الحلة ...
وبها نشأ وترعرع ... وكان محبوباً بين الناس ... »

ومن يك مثلي كامل النفس يغتذي قليلاً معادية كثير المصاحب

وكان لأسرته الرئاسة في الحلة ، وكان خاله صدرأ فيها ، وحين اختل
الأمن في العراق قتل آل الفضل الصدر فعمل صفي الدين على الأخذ
بثأر خاله وقامت معركة بين آله وبين اعدائه ، تلك هي وقعة الزوراء
التي قال فيها قصيدته المشهورة :

سلي الرماح ...

وابدى فيها شجاعة فائقة . وظل اعداؤه يتحينون به الفرص ، مما حمله على مغادرة الحلة الى ماردين (عام ٧٠١) ليحتمي بكنف الملوك الاتقيين « ويظهر ان هذا العام اغزر اعوامه انتاجاً » .

وحين هدا الصفي وزال خوفه عاد الى عمله المحبب وهو التجارة ، فعاد يجوب الأقطار ويرحل الى البلدان . وزار حماه . واقام اقامات قصيرة في العراق (دون ان يقصد الى الحلة) ، وحج ، ثم قصد الى مصر ثم عاد الى ماردين فالعراق . ومات في بغداد عام ٧٥٠ ودفن فيها (على خلاف طفيف في تاريخ وفاته) .

ويبحث الاستاذ علوش في الباب الأول هذا : اخلاق صفي الدين وثقافته وعقيدته الاسلامية وتشيعه .

اما الباب الثاني فمقصود على شعر الصفي . ويتميز الصفي في شعره باهتمامه بالمحسنات اللفظية كالجناس والطباق ... وبطغيان الروح الحماسية وبالمبالغة . اما اسلوبه فجزل رصين لا تزال فيه بلة من الفصاحة والرشاقة . وكثيراً ما ترى في شعره ما تتطلبه الخطابة من العبارات الرنانة والتكرار . اما ألفاظه ففصيحة سهلة ، واما معانيه فطريفة .

وأهم غرض طرقه الصفي هو الحماسة ثم المديح (والمدائح النبوية) ، الرثاء ، الأخوانيات ، الغزل ، الخمريات ، الطرديات ، الوصف ... ونظم الصفي في الفنون المستحدثة وهي الموشح (وقد افتتن به افتتاناً عظيماً) ثم المسمطات والزجل والموالي والكان وكان والقوما .

وذيل الاستاذ علوش الباب الثاني ببيان منزلة الصفي الأدبية : ولقد كان مبدعاً بالرغم من ان عصره لم يكن عصر ابداع ، وكانت منزلة الأدبية لا تقل عن منزلته الاجتماعية لأن شاعريته لم تكن عادية ،

فهو شاعر فحل ذو طبيعة مؤاتية سهلة وموهبة طبيعة فطرية . وقد ذاع شعر
الصفى في مختلف البلاد ، ووصل بين الشعراء المتقدمين ومن جاء بعده
من أجيال .

هذا موجز لكتاب صفى الدين الحلي ، وهو لا يغني عن الكتاب
أبدا . وان كان يشير الى سلامة منهج المؤلف وحسن تبويبه ، ويشير
كذلك الى صعوبة طرق موضوع من هذا النوع من ذلك العصر .
ومن يرجع الى الكتاب نفسه ير أشياء كثيرة اخرى ، منها دقة
البحث ، وجمال العرض والعبارة ، والاخلاص في العمل والزمن المبذول ،
والجهد الذي اخرج الصعب سهلاً .

ويجب انه لا تنسى انه بحث بكر ، قدمه صاحبه بكثير من التواضع
اذ قال : « ولا يمكن أن اعتبر هذا البحث قد استكمل من جميع
الوجوه ... » هذا تواضع ، وان كانت هناك هينات فلاشك في انها
هينات ، وان المعلومات التي جمعها وعرضها وناقشها وأجاد تبويبها وأحسن
عرضها ثم الآراء والتعليقات والمناقشات المناسبة ، كل اولئك ليسد الباب
بوجه من يتعرض له على غير علم بالمادة والمنهج .

الا ان (شعر صفى الدين الحلي) كتاب رصين نضيفه بفخر واعجاب
الى سلسلة البحوث القيمة في المكتبة العراقية . ودليل جديد على ان
(الشباب العراقي) يجيد ويبدع عندما يتأهله الدافع على البحث ، بتحقيق
الجو المناسب .

وكم كنا نود ونحن نقدر للمؤلف جهده ان يبر بوعده الذي قطعه
على نفسه اذ قال : « ... كنت ولا أزال أفكر ان هذا البحث ان هو الا
باب استطيع ان ألج منه عالم البحث والدرس والجد » . ولقد ولج كما
يجب فليحدثنا بما جد له بعد ذلك بما يغني المكتبة العربية ويوفر على
طالبي المعرفة كثيراً من الجهد والوقت .

تحية الى شاعر جابر مؤلف قصة

الايام المضيئة

هذا فنان يولد ، انه قصاص وتنهأ به القصة العراقية ..
وميلاد القصاص ليس سهلاً ، انه حدث يبدأ به تاريخ انسان وتاريخ
شعب .. وفكر وابداع .

والبلد الذي يعرف قدر الفنانين ، وقدر الناقلين ، يعرف كيف
يرعاهم بحيث تنمو البذرة وتتفتح الزهرة وتثمر الشجرة .

هذا في البلد الذي يقوم على وعي لمهمة الفن ورسالة الفنان . اما
فيما سواه فيسوت في كل يوم فنان ، تعصف به الرياح وهو اول وتدفعه
الصواعق قبل ان يستقبل النور .. ولا ينجو ، ولا يقاوم الا القليل من
كان له العناد الحارق والثقة المعجزة .. وهذا ما حدث للافذاذ من كبار
الفنانين الذين قاوموا وثابروا فنجحوا وهذا ما نريده لادينا الوليد .

ولقد اثبت وهو بطلع على الملأ انه يستطيع ان يصمد وان يحقق
وجوده وان يتفجر هذا الوجود عن جمال ، واذن فليواصل سيره غير ابه بالمثبطات
او مكترث بالاشواك .. وغير راج تشجيعاً او طالب ثواباً .

اخى شاعر :

لقد حاولت ، فنجحت .. والذين يحاولون كثيرون ، وكلنا نحاول ،
حيناً في القصة وطوراً في الشعر وتارة في النقد .. والمحاولة - وان

كانت لازمة - ليست صعبة ، لانها ممكنة وسهلة التناول . ولكن الذي ليس بإمكان كل انسان هو ان تنجح المحاولة وان يجد المرء نفسه ؛ وقد تهيأ هذا لك وكان بإمكانك ، فلقد نجحت على احسن ما يكون عليه نجاح في محاولة ، ولا اجاملك ، ولا داعي الى المجاملة ، اذا قلت لك انها كانت اكثر من محاولة . وارجو ان تكون قد وجدت نفسك ، ولقد كشفتها لنا - كما هي - طيبة عميقة نابغة ، تطيل التأمل وتحرص على خير الاخرين وتحلو لها التضحية .. وليس من المعقول ان تتضح لنا ونغمض عليك .

انك تطيل التأمل وتحاكم الاشياء بضميرك وتلتقط الالتفاتات بحسك ، وتجد في تثقيب عقلك وتصبر على الشدائد وتنظر الى المستقبل بتفاؤل وثق بالانسان فتحله فوق كل جميل وتسهر من اجله ومن اجل سعادة المضطهدين ..

لا اشك في انك تعرف كل هذا في نفسك وتعرف اشياء اخرى اعمق وامتن حتى ليبدو لي انك لا تخلو من حيلة تدرك بها حيل الاخرين ولا من دهاء تستعين به على الدهاء .

تعرف ذلك .. ولا افجؤك اذا قلت لك : ان تلك الامور ، على جلالها ليست شيئاً كبيراً ، وانها ليست هي التي تحلك المنزلة الخاصة بين الناس ، فانها ان توفرت لك فقد توفرت لكثيرين غيرك ، وقد تتفوق عند بعضهم على ما هي عليه لدى شاكر جابر .

اجل ، انها ليس كل شيء لديك ، انها عظيمة ولكنها عوامل مساعدة - كما يقول اهل الكيمياء - اما الجوهر الفرد ، والصفة الاجمل ، والمزية التي دفعتني الى كتابة هذه الرسالة فأمر آخر يدركه كل من قرأ « الايام المضيفة » فأعجب ، ولم يحل حائل بينه وبين الثناء والاطراء وقول كلمة الحق ..

وفرح بميلاد قصاص عراقي جديد يمكن ان يكون كبيراً .. اذا ثابر
وصمد وصابر .. وكتب ومزق ، ومزق وكتب .. ونشر ونشر ، فالاستمرار
شروط اخر للنجاح ولوضوح الشخصية ولتوطيد الفن .. وحتى السمعة ،
فلئن كانت المحاولة سهلة ، فان نجاح المحاولة الاولى ليس صعباً جداً ،
وليس نادراً جداً .. انما الصعب والنادر ان تستمر وتستمر فتصل الخبرة
بالخبرة والنجاح بالنجاح وتثبت على ان المسألة ليست سحابة صيف وليست
نزوة عابرة ..

وأمل ان تثبت وتواظب ولا اشك في ان « الايام المضبنة » التي
طلعت بها علينا لم تكن اول ما كتبت انما هي ثمرة لخلق في الجهد والاصرار
فكانت ثمرة لاستمرار صامت .

ان مثل هذه الموهبة - يا شاكر - ليست يسيرة تراها على قارعة
الطرق او تعثر بها كل يوم ، انها شيء نادر وغال وعزيز ، وان كنت
لا تعرفها جيداً ، ولا تقدرها حق قدرها فأرجوك ان تعيها وتغذيها وتنهض
بها وان تتحمل في سبيلها الاتعاب والمشاق .

اوجه الخطاب اليك لانك المسؤول الاول ، ومن قرأ قصتك وراك
من خلالها وخلال ومضات من « محمود » وثق بك واعتمد عليك واوصاك
بنفسك وحملك من المسؤولية ما انت اهل له .

انك لتقصر في نفسك وفي حق بلادك التي تجبها وحق الانسان الذي
تحله فوق كل شيء وحق « وهاب » والبستاني وحمندوش .. وحتى
« بهجت » ان تهاونت في الكتابة وتوانيت عن الانشاء .

واوجه الخطاب اليك ثانية ، لاني لم اجد من اوصيه بك غيرك ..
وكم كنت اود ان اجد . وما حيلتي .

عزيزي شاکر :

ان من كانت باکورته « الايام المضيئة » لجدير بان يثني ويثلك بما هو اجل واعظم فانت متمكن من الفن القصصي ، تعرف كيف تختار شخصوك ، وتعرف كيف تختصر الاحداث التي تثقل على القاريء وتعبير الى ما هو ادق وأدل وكأنك لم تختصر ، وتعرف كيف تلتقط الحوار المناسب وتنصيد الالتفاتات النفسية ، وتسخر حين تحلو السخرية وتمر .. فتؤلف قصة هي صورة حية من مجتمع ، وهي صفحات من نفوس وهي حرارة وثقة وايمان وسير بالانسان الى الامام الى حيث يجب ان يكون .

لقد ارخت بقصتك جيلا كاملا بألامه وآماله بين السجون والكتب الممنوعة والطغيان والسلطة الظالمة والاستغلال والجشع والمترددین والمنافقين وضعاف النفوس والجهلة ومحتقري الانسان ... وبما ينطوى عليه العامة والسذج من خميرة النفوس الطيبة المتفائلة التي تدعو بيسر الى حب الانسان وتحبب خدمته . انك كاتب اصيل وان اصلتك لتتألق في هذا الميدان ، واني لاقدم قصتك بفخر لمن يطلب الى قصة عراقية يقرأها أو يترجمها الى لغة اجنبية ...

عزيزي شاکر

هذا قليل من كثير عما يمكن ان يقال في « الايام المضيئة » . وارجو ان لا تحسب اني اقصد من وراء ذلك الى التشجيع واني ارتكب من اجل ذلك ما يقتضيه التشجيع لقد قرأت القصة وانا لا اعرف من هو شاکر جابر ولا يهمني كثيرا ان اعرفه لولا هذه القراءة ، فكم من شاکر وكم من جابر وكم من قصة !!! قرأناها فاستغرقت وانتشيت ورأيتك في كل سطر وحرف وعلى صفات كثيرة يمكن ان اولف منها

قائمة طويلة مبتدئاً من التواضع والبساطة . . . والخجل . . . الى الذكاء . . .
ومنتهياً - كما رأيت - بالحذر والدهاء والتعقيد . ولكن هذه القائمة
ليست ذات قيمة ، وانها لو صفة طيب « غشيم » يرسل بها الى صيدلي
« غشيم » ، لان المسألة أبسط من هذا بألف مرة ؛ انها اذ يقرؤك القاريء
يجدك . . . حبيباً الى نفسه قريباً الى قلبه عزيزاً على وجوده . ان قارئك
- يا شاكر - ما يكاد يبدأ حتى « يعجبك » ، وليس هذا سهلاً ، انه كنز
اذا تكلمنا بلغة المال ، وهو عنصر مهم بين عناصر الفن اذا تكلمنا في الفن .
قرأت فاعجبت فـ . . . فـ . . . ثم طويت الصفحة الاخيرة وخرجت الى
اتحاد الادباء . . . أتدري لماذا ؟؟ لقد خرجت ابحت عن اصدقاء طيبين
ابشرهم بميلاد القصص الجديد وادعوهم الى قراءة القصة الجديدة ،
خرجت لاني شعرت بحاجة الى ان افوض بتلك السعادة التي عميتني على
الناس ، واني ولا اخفيك ، لو لم اجد الطيبين اخبرهم وابشرهم لاخبرت
غير الطيبين وبشرتهم لان « الايام المضيئة » مما تلين به القلوب الغليظة
وتنار به النفوس المظلمة .

سلامي اليك يا شاكر . . .

اجل ، فلم اكن اعرفك قبل اليوم ولم يعرفك الكثيرون ، اما
اليوم فانت صديق ومحط اعجاب وموضع امل .

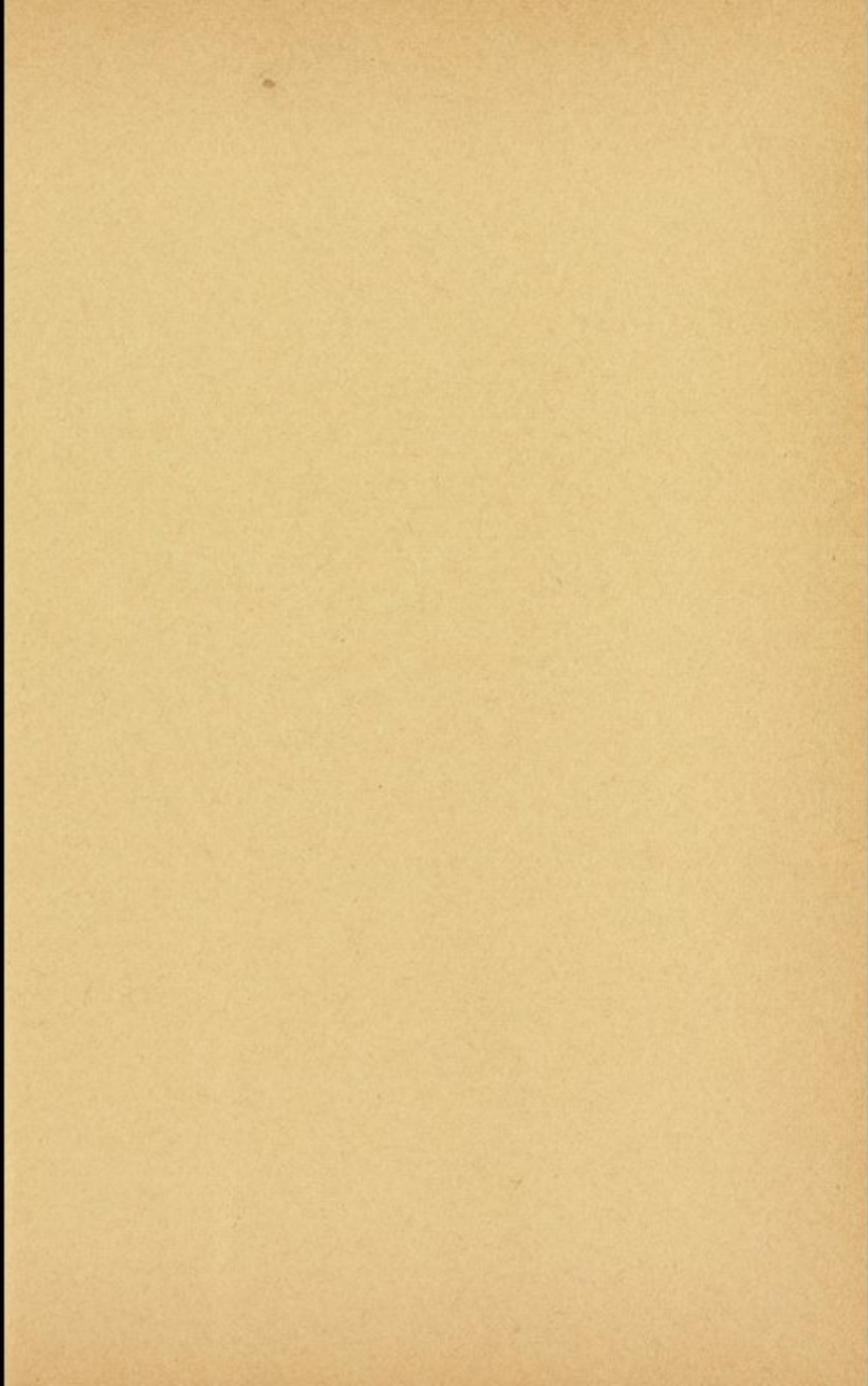
ولابد من الاعتقاد بان هناك في مجتمعنا « شاكرين » اخرين
يغطيهم الغبار ، وتثقل كاهلهم الصخور ، وانهم ليجهدون في شق طريقهم
فسلام عليهم . . . والى اللقاء بهم في بواكيرهم ، وبك وبهم في الروائع
التالية - والى اللقاء . . .

١٤ تموز - ٢٢ تموز ١٩٦١

(٤)

شعراء من العصر السلجوقي

شعر



صدر

ابو منصور علي ابن الفضل ولد قبل الاربعمئة - من أب بغدادى
رصافى ، ينز بالاحاد ، بخيل ، « لقبه الناس من شحه ، صربعرا » .
ولم يحل هذا الوالد بين الابن والتعلم ، والتمرس باللغة والادب
وقول الشعر ... ولعله كان يطمع أن يكون ابنه « كاتباً رئيساً » . ثم ان
ما ينبز به الوالد من الحاد ، لم يمنع الابن من دراسة الحديث - والتدريس
أحياناً .

شهد الشاعر العصر البوبى

وشهد الانقلاب السلجوقى فهو مخضرم .

ومدح وذم ... وذم من مدح ... وأثنى على ابن المسلمة .
ثم ضايقته بغداد أو ضايقه ابن دارست الوزير وابن الحصين الكاتب
فعزم على الهجرة حفظاً لكرامته وحرصاً على عزته . وشد رحاله ، وأقام
بواسطة .

وجدت أمور ، وتغيرت أحوال ، واستوزر الخليفة القائم فخر الدولة
محمد بن محمد بن جهير ، فاهتبلها ابن الفضل فرصة ، وانفذها مدوية من
هناك - بأكثر من تسعين بيتاً : يتغزل على عادة زمانه ثم يمدح
ويهجو ، ويشكو ويرجو :

وحاجة نفس ليس يقضى يسيرها
مطالعها رأسى وفي القلب نورها

لحاجة قلب ما يفتق غرورها
وما الشعرات البيض الا كواكب

ثم تخلص الى الوزير والوزارة :

به غص ناديبها ، وأشرق سعدها
فقل لليالي كيف شئت ثقلي
أعدت الى جسم الوزارة روحه
وأفعم واديبها ، وسدت ثغورها
ففي يد عبل الساعدين أمورها
وما كان يرجى بعثها ونشورها

وكان طبعيا أن يخز ابن دارست وكاتبه :

أظن ابن دارست الوزارة تلعه
أقول وقد وراه عنا حجابيه
وأعلقه بابن الحصين سفاهة
بفارس قد عدت عليه بدورها
رويدك دون الفاحشات ستورها
ألا خاب مولاه وساء عشيرها !

وكان طبعيا أن يتحدث عن أسباب هجرته :

..ولكنني ابعدت في الارض مذهبي
وهجهج بي عن أرض بغداد ذلة
لأمثالها تعلو الجياد سرورها
فكدت بان أنسى لذاك فصاحتي
تركنا ربي « الزوراء » ينزو خلالها
وقلت : بلاد الله رحب فسيحة
وقد تترك الاسد البلاد تنزها
فدونكها للتاج يبتاع درها
لا عزاز نفس قد جفاها عذيرها
كوخز سنان السميري حضورها
ويلتقم الحرف العلنداة كورها
سوى أن طبعا في الحمام هديرها
جنادب يعلو في الهجير صريرها
فهل معجزى أفحوصة استجيرها ؟
إذا ما كلاب الحي لج هريرها
« فرزدقها » غواضها و « جريرها »

انفذه من واسط ثم تبعها بنفسه فجاء « الزوراء » وشرع يوطد

صلته بيني جهير ...

وحدث ان قطب الحظ « لفخرهم » فعزل ... ثم ابتسم فعاد ،

فهتف صردر :

قد رجعت الحق الى نصابه وأنت من دون الوري ، أولى به-

مشوقة اليك منذ فارقتها
من يعشق العلياء يلق عندها
طورا صدودا ووصالا مرة
ما لؤلؤ البحر ولا مرجانه
شوق اخي الشيب الى شبابه
ما لقي الوامق من احبائه :
ولذة الوامق في عتابه
الا وراء الهول من عباة

اشدت علاقتي ببني جهير، ولا سيما بعميد الدولة : محمد بن محمد
ابن محمد : يمدحه ويثني عليه : يهنئه ويبارك له ؛ يودعه ويستقبله .
حل النيروز مرة ، فرأى الشاعر أن يهدي للعميد « كتابا عوض
الدراهم والدنانير » . ومرض الشاعر مرة فتعهد العميد بالعيادة ،
وأرسل اليه من يبلغه دعاءه بالشفاء ، ويتمنى له الصحة والعافية .
هذا ، وغيره ، لطف - دون شك ... ولكن ما جدواه والشاعر لا يني
يشكو ويشكو :

قد حزت الايام في كبدي وأطاف بي مس من الضر
ما جدواه ، والشاعر طامع طامح ، يجد في نفسه الكفاية ، ويسعى
لمنصب يليق به ويرفع من شأنه ، ويحقق أمانيه . لقد عرض عليه
الوزير « الكتابة » ، ولكن شاعرا يعرف بصردر يأبى ويرفض :
انه لم يعد ابن صربر ، ذلك المرحوم الذي أورثه معرفة هجاء بها
معاصره أبو جعفر البياضي اذ قال :

لئن لقب الناس قدما اباك وسموه من شحه صر بعا
فانك تنشر ما صره عقوقا له وتسميه شعرا
وهل شح الوالدين - صح أم لم يصح - ذنب الابناء ؟ لا ... انها
مسبة رخيصة يا أبا جعفر !

اما الشاعرية فان لم يكن ابو منصور بالشاعر الكبير ... فانه
شاعر محسن ... جيد السبك ، جيد اللغة ... معدود في عصره ، ولقد

شهد له النقاد القدامي . وهذا الوزير نظام الملك يستمع له ويقول :
أحسننت ، أحسننت ... انك صردر ... انك صردر ... وذهبت لقباً .
ولا ندري كم صر هذا الشاعر من هذا الدر ، وأكبر الظن
أن العطايا ، من نظام الملك جاءت أم من غير نظام الملك ، لم تكن
لترضي ما تهفو اليه نفسه ، وما يصبو اليه وجدانه . وكان هذا الطماح
وهذا البحث ... بما طوح به فجمع برحله من بغداد ... الى خراسان ،
فوجد هناك ما يسد حاجة الانسان من الارض ، فقد تردي هو ودابته
في حفرة حفرت الاسود ومات سنة خمس وستين وأربعمئة .
وقد خلف - فيما خاف - مسودات كثيرة من الشعر ، وصل الينا منها
بمجموع ، طبعته دار الكتب المصرية .

الباخري

علي بن الحسن بن علي ... الباخري ... و باخري ناحية في خراسان .
و « الشيخ حسن » ابو علي ذو مال وجاه وذ فضل ... وشعر
لم يترفع فيه عن المجون والسخف .
وقد تولى تربية ابنه وتعليمه وشغل به « وكده وكده » ثم أسلمه
لعدد من جلة الفقهاء والمحدثين كالجويني مثلاً . وكان شريكه في مجلس
الافادة من الامام الموفق النيسابوري . اتى اسمه منصور الكندري ...
فقال فيه مداعباً :

أقبل من كندر مسخرة للنحس في وجهه علامات
...
يحضر دور الأمير وهو فتى موضع أمثاله الخرابات

نشأ علي ظريفاً ، ماجناً حد السخف ، وقد غلبت الدعابة دينه ، وطفى
الأدب وعمل الشعر على فقهه . وكثر تنقله في البلاد - طامحاً وطالباً
للعلم الأدب :

إذا استقبلتني الريح فيها تعجبت وقالت لحاك الله : أين تريد؟
نطاوعني الأساد وهي أية ويدنو إلي النجم وهو بعيد
طامحاً ، وطالباً للعلم والأدب ، وساعياً للمال والأعمال ... والكتابة
في ديوان الرسائل .

ومرت الأيام وارتقت المناصب بالكندري حتى صار وزيراً لظفرليك .

«ودخل يوماً والباخرزي قريب عهد بالانتظام في ديوان الرسائل فلما وقع بصره عليه تذكره فأقبل عليه وقال : انت صاحب « أقبل » .
« فقال ابد الله سيدنا ، فقال تفاءلت بأبياتك اذا كانت مفتوحة بلفظ الاقبال » .

وقصده الباخري من خراسان - وهو بمدينة السلام فلما رآه الوزير خلع عليه قبل انشاده وقال له : عد غداً وأنشد . فعاد في اليوم التالي وأنشد :-

أقوت معاهدم بشط الوادي فبقيت مقتولا وشط الوادي

.....

قالت وقد فنشت عنها كل من لاقيته من حاضر أو بادي :-
أنا في فؤادك فارم لحظك نحوه ترني ، فقلت لها : وأين فؤادي!

ثم مدحه (كالعادة) بالشجاعة والكرم

ثم استجده - كالعادة أيضاً :-

فنداك منتجمي ، وبابك مقصدي وهو الكراحتي ، ومدحك زادي
ولسوف تعلو باعتنائك همي حتى أنص على السماك وسادي

« فطرب الكندري وارتاح » حتى اذا « فرغ الشاعر - من الانشاد قال ... لأمرأ العرب : لنا مثله في العجم ، فهل لكم مثله في العرب ؟
ثم نفحه بعطاياه وأمر له بألف دينار .

لقد بالغ الكندري في الثناء على شاعره ، وقد جامل أمرأ العرب الوزير أكثر مما يجب - وما كانت الدالية غرة من الغرر - قط .

وليست كل ابيات الباخري في الكندري مدحاً وشكراً ، فقد وصف طرفاً مما هيأت له بغداد من حياة رخيصة تناسب

مزاجه ، لاهية تشغله عن سواها :

فها انا في بغداد أرعى رياضها

وأسحب أذيالي عليها «وكرخها»

وأسبأ من حاناتها عكبرية

وفي إقامة الباخريزي في بغداد «أسعد» بانشاد الخليفة القائم بآئته :

عشنا الى أن رأينا في الهوى عجباً

كل الشهور وفي الامثال : «عش رجياً»

ووصف لوعته فكان شأن كل محب كاذب في زمانه :

إذا توقد برق من جوانبهم

توقد الشوق في جنبي والتها

ولا تسل بعد ذلك عن الدموع .

ووصف «الحبيبة» ، وكانت شأن كل «حبيبة» :

إذا رنا طرفها لم يدر رامقها

أنتك أجفان ظي أم جفون ظبا

ولا تسل بعد ذلك عن الغصن وتشبهه .

ووصف المهمة ، ثم مدح الخليفة فكان كما تخيله «جيب» الشاعر

وليس كما عرفه التاريخ .

وعلى فخر الباخريزي «بيائته» هذه : «قرعت شقاشقي أعواد

السريير بما ملكت فيها من الهدير» فانها ليست على شيء مما يدعي .

ودارت الأيام

وعلا نجم نظام الملك وأصبح الوزير الكبير ، وكسف الكندي

ولقي الاقصاء والسجن والتعذيب والقتل فما أعرب شاعره عن إخلاص

انما مال مع الريح فمدح السلطان وانضوى تحت الوزير الجديد بمدحه

ويخدمه ويبحث بين يديه عن رزق له ولعائلته واصغاره ...

« وارتفعت الاحوال وانخفضت ، ورأى من الدهر العجائب » ... وراح يسافر
ويسافر - وكأنه يضمّر تأليف كتاب يجمع فيه ما يسمع من الأشعار والأخبار .
يتحدث عن بلقي من الأعلام ويخبر عما يرى من الأحداث - وقد فعل إذ ألف « دمية القصر » .

والبخري صاحب « ديوان » قبل أن يكون صاحب « دمية » . وفي
بغداد مخطوطة لهذا الديوان . وفي لندن مختارات منه باسم
« الاحسن » وفي ملحق الدمية المطبوعة مختارات أخرى باسم « الملتقط » .
والكمية في كل ذلك غزيرة - والحمد لله : تتقلب بين المديح والنسيب
والشكوى وما لا تسمح روايته من الهجاء والسخر والغزل بالماذكر ثم
الغاب بديعية ، ومخاريق ذهنية . ومبالغات تتعدى حدود الغلو والكفر
مع فساد في الذوق ، ثم ركة سائدة ونثرية شائعة ...

مع كل هذا ورأى الشاعر بشعره حسن جدا جدا . فهو « ينسى
قفايبك » و « ويعلو الشعري » و « لا يعيبه الا جاهل » - اللهم اكتبنا في الجاهلين .
ولا يقل عن رأيه رأى معاصريه ورأى النقاد القدامى ، حتى قال
قائلهم - وهو العماد - « كان واحد دهره في فنه وساحر زمانه في قريحته
وذنه . صاحب الشعر البديع والمعنى اللطيف » وقال « لقد رأيت أبناء
العصر بأصفهان مشغوفين بشعره متيمين بسحره » وغلا آخر فعده «
أشهر الناس - واستغفر الله .

مساكين أبناء المئة الخامسة والمئات التالية لها . ومسكينة قيمهم
واذواقهم عفا الله عنهم فقد كانوا يبالبغون في التساهل : كلامهم
جزاف وكبيلهم بلا ثمن ولا مكان للموهبة والاصالة والموسيقى في موازينهم .
ولم تختلف احكام النقاد الفرس عن احكام العرب ، وقال عوفي -
مثلا : « لقد أصبح البخري » في اللغتين علما يرتفع فوق أرجاء العالم .
وتمكن من أن يسلب فضلاء الزمان قصب السبق في هذين اللسانين »

أبكون على هذا ، شعر الباخريزي باللغة الفارسية مثل شعره باللغة-
العربية ؟ أرجو الا يكون .

ورحم الله الباخريزي

فقد توفي مقتولاً ، في مجلس أنس وشراب ، يباخرز ، وذلك سنة-
سبع وستين وأربعمائة - وذهب دمه هدرأ .

الأبيوردي

أبو المظفر ، محمد بن محمد ، من أحفاد معاوية الأصغر ... الأموي .
ولد في كوفن قرب أبيورد في خراسان .
وأمضى عنفوان شبابه في رخاء وأنس لم يمنعانه عن التعلم والدرس .
قال الشعر مبكراً .

وسافر في البلاد . « وأقام في بغداد عشرين سنة حتى يمرن طبعه على
العربية ، ولكنه ظل مع ذلك يرتضخ لكثرة » .
وفي العراق مدح الخلفاء والوزراء والأمراء . وشغل خزانة المدرسة
النظامية .

وفي عهد المسترشد ورد المستنفرون من أهل الشام يؤلبون على
الصليبيين ؟ فثارت ثائرة الشاعر واستشاط غضباً ، فكانت الميمية :
مزجنا دماءً بالدموع السواجم فلم يبق منا عرضة للمراجم
ثم ترك بغداد

وأمضى سنه الأخيرة في الري وأصفهان وهمدان - في ضيافة الصدور
والوجهاء - إلى أن تولى إشراف الممالك . وكان في منصبه هذا حين
سقي السم بأصفهان ، فمات سنة سبع وخمسة مئة .

وقد خلف فمياً خلف - ديوان شعر جمعه بنفسه وفننه فنونا وقسمه
إلى نجديات وعراقيات ووجديات . وصلت إلينا مخطوطات هذه الأشعار

والفت منها - بيروت ديواناً واحداً طبعته منذ أكثر من ستين عاماً ، طبعة
غير علمية ، أكبر عيوبها ، حشرها - عن جهل - كثيراً من شعر الغزي .
وفي ديوان الأبيوردي مدح كثير وشيء من الرثاء وشيء من الهجاء .
وكثير من نسيب يستطرف دون أن يكون صادقاً . أما لغته فسلمية وأما
تراكيه فحسنة .

والوهم حقيقة الشاعر الكبرى ، عاش فيه وأخلص له ؛ وقد ظهر
ذلك في فخره سافراً ، عجيباً .

وقد روى العجلي ، قال : سمعت الأبيوردي يقول في دعائه .
« اللهم ملكني مشارق الأرض ومغاربها فقلت له : أي شيء هذا الدعاء ؟
فكتب الى بهذه الايات :

يعيرني أخو عجل إبائي على عدمي ، وتيهي واختيالي
ويعلم أنني فرط لحي حموا خطط المعالي بالعوالي

.....

وإن باغ الرجال مداي فيما أحاوله ، فليست من الرجال
ولم يكن العجلي ليجهل نسب الأبيوردي ، ولكن الذي أثار استغرابه ،
ما يعرفه من قصر باع صاحبه ، صاحبه الذي يطمع برتب لم يبلغها
انسان ، دون أن تنهيا له الاسباب ودون ان يعمل على تهياتها ، وحسبك
انه يسعى الى الخلافه ، مثلا :

فما اربي الا سرير ومنبر وذكر على مر الزمان يدوم
وانى له ذلك ؟ وكيف ؟

ويتعب من يحاكم الأبيوردي محاكمة منطقية - ان المنطق يضع على
صاحبه متعا كثيرة ، ويفسد له جواً طريفاً ظريفاً ...

وانعب من المنطقي ، واقرب الى الحماسة والغنائية من يأخذ الأبيوردي
على ظاهر أقواله غير ملتفت الى تناقضه ، او انحطاطه ، معتبراً هذيانه
حقيقة ، ، وخفته ثقلاً حتى ليقول - مثلاً : « اما اخلاقه فقد كانت اخلاق
الصيد من الملوك ... » و « اما الشعر فكان ينظمه ترويحاً للادب
لا للنشب وللوفاء لا للعطاء » وما الى ذلك من الكلام التجريدي الذي يدل
على حسن ظن المتكلم .

واذن فالأعقل والأولى أن نترك الأبيوردي على سجيته ، ولا أطيب له
من أن يفخر ، ولا ينسى ان يدعي بأنه أضاف عزاً الى عز . مدح
اباه مرة فقال :-

فانك أصل طيب أنا فرعه وأي نجيب سل من أي ماجد !
أما اذا فخر بماضي اجداده ، فانه لا ينسى أن يفخر بضمير
المتكلم :

ملكنا أقاليم البلاد فأذعنت لنا رغبة أو رهبة عظاماؤها
ولا ينسى بجدته الذي أضافه الى مجدهم :

جدي معاوية الأغر سمت به جرثومة من طينها خلق النبي
وورثته شرفاً رفعت مناره فبنو أمية يفخرون به وبني
ويبدو انه كلما اسود حاضره وضافت دنياه ازداد تعاضماً :

الناس من خولي والدهر من خدمي وقمة المجد عندي موطيء القدم
على ان هذا ، ليس مستغرباً من أمثاله ، وهو معقول في المنطق
الأدبي .

ان هذه الثقة الزائدة ، حقيقة كانت ام موهومة ؛ في الشعر أم في
السعي الى الخلافة ، هي سر الطرافة في كيان الأبيوردي ، وهي اساس

شخصيته ، ومفتاح نفسيته ، ويجلي أصالته ، ثم هي كل ما بقي منه .
وانتا اليوم اذ نحس حياة في شعره ، ففي الفخر . وقد مثل منه
الايوردي شكلا خاضاً ، ذلك انه يفخر بما يتصور أنه عليه ، وأنه من
حقه . وأنه أهل له . وأحلامه صحيحة في نفسه ، ولا تشتط الأحلام
مقدمات منطقية .

وينتبه الايوردي الى شيء . كان عليه أن ينتبه اليه مبكراً ، او كان
عليه أن يدف عنده ، لأنه كل ما يملك ، كل ما يمكن أن يعتد به :
انه شاعر ، واذن ، فالاولى أن يفخر بقوافيه وبقريلته ، وبما يهبوه له
هذا الشعر من مكانة بين أدباء عصره ومن مكانة لدى صدور زمانه .
وها هوذا يحدثنا ويقول بصريح العبارة : ان قوافية غضة ، غراء تزين
أجباد المواطل ، شرود سوائر . « بهوى ملوك الأرض أن يمدحوا بها » .
« بصغى الحسود لها ملآن من طرب » . انها تسكر القريب وتهز البعيد .
ولكن الايوردي لا يمكن أن يقف - حتى في هذا ، عند هذا ،
واذن فلا بد له من أن يقول :

كلماتي فلاندا الاعناق سوف تفنى الدهور وهي بواق
ويقول :

لحقت بها شأو المجيدين قبلها وهبها أن يؤتى بأمثالها بعدي

وصحيح أن الايوردي شاعر محسن ، ومجيد ، اوتي حظاً من الفصاحة
ونقاء الديباجة ، وواتاه النفس والامكان ... ولكنه ليس بالعظمة التي
يتصورها ، ثم ما هذه الثقة الزائدة « الا انه لاشاعر بعدي » .

ابن الشبل

أبو علي بن الحسين من أهل شارع دار الرقيق ، ولد ببغداد سنة
أحدى وأربع مئة ، وبها نشأ وتعلم ، ودرس الأدب والشعر وما اليهما
حتى عد من شعراء زمانه وكبار نحائه ، وسمع الحديث وتفقه ، وطلب
العلوم المنقولة وأصبح حكيماً فيلسوفاً ومتكلماً فاضلاً ، قوى الاطلاع في
العلوم الحكمية والاسرار الالهية - وعد في الاطباء العراقيين .

لم يكن ابن الشبل فيلسوفاً ممتناً حسب ، فقد كانت قضايا « الوجود »
الكبرى تشغل فكره ونفسه وكان يسائل « الفلك المدار » عن الجبر
والاختيار والقدر والقضاء :-

بربك أيها الفلك المدار أقصد ذا المسير أم اضطرار ؟

ويحاول ان يفهم الدنيا :-

هي العشواء ، ما خبطت هشيم هي العجماء ، ما جرحت جبار

ويتساءل عن الاسباب التي يؤخذ بها البريء بجريرة غيره :

نعاقب في الظهور وما ولدنا وبذبح في حشا الأم الحوار

ثم يسائل عن الحياة والموت . وعن الامل والخوف ، عن الطمع

والقناعة - وهو بذلك في حيرة تأخذ به نحو التشاؤم والسخرية ونحو

أشياء اخرى .

ومن كانت هذه نفسه ، وكان هذا مزاجه .

أثاره كل شيء ، ووجد في موت ، أخيه العزيز عليه سبباً ، أي ،
سبب :

تتمنى وفي المني قصر العمـ ر فنغدو كما نسر ، نساء
صحة المرء للسقام طريق وطريق الفناء ، هذا البقاء .

مالقينا من غدر دنيا ، فلا كما نت ، ولا كان أخذها والعطاء .
خلب تحت راعد ، وسراب كرعته فيه مومس خرقاء (١)

هكذا يسوء ظنه بالدنيا ، وهكذا تظلم في عينيه ، ولا بد من أن
يكون ابن الشبل شديد الحس ، شديد الشعور بكيانه ، شديد الطمع
بالخلود والتشبث بأذيال البقاء - ولا بد من أن يكون التأثير قد بلغ منتهاه
حين جر اليه معنى من أغرب المعاني وصورة من « أجمل » الصور ...
سراب . كرعته فيه مومس خرقاء . وكل الناس يعرفون السراب الخادع
والخداع ، وكلهم حين يتألمون لأمر يقولون : سراب . ، . اما سراب
أبي علي فأغرب وأعمق ، وألم وأقذر . - فاياك .

لقى هذا السراب علي ابن الشبل دروساً بليغاً ، منها هذا الخذر «
والثاني :

فلا تعدن رزقاً ما ظفرت به الا اذا دار بين الحلق والحنك
اما : لا ، فلا !

لأن الدهر - برأيه - أبو العجائب - والزمان - أعوج -
وقد - تجرد الناس من الخير - وطغت عليهم - السفاهة - وتشابه لديهم
- العقوق والبر - و - العدل والجور - فضاع بينهم - المستقيم - وأغفل

(١) خلب : في المخطوطة . صلف - وهي من تصحيحات استاذنا الدكتور مصطفى جواد .

لذكي وجاع الكامل الى ما هناك من آراء سود أملاها نصر أسود .

ورما خلد أبو علي الى التجميل حيناً ، وابدى الراحة ولزوم السكوت
مواظهر القناعة ، لان في ذلك عزاً :

لاتنكرى عز الكريم على الاذي فحين تجوع الضاريات تهاب
ولكن الى أمد . الصبر الى أمد . والتعفف الى أمد :

قالوا القناعة عز والكفاف غنى والذل والعار حرص النفس والطمع
صدقتم : من رضاه سد جوعته ان لم يصبه بماذا عنه يقتنع . .

وشكوى - أبي علي - لانتهمي ، وبشتد برمه وبشتد . ويعود يعوذ بالصمت
محتقرا رحمة الناس . نائرا على عدلهم وعذرهم :

لا تظهرن لعاذل أو عاذر حاليك في السراء والضراء
قل رحمة المتوجعين حرارة في القلب مثل شماتة الأعداء
داعيا الى اعتزالهم :

قالشيء يدهى بالأذى من جنسه مثل الحديد جنى عليه المبرد

يعتزل ويطوى أماله - وهيبات . فهو ونفسه في حساب وعتاب دائمين .
وانها لتنكر عليه العزلة ، وتوبخه على اليأس . وبشتد الصراع فيجهد لأن
يقتنع ويحلل ويعلل ، فما زالت فيه بقية من أمل ، ولربما تغلغل الماء
في الحجر الصلد :

فلا تنكرى بعدي عن الناس انما يضم الأسير الكف من الم القد
عسى هبة للدهر تثني صروفه فيعدل من فرط الوعيد الى الوعد

فان لان من فرط العتاب فربما تغلغل لطف الماء في الحجر الصلد
ويعيد النظر .

فتمتد النظرة القلقة ... وتجره الى ما هو أبعد من القلق - الى
الإيمان بالقضاء :

وكانما الانسان فيه غيره متمكون والحسن فيه معار
متصرف واه القضاء مصرف ومكلف وكانه مختار

. . .

فيظل يضرب بالملامة نفسه ندما اذ لعبت به الأفكار
لايعرف الافراط في ابراده حتى يبينه له الاصدار

وهكذا يسير ابن الشبل نحو استقرار جديد ، لعله كان المخرج
المحتوم لمازقه الفكرية التي كانت تخلقها ظروفه . واحدة بعد واحدة
وكادت تودي بعقله .

والعمر أثره ... وللنكبات آثارها ... وها هو ذا يهرب من طائفة
من الغز ، يهرب يبغى النجاة ، فيقع به غيرهم ويأخذون ماله :

خرجنا من قضاء الله خوفاً فكان فرارنا منه اليه
وأشقى الناس ذو حزم توالت مصائبه عليه من يديه
تضيق عليه طرق العذر منها ويقسو قلب راحمه عليه

اي نعم ، المسألة اصبحت لديه مسألة قضاء :

وكم من من طالب رزقا بعيداً أتاه الرزق من أمد قريب

والعكس صحيح !

هذا هو ابن الشبل ،

وهذا هو ملخص شخصيته : نفس مفكرة لاتكاد تستقر ، واذا

استقرت فهي بحيرة ، وتظل عنيفة في كل أطوارها . حتى في استسلامها .
ثم انه كان ظريفا ... ومن ظراف بغداد المعدودين ... ولم يحفظ
لنا المؤرخون امثلة على هذه الصفة الملازمة التي كروها وكرروها ، وأكبر
الظن أن تلك الظرافة ليست سفاهة رخيصة ، وليست كما كانت تبدو
للناس ، ولا بد من انها كانت ذات صلة بعنف نفسه وعنف « وجوديته »
ولا بد من ان تكون تشاؤما اخذ شكلا آخر ، هو الظرافة المرة ... العنيفة .
وكان الذي يهم الناس - منها هو الظاهر - .

ومن كان ظريفا تسابقت اليه المجالس والكؤوس فوجدت فيه « النديم
المطبوع » ، واذا دعا الى الديارات لباه الحاضرون والغائبون ... يبغى
الناس عنده النكات والنوادر ويبغى منهم ومن خمرتهم : النسيان والتعلل :
... قم فاجل في فلك الظلماء شمس ضحي
بروجها الدهر كاسات وكاسات
لعله ان دعا داعي الحمام بنا
نقضي وأنفسنا منها رويات
بم التعلل لولا ذلك من زمن
أحياؤه باعتياد الهم أموات
خذ ما تعجل واترك ما وعدت به
فعلل اللبيب فلتأخير آفات

عاش ابن شبل - على ذلك - أكثر من سبعين عاماً .

ثم ودع بغداد .

ورضي منها وما فيها من خير وشر ... « بأشبار » معدودات من
مقبرة باب حرب - ولعله لم يرض وانما أجبر على الاختيار .

وخلف فوق الارض « فيما خاف ديواناً ظل مشهوراً » منتشراً في
الاقطار « دون أن يصل اليها . ولو وصل ، وصل البنا شعر حسن
وأكثر من حسن ، لان أبا علي روح عنيف في حالته من السراء
والضراء ، وهو في هذا من القلائل في الادب العربي . واكبر الظن ان

همه الاول من الشعر لم يكن الاستجداء والارتزاق ، انما كان يجد فيه
المخلص والمهرب ، وحلولاً لأزماته النفسية التي كان يعمل على تعقيدها بجمع
مضطرب يسوده الجور ويسعد فيه الناقصون .

وان في الذي وصل الينا من شعره مشابه لشعر أبي العلاء ولا يبعد
في أن يكون في الذي لم يصل مشابه آخر : ودليل على ان ابن الشبل
من هؤلاء الذين أعدوا لشعر الفكر والاجتماع والحياة ، ولعله - مع كل
الاحتياط اللازم - اشعر من أبي العلاء في فلسفته .

المعلم الجديد - مايس ١٩٥٩

مؤيد الدين الطغراني

ولد الحسين بن علي عام ٤٥٣ في جي من أصبهان في عائلة «شريفة» من ولد ابي الاسود الدثلي . فهو على هذا عربي الاصل وليس فارسيه كما هو الشائع وكما جزم المؤلفون المحدثون دون أن يدلوا على استقصاء في البحث .

ومن المنتظر أن يكون الحسين قد ألم منذ الصغر بفنون معارف عصره وباللغة الفارسية ، ودرس اللغة والادب بشيء من التعمق ، ولعله أعجب مبكراً بالمتني والشريف الرضي وأحس في نفسه من المطامح ما يقربهما منه ويقربه منهما .

وعندما اكتمل له شبابه أحب فتاة كانت «المنى» في الكمال والجمال والعفاف ، وقد فاز بها «من بين يأس وخيبة» وبعد ان «غايظ أهل بيته كلهم» ؛ فاز بها فأنست منزله وجعلته جنة ينسى فيها همومه . ولكن عمر هذه السعادة الزوجية كان «قصير المدى» فلقد احتضرت «الحبيب» وراح الموت «يقبض كفها ويبسطها» «وقد دمعت أجفانها» ثم أسلمت الروح ، فغاب الهلال وذوى الغصن و «أصبح العرس مائماً» . فأضاع الشاعر رشده وفقد اضطباره ، ولم تجده الدموع .

توفيت تاركة رضيعاً يزيد في أحزان «الحسين» الذي حفظ ذكرى الفقيد وظل يحن اليها وينظم الشعر الصادق في رثائها ، ويجد في زيارة قبرها بعض السلوى :

مضت حين لم أصفر فأجهل قدرها ولم أعمر الدهر الطويل فأحلمها
وأقسم على ألا تسكن نفسه الى سواها ، ولكن ضرورات الحياة عدت
من رآبه فتزوج ثانية ورزق منها الولد
ذلك أن شواغل اخرى كانت متمكنة من نفس أبي اسماعيل ، وتحته
في طريقه لنيل السها .

وكان عليه - في سبيل ذلك - أن يستعين بالمتنفذين من رجال عصره .
وكان من أوائل من قصد : « أبو المحاسن معين الملك محمد بن فضل
الله » . وكان من أفضال معين الملك أن قدم الشاعر الى « نظام الملك »
وهياً له حظاً في الكتابة ، وبسطة في العيش .

وحين نكب معين الملك وقبض عليه وحبس وكبل ظل الحسين مخلصاً
وفياً ، ينظم القصيدة تلو القصيدة في التعزية والمؤاساة ، وفي المديح
والاعتراف بالفضل . وفي التألم والتحسر .

وشملت مصيبة معين الملك الشاعر فعطل من الكتابة ولقي الذل والهوان
وتوعده الاعداء على حبه ابن فضل الله وتهددوه وهو ثابت بخور بنفسه
و « سيده » ، وربما سلى عن نفسه بمعنى يعقدها « ان عاد ذاك
المقبل المتقبل » .

والطغرائي صادق اللهجة فيما اخبرنا به عن اخلاصه في الدفاع عن
سيده والاسى عليه . ولكن الذي نعرفه أيضاً أنه مدح نظام الملك وابنه
مؤيد الملك ، وقد يكون شطر من هذا المديح بما نظمته في أيام الصفاء
وفي أيام عز معين الملك ؛ ولكن الذي لا نشك فيه أن شطرا آخر منه يرجع
الى ما بعد النكبة ، واذن فقد أصلح الطغرائي أمره مبع أهل الكلمة
العاليا - ولا يحتاج مثله الى معلم .

كما أنه خدم السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان .

ولدى موت ملكشاه واشتداد النزاع بين ولديه بركيارق ومحمد ، كان الطغراني أقرب الى الثاني . وقد اقترن هذا النزاع بتنافس شديد بين صدرين كبيرين هما : مؤيد الملك - وزير بركيارق ، ومجد الملك - المقرب من أم السلطان . وقد انضم مؤيد مؤيد الملك الى محمد واستناره على حرب أخيه - فكان أن اخذت اصفهان وقتل محمد مؤيد الملك . ويبدو أن الطغراني ترجح بين مؤيد الملك ومجد الملك طمعا بالمنصب الأكيد ، مما أغضب عليه الاول ، فظل يعتذر ويعترف ، ولعله نجح في مسعاه لانتا نراه يرثى الوزير لدن قتله بقصيدة طويلة مخالصة .

ولا نعلم الوظائف التي كان يشغلها الطغراني بعد هذا التاريخ ، ولعلها كانت تتصل بالانشاء والطغراء . ولا بد من انه عزل عن عمله في خترة ما ، لانه رفع قصيدة الى أحد السلاجقة ذكره فيها بخدماته السابقة ، وشكا اليه ما ناله من حيف ، وطلب منه منصباً ينقذه من « الضر الذي أودى به » . وربما كان من آثار هذه القصيدة أن أصبح نائباً في ديوان الطغراء الذي كان يشغله الأمير العميد - في وزارة الخطير . وعندما توفي العميد عام ٥٠٥ « جلس مكانه في ديوان الطغراء وصدر الانشاء الاستاذ أبو اسماعيل الكاتب الاصفهاني - وكان ذا فضل غزير وأدب كثير ، تولاها بالاصالة متصدراً في دست العلاء » . وكان اذا انشأ تروى بطياً وتفكر ملياً . وغاص في بحر خاطره ثم أتى بالمعاني البديعة والاستعارات « الغريبة » « ولم يكن للدولتين السلجوقية والامامية من يضاهيه في الترسل والانشاء » . ومن عمله في هذا الديوان غاب عليه لقب الطغراني (نسبة الى من يكتب الطغرى ، وهي الطرة التي تكتب في اعلى الكتب فوق البسملة ومضمونها نعوت السلطان الذي صدر

وفي هذه السنة ، أي سنة ٥٠٥ نفسها حل بالطغرائي - وهو بمدينة السلام - خطب عظيم ، فقد عزل وعلاه من دونه وتكر له أصدقاؤه ، وثقلت عليه الإقامة ببغداد فنظم - فيما نظم - قصيدتين هما من خير ما قال ، امتزج فيهما الواقع بالمثال والعقل بالقلب والحكمة بالجنون والحرب بالسلم والطماح بالقناعة والكبرياء بالتواضع ... تانكم هما اللامية المشهورة :

اصالة الرأي صانتني عن الخطر وحلية الفضل زانتني لدى العطل
وبائية لا تقل عنها في الاعراب عما اختلج في ذلك القلب الجريح
من ألم وسخط ، ومطلعها :

أهاب به داعي الهوى فأجابا وعأوده نكس الصبي فتصابي
وفيها ثورة على « العراق » وأهل العراق :

ملكت ثواني بالعراق وماني رفاقي وكانوا بالعراق طرابا
* * *

فلا زائر يغشى جناحي لحاجة ولا أنا أغشى ما أقمت جنايا
* * *

بنوا الغدر لما فتش البحث عنهم أراك وميضاً خلبا وسرابا
وفي البائية هذه ، عتاب على الخلافة :

فيا عجبا حتى الخلافة ما رأت لحقي أن اجزى به وائابا
ولم ترع لي نصحي القديم وصحبي أخوض غمارا أو أروض صعبا
لعمري لقد ماحضتها النصح باذلا لو سعي وقد ردت الى منابا
فيا ليت نصحي كان غشا وطاعتي ثقافا وصدقي في الولاء كذابا
كما صار آمالي غرورا ، وخدمتي هباءا ، وسعبي خيبة وتبابا

والايات صريحة في التعبير عن صلة الطفراني بالخلافة وشدة هذه الصلة أيضاً . وكان ذلك في عهد المستظهر .

وطبيعي ان يعتزم الشاعر الهجرة ويتذكر الوطن . ولعله نفذ العزم ورحل الى اصفهان ، ولعله أمضى فترة متعزلاً ومنصرفاً الى الكيمياء والتأليف فيها . ولكن همته كانت ترى في العزلة مقاما على الهوان . حتى اذا كان عام (٥٠٩) راينا القاسم ابن الحريري يكتب اليه يهنئه بولاية الطغراء بأصبهان .

وفي هذه الايام وفي حوالي عام (٥١٠) رزق عليا - اصغر بنيه ، ففرح وشكا ، ولم يكن مرد الشكوى الفقير أو العزل وانما الشيخوخة وحرص الآباء :

هذا الصغير الذي وافى على كبرى
واقر عيني ولكن زاد في فكري
واقر عيني ولكن زاد في فكري
ثما كنلم اللبالي دارة القمر

○ ○ ○

سبع وخمسون لو مرت على حجر
فزاد حرصي على الدنيا وجدد لي
أضوى عليه واخشى ان يعاجلني
واشتهي ان اراه وهو مقتبل
أجبا مآثر آبائي واشبههم
لبان تأثيرها في صفحة الحجر
ضنا بمالي واشفاقا على عمري
يومى ولم اقض في ترشيحه وطرى
غض لشباب خضيب الوجه بالشعر
في مجدهم واقنفي في هديه أترى

وفي عام (٥١١) تقدم في مدارج الادارة شخص سميرى واصبح المستوفي بل المهيمى على زمام الحكم . « وكان يبغض الاستاذ ابا اسماعيل الطفراني ، « الوحيد الذي بقى من القدماء ، ولما لم ير اعدوه في فضله مطعنا ولا على علمه من القدرح مكمننا ، اشاعوا بينهم انه ساحر ... وان مرض السلطان (محمد) ربما كان بسحره ، وانه ان لم يصرف عن نصرته

فلا أمن من امره ، فبطلوه وعطلوه واعتزلوه وعزلوه . « وعاد الخطير
الذي كان وزيراً يمد الطغراء خطه » . ولم يكن رأى الطغراني بالخطير
حسناً ، وهو القائل فيه :

أما الخطير فجبة وعمامة ومنازل مرفوعة الأساس
واذ رجعت الى الكرام فطاعم ما بين أهل المكرمات وكاسي
وفي هذه السنة نفسها ، اي سنة (٥١١) توفي السلطان محمد وتمكن
ابنه محمود من السلطنة بعده واناط بالشاعر ديوان الطغراء والانشاء وظل
فيهما حتى أمره السلطان بملازمة بيته و « استقر الشهاب أسعد في مكانه
وانتصب في منصب ديوانه » . وربما كان هذا من بعض دسائس
السميرمي عليه .

ولم تكن مطامح الطغراني لتستجيب لهذا الامر ، فقد قصد الموصل
حيث الملك مسعود - اخو السلطان محمود - وكان صغيراً ، ابن احدى
عشرة سنة ، ويدبر له الملك في حكم الموصل واذريجان اتابكه جيوش
بك . اما طغرانيه فمحمد بن الطغراني الشاعر .

وفي الملك مسعود يقول الطغراني من قصيدة :

..... ان الهوى والرأى مالانحوكم بركاتي وهوى الرجال فنون
ابلسغ نهايات العلى وسجيتي تأبى التوسط - والتوسط هون
واسلم لادرك فيك ما املته ظننا - وظن الالمعي يقين
وتحقق له بعض هذا العلى اذ استوزره مسعود فأصبح الملك « بالمؤيد
مؤيداً ، وسداده مسدداً » .

ولكن الطغراني الذي ظهر في نونته من الحريصين على سلامة البيت
السلجوقي ومن دعاة وحدته ، لم يلبث ان غير رأيه وانضم الى المؤامرة

التي كان يحوكها ديبس بن صدقة المزبدي ملك الحلة « ويكتب بها جيوش بك ويحثه على طلب السلطنة للملك مسعود ويعدده المساعدة . . . فحسن - الطغرائي - ما كان ديبس يكتب به من مخالفة السلطان محمود والخروج عن طاعته »

« وظهر ما هم عليه من ذلك فبلغ السلطان محمود الخبر فكتب اليهم يخوفهم ان خالفوه ويعدمهم الاحسان ان اقاموا على طاعته وموافقته ، فلم يصغوا الى قوله واظهروا ما كانوا عليه وما يسرونه ، وخطبوا للملك مسعود بالسلطنة وضربوا له النوب الخمس ، وكان ذلك على تفرق من عساكر محمود فقوي طمعهم واسرعوا السير ليلقوه وهو مخف من العساكر ، فاجتمع اليه خمسة عشر الفا « والتقوا عند أسد آباد - قرب همدان ، وسط ربيع الاول من سنة (٥١٤) واقتتلوا بكرة الى آخر النهار ، فانهزم عسكر الملك مسعود واسر منهم جماعة من اعيانهم ومقدميهم ، واسر الاستاذ ابو اسماعيل وزير مسعود - « وكان اول من اخذ » « فأخبر الوزير كمال الملك - (السمرمي) به فقال للشهاب أسعد - وكان طغرائياً في ذلك الوقت نيابة عن النصر (أخي كمال الملك) : « هذا ملحد » فقال الوزير : « من يكن ملحدا يستحق ان يقتل » وقد اقام أقواماً فشهدوا عند السلطان محمود ان الطغرائي زنديق وانه لا يتدين بدين الاسلام ، فقال السلطان : « قد ثبت عندي فساد دينه واعتقاده » - وامر بقتله - فقتل (أو ذبح) بين يديه صبوا في ربيع الاول من عام (٥١٥) وقد جاوز عمره الستين سنة .

ترى أحق ما رووا من ان الطغرائي ملحد زنديق لا يتدين بدين الاسلام ؟ ان ذلك تلفيق لا غبار عليه ، فالطغرائي مسلم دون ريب

ولو وقفت المسألة عند الاحاد لقلنا ان ماتاه تشييعه ، وطالما اختلطت كلمة -
الاحاد - في العصر - بالباطنية والتشيع ، وما كان دين الطغراني يوما
بجال شك ، وكثيراً ما عقب المؤرخون بأنه « قتل ظلماً » . ومنهم من عده
« شهيداً » . ولو صدرت التهمة من انسان غير السميرمي لاستحقت
العناية ، اما وانها خرجت من رجل « كان مجاهراً بالظلم والفسوق » ، فمن
العيب الوقوف عندها واخذها سبباً للقتل ؛ الا ان هناك ما هو اهم
واعقل . فقد كان الطغراني فاضلاً ، واسع الفضل ، قديماً من بقايا
السيوف في المملكة ، وقد قال منذ سنة (٥٠٥) :

ما كنت أؤثر ان يمتد بي زمي حتى ارى دولة الأوغاد والسفل
تقدمتي اناس كان شوطهم وراء خطوي اذ امشى على مهل

وفهم السميرمي الايات على انها تعريض به ، وليس ذلك ببعيد ،
فقد كان الطغراني يحقره ويستصغره . ولما وقع المصاف خاف اعداء
الطغراني وخشوا اقبال السلطان عليه فكادوا له ودسوا حتى رموه بالاحاد
وعملوا على قتله واعتمدوا هذه الحججة ، وما كانوا لينجحوا او لم تلق
دعواهم هوى من قلب السلطان محمود الذي كان ينقم عليه موقفه وتجريره -
أخاه عليه .

أغراضه وموضوعاته

لا تكاد تخرج أغراض الشعر في العصر السلجوقي عن الاتجاهات التي سارت عليها في العصور السابقة ، ولكنها في جملتها كانت أميل إلى الانحطاط .

ولا يمنع هذا الحكم العام من استعراض لأهم المميزات وأهم التطورات في مختلف هذه الأغراض :

الغزل :

وقد أكثر العصر من الغزل لمناسبة ولغير مناسبة ، فقل الجديد فيه ، وغار الاصيل . وقد أولع الشعراء باتخاذ جزيرة العرب مسرحاً لاوطارهم المزعومة فمثالوها على وجرة ، والعقيق ، واللوي ، ونعمان ، وحزوى ... وكان طبيعياً أن يقتضيه ذلك ما تقتضيه البادية من أبل وخيام وظمن ... وما اعتادت أن تطلقه على بناتها من أسماء مثل لبنى وأميمة وأسماء ...

أما الأوصاف الجسمية « للحيبية » فما هو معروف من وجوه كالاقمار وعيون كعيون بقر الوحوش وأجساد كأجساد الظباء ... ثم هي بطيئة المشي ...

وليس من المعقول أن نبحت وراء هذه الأوصاف وتلك الأعلام عن الصدق مهما يحاول الشعراء أن يخدعونا ومهما تسهل الدموع الغزار من

مأقبيهم ويشغلهم الحب عن كل ما سواه ... ان حبههم لا يزيد عن كونه
تقليدا وتكرارا لمعاني السابقين وتكلفا لاصباياتهم ..

ولم يحل هذا التكلف عن وقوع أبيات طريفة تسترعى الانتباه
وتستلطف بما هيا لها اصحابها من سبك ماهر ، ولهجة تكاد تغري الطيبين
بالعطف والمشاركة .

وقد كانت التقاليد القاسية تحتم على المحبين التشدد في كتمان
هذا الحب :

سرى حيث لا يدري الضمير مكانه ولا يهتدي يوماً اليه الهواجس
وقدرة الانسان الى مدى :

ومن لي بكنمان الهوى ومدامعي تنم ، وانفاسي الحرار تشبع
والرقباء والوشاة والعذال بين بجىء وذهاب ، وفي شغل شاغل ...
وللمرجفين سوق رائجة :

هم أرجفوا بالوصل بيني وبينها وظن بنا فيما حكوه ظنون
فليت أراجيف الوشاة حقيقة وليت ظنون الكاشحين يقين
وتشاء « الحبيبة » ان تجازف فتقصد الحبيب ولا بأس ، لأن ذلك انما
يقع في الاوهام :

أنت وهي أحلى للفؤاد من المنى وأطيب من تهوية الفجر في جفني
ولا بأس باللقاء لانه يقوم على الحياء :

وليلة وصل قد قدرت فصدني حياي ألا ان الحياء رقيب
ويقوم على العفة والتقوى ... كما كان حب الشريف الرضي ...
والظفرائي - وهو صاحب الايات الانفة الذكر - اكثر شعراء العصر
تأثرا بالشريف واكثرهم فخامة في النظم .

أما الايبوردي « فعالم » آخر ، يصول ويجول على ثرى نجد وبين عذارى
نجد ، عاشقاً ومعشوقاً ، وقد منحه خياله هذا مجموعة طريفة من الشعر
فيها خفة وعليها رواء ، أسماها « النجديات » .

ولم يتورع شاعر في العصر عن التغزل وادعاء الحب واوعاته ان في
مطالع المدح وان في مقطعات خاصة - وكلهم يصنع ويتصنع ، وقد يأتي
بين الحين والحين ما يستطوف من المعاني والتراكيب ويشتهر من القصائد
والمقطعات .

وما استلطفه القدماء قول صردر :

وبان « الرمل » يعلم من عيننا	. . نسائل عن ثمامات « بحزوى »
أصرحنا بذكرك أم كنيننا	وقد كشف الغطاء فما نبالي
نقالوا : ما أردت سوى « ليني »	ولو أني انادي : يا « سليمي »
بكاسات الردي زورا ومينا	ألا لله طيف منك يسسقى
فكيف شكا اليك وجى وأينا ..	مطيته طوال الدهر جفني

المدح :

ولا يكاد المدبح يختلف كثيراً عن الغزل في مجراه التقليدي ، فما زال
المادح السلجوقي يفضل أن يبدأ بالنسيب ويصف الناقة والطريق ومن
ثم يتخلص الى الممدوح . ثم يعرض معاني شائعة ذائعة فهذا كالبحر وذاك
كالاسد ، وقد يقع بين الحين والحين بيت يستجاد أضاف به مؤلفه شيئاً
الى أمثاله من سابقه ، كأن يقول الايبوري في نظام الملك :

أنى في السماحة ما لم يدع لاهل الندى سيرة تعجب

أو أن يأخذ صورة هي أقدم من النابغة فيقول :
ولهم وقائع في العدى مذكرة تروي الذئاب حديثها والانسر
ولم ينسوا أن يمدحوا بالرأى وحسن التدبير فيقولوا :
يلاحظ غب الامر قبل وقوعه ويبلغ ما لا تبلغ العين ، بالفكر
كما أن للنسب نصيبا وقد قال صردر :
مشبه الاطراف أعمامه يظنها القائف أخواله
وبمدحون بصفات اخرى ... فيكثرون ويظلمون ويزيدون الكمية .

وتتصل بالمديح أغراض صغيرة اخرى كالاعتذار والعتاب والاعتراف .
ومع أن الجائزة هم الشاعر الاول فان المؤرخ يستطيع أن يعثر هنا
وهناك على نص يعينه على اجلاء ما غمض في التاريخ السياسي أو يعوض
له عما فقد .

الفخر :

أما الباحث عن الأصالة فيولي وجهه شطر الفخر ، فيرى أن الشعراء
فخروا بشاعريتهم كثيراً ، فالارجاني يقول انه « مطبوع » وان قوافيه
« سائرات » يرويهما الدهر :

ولا أنس الا بالذي ان نظمته تهاداه دان في البلاد ونائي
ومني اقتباس المحدثين معانيا ولم اقتبس معنى من القدماء
هكذا يقول ، والواقع يكذبه ، ونحن لا نرضى منه الا بقوله :
أنا أشعر الفقهاء غير مدافع في العصر أو أنا أفقه الشعراء
لأننا نعرف رداءة شعر الفقهاء - وان جهلها هو .

ولم يرض « الغزي » ما سمع من القريض بفارس ، وقصيدته - برأيه -

« محكمة شرود » :

شامية لولا تأخر عهدها حوت قصبات السبق من دون جرول
وانه :

لو امتلأت بها اذن « ابن حجر » لعلقها مع السبع الطوال
وكلمة الطغراني « طلقه » « تنافس فيها أعين وعقول » :
فدونكها غراء تعجب معرقا وتفتن نجديا وتونق مشيئا
وقوافي « اليبوردي » « غضة غراء » « تزين أجياد العواطل »
« شرود » « بصفى الحسود لها ملآن من طرب » فهي « تسكر السامع » ،
لم تسبق ولا تلحق ، خالدة .

فدونكها غراء لو رام مثلها سواي بليغ ظل يصفى ويجبل
أما « بدائع » صردر فـ « ينافس فيها الجاهلي المخضرم » و « فرزدقها
غواصها وجريرها » فهي « زبور » :

وأنا أمرؤ لو مد في غلوائه نطقي لقيل : كلامه تنزيل
هذه آراء الشعراء بشاعريتهم ، ولهم أن يحسنوا الظن بأنفسهم الى
أقصى ما يشاءون ، فلسنا ملزمين بتصديقهم وان كنا نستجيد أقوالهم
هذه ونستطرفها أحيانا .

وكما فخرنا بشاعريتهم ، فخرنا بثقافتهم وعلمهم وفضلهم ، وأكثرهم
غلوا في هذا الباب الطغراني ، وهو القائل :

أما العلوم فقد ظفرت بيغيتي منها فما أحتاج أن أتعلما
وفخرنا بحسن أخلاقهم وكرمهم وصبرهم وإبائهم وإخلاصهم للصديق .

واحتل الطموح والسعي الى المجد مكانا يلفت نظر القاريء ، فقد أيد
التاريخ الطغراني فيما ادعاه (لا سيما في لاميته وبائته) من
الولاية والجاه .

اما الأبيوردي فله شأن خاص ، وهو القائل :

يا من يساجلني وليس بمدرك شأوى ، وأين له جلالة منصي
لا تتعبن ، فدون ما حاولته خرط القنادة وامتطاء الكوكب

أن الرجل يفهم الاشياء على نحو خاص جداً جداً ، فانه يرى لنفسه
الحق بالخلافة ، وان مصدر حقه هذا كونه معاوياً « وجده ... سمت به
جرثومة من طينها خلق النبي » ، ولا يمكنك ان تحاكمه وتناقشه فما
الى المنطق من سبيل ، لانه مؤمن بما توجهه نفسه ، ونفسه اذ تفخر
تنسى الحدود والقيود ، وتنسى بني العباس ، وتنسى حتى الجوع ... وهكذا
يصر على حقه ، ويصر على فخره ، ويكرر في كل حين :

ملكنا أقاليم البلاد فأذعننا لنا رغبة أو رهبة عظماؤها

وهو اذ يتحدث يتصور أنه هو الذي ملك ، وهو الذي ساد ...

وخلف الأبيوردي أخوا - بالروح - بذه وفاقه ، ذلكم هو الحيص ييص
الذي أنف أن يكون شاعراً فقط ، فقال :

يا رواة الشعر لا ترووه لي فبغير الشعر شيدت رتي

وقال :

الى كم يراك الدهر في زي شاعر وقد نحتل شوقا اليك المنابر

فاذا به يطلب الخلافة أيضاً - سأل الله

الشكوى :

ويصحو الشعراء من كبرياتهم ويرون المدى الواسع بين الخيال

والحقيقة ، وبين ما هم عليه وما حلموا بأنهم عليه ، فتسود الدنيا في
عيونهم ويريقون أساهم على الورق وفي طيات القصائد فاذا بالشكوى في
كل مكان ولكل سبب واذا هي غرض قائم بنفسه .

وهم يشكون من الدهر أو الزمان أو الليالي كأن الدهر هو السبب
لما ينالهم من جور وأذي وألم . فيقول صردر :

قد حزت الايام في كبدى وأطاف بي مس من الضر
والايوردي :

تنكر لي دهري ولم يدر اني أعز وأحداث الزمان تهون
فظل يريني الخطب كيف اعتداؤه وبت اريه الصبر كيف يكون !

ثم انهم يعزون بؤسهم الى القدر الذي كتب كل شيء ، ولا يستطيع
الانسان أن يقدم أو يؤخر :

فما اجتهاد الفتى يوما بنافعه وانما هو ابلاء المعاذير
والى الحظ :

أهبت بالخط لو ناديت مستمعاً والخط عني بالجهال في شغل

فأين مفري وما حيلتي وجدى في كل صوب أمامي

والظفراني على شكواه من الزمان والخط يذكر الناس صراحة ، ويعين
صفا بعينه :

أعدى عدوك أدنى من وثقت به فحاذر الناس واصحبهم على دخل
وهو يكرر شكواه من الحساد والاصدقاء والشامتين ويغرق وتعلي عليه
ظروف خاصة فردية تعميمات يراها صحيحة كل الصحة :

تشابهوا في طباع الشر بينهم
فلا ترومن انصافا ، وقد شهدت
على اختلاف من الاهواء والصور
مخالب الليث أن الظلم في الفطر

ويرى غيره عامل الشكوى في الحكام والصدور من ترأس دون أن
يكون للرئاسة فلم يعدل ولم يعرف أهل الفضل ، ولهذا قال الايبوردي :
وأبرح ما ألقى رياسة عصبه
وأخس زمان نال مني زمانها
وقلل

أفي كل يوم دولة مستجدة
يذل بها حر ويسمو لها عبد
وقال :

وشر بلاد الله ما ساد أهله
وأوغل الشعراء في الشكوى حتى قالوا مع الغزى :
مللت العيش حتى كدت أشكو
جنائيات الملل الى المسلال
ومع ابن الهبارية :

ولست بشاك صرف دهري وأهله
وفي هذه الصرخات الصادقات تنفيس عما كان يكتنف الشعراء من
ظلم - وما يصيب « حرقة الادب » من كساد .

السرثاء :

وأول ما يستوقف الباحث في الرثاء قصة الطفرائي أو بمعنى أدق بكاء
الطفرائي على زوجته التي فقدها وهي في أوج شبابها وريبع عمرها فحزن
أشد الحزن وأعرب عن حزنه هذا بأبيات نادرة في تاريخ الشعر العربي
ولا سيما في رائيته :

أقول وقد غال الردي من احبه ومن ذا الذي يعدي على نوب الدهر

أعيني جسودا بالدماء وأسعدا
أذم جفوني أن تضن بذخرها
بنفسي من غاليت فيه بمهجتى
وغايظت فيها أهل بيتي فكلهم
وفزت بها من بين يأس وخيبة
فجاءت كما جاء المنى واشتهى الهوى
فقد جل قدر الرزء عن عبرة تجرى
وأمقت قلبي وهو يهدأ في صدرى
وجاهي وما حازت يداي من الوفر
بعيد الرضى يطوى الضلوع على غمر
كما استخرج الغواص لؤلؤة البحر
كما لا ونبلا في عفاف وفي ستر

ألا ليتنا لم نصطحت عمر ليلة
ولم نجتمع من قبل هذا على قدر

بنا أنت من مهجورة لم أرد لها
طلعت طلوع البدر ليلة تمه
فراقا ولم تطو الضلوع على هجر
وفقت كما أربي على الانجم الزهر

وما كنت الا نعمة الله لم تدم
على لعجزى عن قيامي بالشكر

وفي قافية له لا تقل عن هذه نفاسة
يصور زوجته في لحظات الاحتضار ،
وبصور لنا زيارته لقبرها وما يجده عند هذا القبر من راحة .

كل هذا وامثاله رائع ونادر في الادب العربي ولا تكاد تجد له
مشابها . ستقول جرير . مشهرر ولكنه استهل قصيدته بـ « اولا الحياه
لهاجني استعبار » ثم انه اكنفى بأبيات معدودات انتقل بعدها الى هجاء
الفرزدق وأخته بأكثر من مئة بيت حشاشا بأقذع الكلمات واخس الافعال .
ويستوقف الباحث في رثاء العصر قصيدة أخرى قالها ابن أبي الفتح

بيكي ولده وقد تذكره يوم عيد :

ولست حزن « أبي الحسين » جديدة
حيا وكنت الميت الملهودا
فيه ، ألا بعداً لذلك عبدا
وحشا عليه جنادلا وصعبدا

ليس الحبور جديدهم في عبدهم
ووددت لو حضر المصلي فيهم
أيسرني عبدا ولم أر وجهه
كيف المسرة لامرئ فقد الهوى

والبدر حسنا والسحابة جودا
وجدوده المتخيرين الصيدا
وغضضن من بصرى وكان حديدا
لاكان ذاك بقا ولا تخليدا
فهو الخؤون مودة عهدا

أفحين عاد الليث بأسا يتقى
وتقيل النجباء من آبائه
وأوان أوهنت الليالي أعظمي
.. فارقت وبقيت اخلد بعده
من لم يمت حزنا لموت حبيبه

وهكذا سجل مشاعره الصادقة وأعرب عن حبه كما أبان وقع
المصاب على شيخ مثله .

هذان الانموذجان أجدر ما في الرثاء بالذكر والثناء ، وهناك قصائد
أخرى دبحها الشعراء في رثاء الصدور وذوي السلطان ، وأخرى في بكاء
استاذتهم وغيرهم من أهل العلم والعرفان .

الشعر التعليمي :

يمكن أن نتوسع بمفهوم « الشعر التعليمي فندخل تحته كل ما نظم
بارادة وقصد خارجي يقوم على المهارة دون غيرها كما رأينا في بابي الغزل
والمديح ثم ندخل نظم الفقهاء والاساتذة وما جاء في باب النصيحة
والوعظ والزهد ، لما في كل ذلك من جفاف واغراق في العقل ، ولو جاء
هذا العقل مشفوعا بعاطفة تظل من وراء الكلمات فتخفف من ثقلها
وتوحي الى السامع أطرافا من نأثر صاحبها ، لو جاء كما قال الطفراتي :

« إذا الفتى عرف الرشاد لنفسه هانت عليه ملامة الجهال
لكانت الحكمة من الشعر ، ولا مستحقت عناية تلبق بها - ولكن أمثال
هذا قليل . ومثله في القلة صفحات فلسفية كالتي نراها لدى ابن السبل .
ويتصل بالشعر التعليمي كتابان لابن الهبارية هما « نتائج الفطنة في
نظم كليله ودمته » و « الصادح والباغم » وفي هذا الثاني - في الأقل -
محاولة ذات بال في الشعر القصصي عند العرب .

ثم يضيق المفهوم ، ويضيق حتى نلتقى بالشعر التعليمي في معناه
الاصطلاحي - وهو لا يمت الى الشعر الحق بصلة - فينظم الفقهاء وغيرهم
مناسك الحج ، والحريري « ملحمة الاعراب » والطغراني « مقطعات في
الصنعة » - ويقصد بالصنعة الكيمياء .

خاتمة -

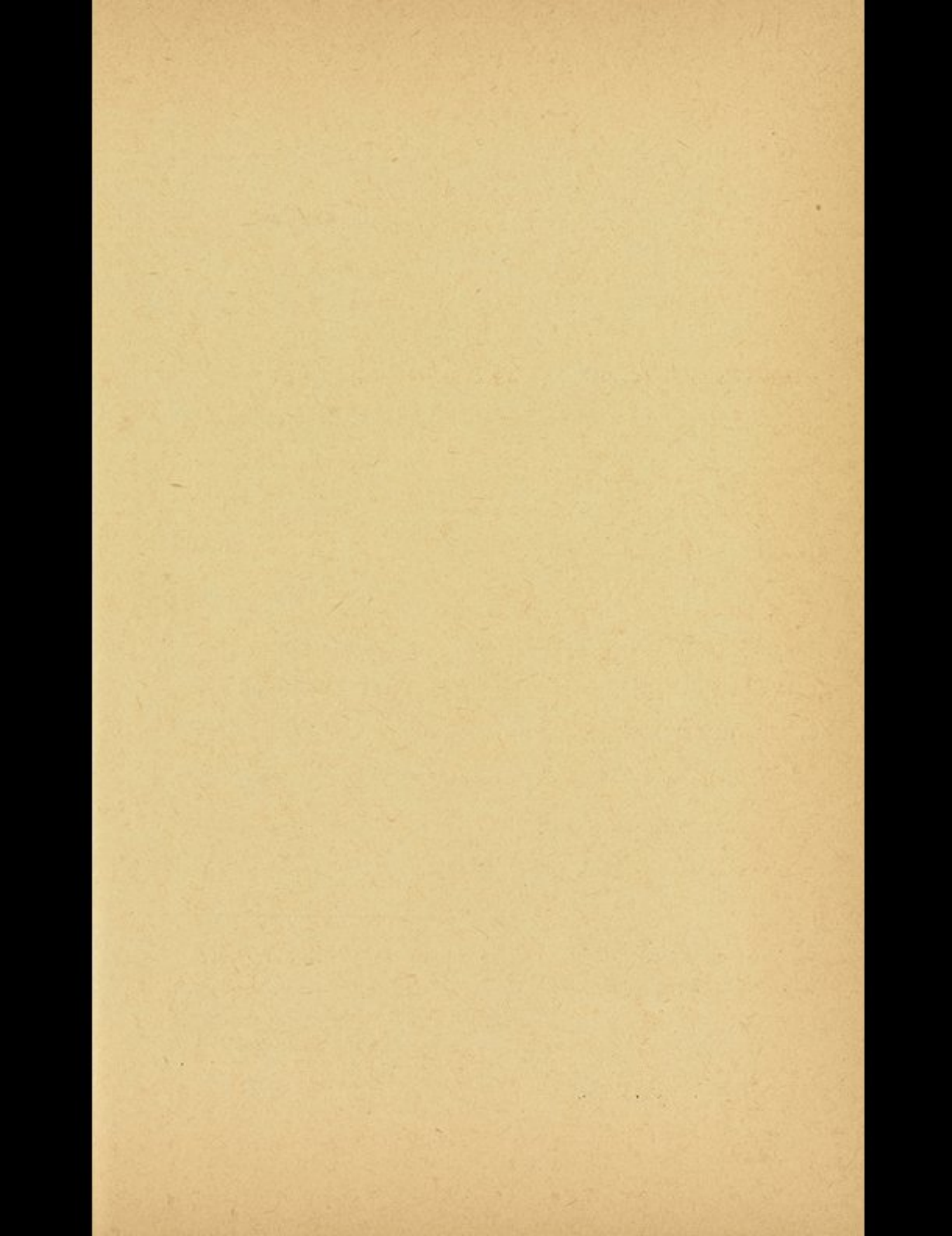
هذه أهم أغراض الشعر في العصر السلجوقي ، وهي استمرار لخط
تقليدي ، وقد رأينا في الفخر والشكوي والرثاء صفحات أصيلا تسترعى
الاهتمام والاعجاب .

وقد تجنبنا في هذه المقالة الحديث عن الأغراض التي تتمم معانيها
خط السخف الذي (ازدهر) في العهد اليويهي .

تنظر « الأستاذ » ١٩٥٩

(٥)

جامعة باريس
دار المعلمين العالية



جامعة باريس (١)

تاريخها وتنظيمها

منذ اواسط القرن الثاني عشر ، كانت المدارس الباريسية عديدة . كانت الشهرة التي هياها لها اساتذة مثل (أبلار) و (غيوم شامبو) ، تجتذب اليها التلاميذ من كل البلدان . كانت تدرس العلوم المعروفة آنذاك . اولا وقبل كل شيء : الفنون الحرة المؤلفه من الثالوث (٢) والرابوع (٣) . ثم العلوم الاكثر تخصصاً : الطب ، القانون المدني ، القانون الكنيسي واللاهوت .

كانت هذه المدارس تحت السلطة المباشرة لاسقف باريس وكان هذا يمنح اجازة التعليم التي لا يمكن التدريس من دونها ، وكان له الحق الدائم في الاشراف على التعليم والضبط . ويظهر هذا الاعتماد الشديد على السلطة الاسقفية في موقع هذه المدارس فانها كانت - اول الامر - مجموعة كلها في الايل دلاسته (جزيرة المدينة) عند كنيسة نوتردام ، حتى اذا تكاثرت المدارس والتلاميذ وضاق المكان ، اضطروا الى عبور

(١) الاصل عن دليل جامعة باريس Livret de L' Etudiant لما الحواشي فمن مراجع اخرى منها « تاريخ التعليم في فرنسا » تأليف كلاتيني Clatigny . ومعجم لاروس ، و « تاريخ الجامعات » لايركان Aigrain .
(٢) النحو والبلاغة (الخطابة) والمنطق (او الفلسفة) .
(٣) الحساب والهندسة والفلك والموسيقى .

النهر ليقوموا في جوار الاديرة الشهيرة في سنت جنيف وسن فكتور .
كانت هذه النقلة بداية التحرر من السلطة الدينية ، وقد اصبح هذا
التحرر ، بعد قليل ، تاماً ، وذلك بفضل مساندة السلطة الملكية والبابوية .
وكان أول آثاره أن ابدت المدارس وعياً واضحاً لمصالحها العامة
والدور الذي تستطيع ان تمثله ، وتنج عن هذا الشعور حاجة تلقائية
للمجتمع ، ادت الى تأسيس نقابة قوية هي نقابة المعلمين والطلبة .

كانت جامعة باريس والهيئة والاسم قد وجدت منذ النصف الثاني من
القرن الثاني عشر ولم يبق للجامعة ، منذ ذلك الحين ، الا ان تحصل
عن السلطة الملكية اولاً ، ثم من المقر البابوي ، على الامتيازات التي تجعل
منها مؤسسة مستقلة ، منفردة .

في عام ١٢٠٠ ، على اثر شجار وقع بين عدد من الطلاب وابناء
الطبقة المتوسطة أصدر فليب اوگست منشوراً نزع به الجامعة عن السلطة
المدنية ، واخضعها لقضاء الكنيسة وحدهم (١) ، ثم ، في عام ١٢١٥ اعترف
لها منشور بابوي - وهي المنظمة الكنيسية - بحق الاجتماع والتحالف
وامتلاك الخاتم . وبوضعها تحت السلطة المباشرة للمقر البابوي خلصها نهائياً
من السيطرة الاسقفية (٢) .

(١) وكان هذا في صالح الطلاب لان قضاء الكنيسة كان اكثر عدلاً من القضاء المدني .
وفليب اوگست هذا هو الملك فيليب الثاني بن لويس السابع ، ولد عام ١١٦٥ وملك عام ١١٨٠ وشارك
في الحروب الصليبية الثالثة مع ريكارد قلب الاسد . ويعزو لاروس الى فيليب الثاني تأسيس الجامعة ...
توفي عام ١٢٢٢ . يجعل كلانتي نشوء الجامعات في القرن الثالث عشر . وكذلك ايكران .

(٢) وهكذا ابدت سلطة الاسانذة وزاد استقلالهم . وعلى اثر تحريم السلطات الدينية لكتب من
مؤلفات ارسطو بما يتضمن المنطق الجديد ، اعلنت عام ١٢٢٩ الاضراب عن التدريس . وقد انتهى الاضراب
باتتصار باهر للاسانذة اذ سمح البابا بتدريس الكتب التي كانت محرمة .

وفي خلال هذا القرن الثاني عشر نفسه، تكونت في احضان الجامعة
تجمعات ادت الى التجانس بين مبادئها المختلفة، وعن هذا الفعل
الداخلي ولدت الكليات، وكانت اربعاً: كلية الفنون (الآداب) - وهي الاعم
بعدد اسانذتها وطلابها، - كلية القانون الكنيسي، كلية الطب وكلية اللاهوت.
أدت كثرة الطلبة وتعدد أصولهم في كلية الفنون الى نشوء مجموعات
اخرى هي « الشعوب»، وكانت تضم الاسانذة والطلاب الذين ينتمون
الى بلد واحد (١)، وكان كل شعب ينتخب ممثلاً يأخذ على عاتقه السهر
على مصالحه وقد اصبح الممثلون، منذ عام ١٢٤٥، تابعين لمدير ينتخب
لمدة قصيرة، ولكن سلطته اتسعت بحيث طغت على سلطة العمداء الذين
اعتادت كل كلية ان تنتخبهم، ولم يلبث المدير ان اصبح رئيس الجامعة كلها.
سبق هذا التنظيم الداخلي لجامعة باريس، استقرارها المادي، فقد
ظلت زمناً طويلاً دون ان تمتلك بناياتها الخاصة بها. وكانت الكليات
والشعوب تستعير لاجتماعاتها رواقاً او مطعماً من احد الاديرة، اما
اجتماعات الجامعة فكانت تعقد في كنيسة. وكان الاسانذة يعلمون حيث
يشاءون، في بيوت خاصة أو في أروقة الاديرة أو على مفترق الطرق (٢).

ان المدارس التي انشئت منذ القرن الثالث عشر لم تكن، في
الاصل، الا بيوتاً أسست من أجل الطلاب الفقراء، لتهيب لهم المسكن
والمأكل. وأكثر هذه البيوت شهرة ما أسسه عام ١٢٥٧ روبر السوربوني

(١) والشعوب الاربعة في كلية الآداب هي: البيكلرديون والنورمانديون والانكليز (كالانكلوسكونيين)
والفرنسيون (وتشمل أهل وسط فرنسا وجنوبها).

(٢) قبل نهاية القرن الثالث عشر لم تكن بنايات عامة... وكان كل استاذ يستأجر - كما
يشاء - قاعة متواضعة لا تجد فيها عادة حتى مقاعد للطلبة.

– الاستاذ في اللاهوت (١) ومعرف الملك (٢) . ولم يكن لوجود هذا البيت ، في أول أمره سبب غير ابواء ستة عشر طالباً فقيراً ممن يحملون ليسانس الفنون ويسعون للدكتوراه في اللاهوت (٣) . ولم يلبث أن جاء عدد من أساتذة الجامعة وأقاموا في البيوت ، فأصبحت – هذه البيوت دوراً للتعليم ، وكانت – في الغالب تابعة لكلية الفنون ، ولأن بيت السوربوني كان يؤوي أهل اللاهوت أصبح – في الواقع – كلية اللاهوت . وتفسر الأهمية التي أكتسبتها هذه الكلية – بعد ذلك – في القرن السادس عشر والسابع عشر ، كيف ظل اسمها يستعمل ليعني جامعة باريس كلها (٤) .

ان أهمية جامعة باريس – على الرغم من قصور هذه البنايات – كانت في تعاضم دائم ، وان الفترة التي تمتد من القرن الثالث عشر الى الخامس عشر هي – دون ريب – احدى فتراتنا الاكثر نصاعة في تاريخها . لقد كانت الجامعة ، آنذاك ، في العاصمة ، المصدر الوحيد لبث المعرفة . وكانت سلطة اساتذتها تنشر نفوذها في العالم كله . وكان البوابات والملوك

(١) ولد روبر في بلدية سوربون نام ١٢٠١ وتوفي عام ١٢٧٤ .

(٢) والملك هو « سن لويس » : لويس التاسع الذي ملك فرنسا منذ عام ١٢٢٦ . وقد قضى العشرة الاولى من حكمه في ظل وصاية أمه . ولويس من ملوك فرنسا الذين قادوا حملات صليبية ... وقد كسر في مصر ، في معركة المنصورة ، عام ١٢٥٠ ... وعاش فترة في فلسطين ... كما انه قاد الحملة الثامنة الاخيرة من الحروب الصليبية فأفلق نحو تونس ولكنه ما كاد يحل في قرطاجنة حتى مات بالطاعون عام ١٢٧٠ .

(٣) وقد حصل روبر عليه من الملك مجاناً . وكان البيت مجهزاً بمكتبة ويهيئ للطلاب الطعام والسكن .

(٤) أما الآن ، فهو (والسوربون مؤنثة باللغة الفرنسية) البناية التي تضم كلية العلوم وأكاديمي باريس فهو اذن جزء من جامعة باريس ، وكثيراً ما قرأنا في المجلات العربية من مصرية ولبنانية وعراقية ... جامعة السوربون وهم يقصدون جامعة باريس .

يرون من الشرف لهم أن يحافظوا على صلاتهم بها . وظلت كذلك حتى نهاية القرون المتوسطة .

ان انحطاطها بدأ في عصر البعث وقيام الحركة الانسانية (١) . وذلك أنها لم تعرف أن تتكيف لحاجات الروح الجديدة فاضطرت لأن تعاني منافسات هائلة كسفت من هيبتها .

كانت أولى (هذه المنافسات) كلية فرنسا الملكية التي أسسها عام ١٥٣٠ فرونسوا الاول (٢) — حامي الانسانيين . ثم كانت بعد ذلك الكليات التي أسسها اليسوعيون — واقويت نجاحاً كبيراً سريعاً . وكان زيادة السلطان الملكي ينحو — في الوقت نفسه — للحد من امتيازات جامعة باريس واستقلالها . وفي عام ١٥٧٩ حاول مرسوم (بلوا) اعادة تنظيم التعليم الجامعي ، ثم ، بعد ذلك ، أيام هنري الرابع (٣) اجتمعت

(١) L' Humanisme التي تعنى خاصة باللغات القديمة من يونانية ولاتينية . وقد سخر الانسانيون من الجامعة ومن نظم التعليم فيها مر السخرية .

(٢) ولد فرانسوا الاول عام ١٤٩٤ وملك عام ١٥١٥ وتوفي عام ١٥٤٧ . ويلقب بأبي الادب . وقد ناصر حركة البعث وحمى الفنانين ودعا الى فرنسا الفنانين الايطاليين أمثال فنسي ...

وتعد كلية فرنسا الملكية Le Collège Royal de France - التي أسسها فرانسوا الاول بحث كيوم بيده — مدير مكتبته — انتصاراً للروح الجديدة وحدثاً في تاريخ الثقافة . فلأول مرة في تاريخ فرنسا ينشأ تعليم مستقل لا يقصد الى أي غرض مادي ، فهي لا تشترط أية شهادة في التعليم ولا في التعلم . وليس هناك امتحان او منهج أو صفوف ... مما يعكر حرية التفكير العلمي . وخصص فيها كرسيان للعبية وكرسيان للاغريقية وكرسي للرياضيات وكرسي لللاتينية ... ان الاستانذة يريدون بذلك الرجوع الى النصوص نفسها وبحثها بجرأة ... وهذا مما أغضب كلية اللاهوت .

ولهذه الكلمة تاريخ ، وتعرف اليوم بـكوللج د فرانس . College de Fr. ولا تزال تحتفظ بالسبب الذي وجدت من اجله . وهو حرية التعليم والتعلم وقد أصبحت ذات فروع كثيرة ، وتتنوع مناهجها حسب تنوع اختصاصات الاستانذة انفسهم .

(٣) ملك فرنسا من ١٥٨٩ الى ١٦١٠ .

المملكة أن تفرض حقها في توجيه تربية الشباب ومراقبتها . وفي عام ١٦٢٧ وكل رشبليو — الذي كان يدير السوربون منذ عام ١٦٢٤ — الى لمسيه اعادة بناء بنايات قديمة — وقد انتهى عام ١٦٤٢ ، ولكنه قلل كثيراً من أهمية السوربون بحيث أصبح كأنه محكمة كنيسية ليس غير . وأعاد (كولبر) بناء كليات الحقوق ، وجرى اصلاح مشابه لذلك بايعاز من السلطة الملكية فشمع عام ١٧٠٧ كليات الطب .

وظهرت — على الايام — منافسات أخريات للجامعة . فقد أضيفت الى كليات اليسوعيين ، كليات الاوراتوريين وكذلك مدارس (پور رويال) التي استحوذت على اهتمام الطبقة المستنيرة بجدة طرقها وقدرة اسانذتها .

اما الجامعة فقد دفعها جهل غريب لمصالحها لان تلج في غلق الابواب على نفسها بوجه التأثير الخارجي ، ولم يكن لديها ما يقابل كل هذه المعارف المجددة والمحدثة الا مدرسية القرون المتوسطة .

وفي عام ١٧٦٢ عرضت للجامعة فرصة لم تعرف استغلالها كما يجب ، وذلك حين طرد اليسوعيون من فرنسا وسقطت مدرسة لويس لـ گران بين يديها . وعندما اندلعت الثورة كانت الحياة قد فارقت الجامعة مفارقة تكاد تكون تامة . ثم ان حكومة « المؤتمر » الغتها بتاريخ ١٥ أيلول ١٧٩٣ حين أصدرت تقرير غلق المدارس في كل أنحاء الجمهورية .

ولما شرع نابليون باعادة تنظيم التعليم أسست « جامعة امبراطورية » تجمع كل التعليم العام بمقتضى قانون العاشر من مايس ١٨٠٦ الذي كمله مرسوم ١٧ مارت ١٨٠٨ ، ١٥ تشرين الثاني ١٨١١ وكان يرأسها « استاذ كبير » يساعده مجلس الجامعة ، وكانت الامبراطورية مقسمة الى اكاديميات يدير كلا منها مدير يساعده مجلس اكاديمي .

وهكذا ، أصبحت باريس مقراً لأكاديمي تتمتع بخمس كليات جديدة. للحقوق والطب والعلوم والآداب واللاهوت الكاثوليكي . ومع ذلك لم يكن بين هذه الكليات أي رابط وأية منظمة شاملة ، وكانت مالياتها - عادة - محدودة جداً ، ثم أصبحت الجامعة الامبراطورية ، جامعة فرنسا ، ولكن نظامها بقي ولم يتغير تغيراً عميقاً ، الا أيام الجمهورية الثالثة (١) . وأنشأت مراسيم ٢٥ تموز و ٢٨ كانون الاول من عام ١٨٨٥ المجلس العام للكليات ، يرأسه المدير ويساعده العمداء وعضوان منتدبان عن كل كلية ، ومهمة هذا المجلس مناقشة القضايا التي تتعلق بالمصالح العامة للكليات . واعترف قانون المالية لـ ٢٨ نيسان ١٨٩٣ بالشخصية المدنية للهيئات المكونة من اجتماع عدة كليات حكومية في نظام أكاديمي واحد . وأخيراً أعاد قانون ١٠ تموز ١٨٩٦ مكملاً بمرسومي ٢١ و ٢٢ تموز ١٨٩٧ الى هيئات هذه الكليات اسم الجامعات .

أهم المؤسسات التي تتألف منها جامعة باريس من ناحية ادارية ومالية هي : - كلية الحقوق ، كلية الطب ، كلية العلوم ، كلية الآداب ، كلية الصيدلة ، دار المعلمين العالية ومعاهد ومدارس ومكتبات ومختبرات ومراسد ... الخ ملحقه بها .

يدبر كل كلية عميد ينتخبه مجلس الكلية ويقره الوزير لمدة ثلاث سنوات ، ويرأس الجامعة مدير أكاديمية باريس ، وهو رئيس مجالس الجامعة .

المعلم الجديد - ايلول ١٩٥٦

(١) تبدأ الجمهورية الثالثة بعام ١٨٧٠ . وبدأت الرابعة بعام ١٩٤٤ .

عن جامعة باريس

عدد الطلاب المسجلين في جامعة باريس خلال عام ١٩٥٤-١٩٥٥ :

١٩٥٠٩	كلية الحقوق
١٢٠٠٢	كلية الطب
١١٠٣٨	كلية العلوم
١٧٣٠٢	كلية الآداب
٢٢٨٩	كلية الصيدلة
٢٥٥	مدرسة طب رومس

اجانب		مستعمرات		فرنسيون		
بنات	بنين	بنات	بنين	بنات	بنين	
١٢١	١١١٤	٧٦	٧٢٨	٥٣٠٥	١٢١٦٥	الحقوق
١٠٢	٧٤٨	٦٦	٥٧١	٣٦٦٦	٧٨٤٩	الطب
٩٧	٧٤٣	١٠٦	٦٨٣	٣٢٥٥	٦١٥٤	العلوم
١١٢٢	١٨٢٧	٤٢	١٤٣	٧٩٨٧	٦١٨١	الآداب
١٩	٥٦	٥٧	١٥٣	١١٩٤	٧٨٠	الصيدلة
١	٢	—	١٢	٩١	١٤٩	طب رومس
١٤٦٢	٤٤٩٠	٢٧٧	٢٢٩٠	٢٠٤٩٨	٣٢٢٧٨	المجموع
١٤٦٢		٢٦٦٧		٥٢٧٧٦		المجاميع العامة

(١) ٦٢٣٩٥

لمجموع العام

(١) في فرنسا (١٧) جامعة رسمية يبلغ طلبتها حوالي ١٦٠٠٠٠ طالب .

* كل استاذ يعين اليوم والساعة والمكان الذي يستقبل فيه الطلبة للاجابة عن أسئلتهم .

* منذ عام ١٩٤٧ يذاع عدد من دروس كلية الآداب بالراديو ...
ويعلن لها منهاج سنوي .

* لكل كلية ولكل معهد مكتبة خاصة به .

* في المكتبة الاهلية « الوطنية »

٦٠٠٠	٠٠٠	مجلد مطبوع
٥٠٠	٠٠٠	مجلة وجريدة
٥٤٠	٠٠٠	مخطوط

ولا يدخلها الا حملة الشهادات العالية وأصحاب البحوث الخاصة .

* في مكتبة سنت جنيف (عامة) ١٠٣١١٤٢ كتاب مطبوع ، ٣٨٠٢ ،
مخطوط .

* في مكتبة السوربون (الآداب والعلوم) حوالي ٩٠٠٠٠٠٠ مجلد ، ٣٠٠٠٠
مجلة وجريدة ، مجموعة كاملة من اطروحات جامعة باريس وغيرها
من جامعات فرنسا ومجموعة ضخمة من اطروحات الجامعات في العالم .
* في الكوليج دفرانس ٣٠٠٠٠٠ كتاب (وهي خاصة باللاساتذة) زيادة
على عشرين مكتبة خاصة بعدد من المختبرات أو دوائر البحث - تضم
مجموعات نادرة .

* في مكتبة دار المعلمين العالية حوالي ٦٠٠٠٠٠٠ مجلد .

* يرجع تاريخ مدرسة اللغات الشرقية الحية لتاريخ ٣٠ مارت ١٧٩٥
وفي مكتبتها أكثر من ١٥٠٠٠٠٠ مجلد ، ١٠٠٠٠ مخطوط وحوالي ٣٥٠٠
مجلة وجريدة .

* يدرس في الكوليج دفرانس - فيما يدرس : الاشوريات ، المصريات ،

الآداب العربية .

- * انشيء معهد الدراسات الاسلامية عام ١٩٤٥ .
- * تلحق بالسوربون مدرسة الدراسات العليا وتدرس فيما تدرس - الآداب العربية والتاريخ العربي .

- * شهادة الدكتوراه على نوعين : دكتوراه الجامعة ودكتوراه الدولة .
- تقتضي دكتوراه الجامعة في الآداب تأليف اطروحة (بالفرنسية) باشراف أحد الاساتذة ويتناقش ثلاثة (بضمنهم الاستاذ المشرف مناقشة علنية (ولا يمكن للطالب أن يناقش قبل مرور سنتين على تسجيل موضوعه) ، ويشترط التسجيل - فيما يشترط - الليسانس أو مايعادلها . ويستطيع وزير المعارف ان يجيز - بصورة استثنائية - للطالب تحضير دكتوراه الجامعة - من غير ليسانس - وذلك بعد توصيات مجلس التعليم العالي .
- وتقتضي دكتوراه الدولة أطروحتين : (رئيسة يدرس فيها الطالب موضوعه باشراف أحد الاساتذة ويكتبه بالفرنسية ، ومكملة ويديره بأشراف استاذ آخر ويكتبه بالفرنسية أو اية لغة تدرسها الكلية) ويفضل فيها تحقيق نص قديم ومقابلته على النسخ المختلفة وكتابة مقدمة له (بالفرنسية) ويناقش الطالب مناقشة علنية خمسة اساتذة ثلاثة للرئيسة (بينهم المشرف) واثنان للمكملة (بينهم المشرف) ، (ولا يناقش الطالب قبل مرور ثلاثة أعوام على تسجيل موضوعه) .
- اما كلية الحقوق فتشترط الدكتوراه الجامعة - غير الليسانس - الحصول على دبلوم الجامعة (ويقتضى دراسة سنة واحدة على الاقل) ثم كتابة أطروحة . وتشترط دكتوراه الدولة الحصول على دبلومين (يقتضيان سنتين - في الاقل) ثم كتابة أطروحة (يمكن الانتهاء منها في ظرف سنة واحدة) .

الدخول في دار المعلمين العالية بباريس (١)

لم تفقد دار المعلمين العالية بباريس (٢) - بالرغم من المائة والستين سنة التي مرت عليها - شيئاً من حيويتها او اشراقها ، فهي التي قدمت - وتقدم - لفرنسا خيرة الاساتذة وعدداً من اكبر ادبائها وعلمائها وشخصياتها ؛ سل من شئت من أصحاب مكنتات الحى اللاتيني عن كتاب القصة والمسرحية الذين يلقون الرواج عند زبائنهم من فرنسيين واجانب ، يجبك :- جان جيردو ، جيل رومان ، روبر برازيك ، جان پول سارتر ، تيرى مونييه ، پول گيت ، روجه بيرفت - وكلهم درمعي "٣" . افتح جريدة ما ، تجد اسما تتردد :- ادكار فور ، جورج بيدو ، ادوار اريو ، جاك سوستل ، مارسل كاشان ، ليون بلوم - وكلهم درمعي . ومثل ذلك قل عن

(١) مترجم عن مقالة كتبها المسيو ياروس المدرس سابقاً في دار المعلمين العالية ببغداد . اما الحواشي فلمترجم .

(٢) L'Ecole Normale Superieure والترجمة الحرفية هي : « مدرسة ٠٠٠٠ » وهي جزء من جامعة باريس وقد ولدت في معمان الثورة الفرنسية - شأن كثير من المعاهد العلمية الشهيرة - بموجب قرار صدر بتاريخ ٣٠ تشرين الاول عام ١٧٩٤ م . وهي للبنين فقط [وللبنيات دار خاصة بن أسست عام ١٨٨١ م] وهناك [في سن كلو - قرب باريس] داران اخريان : واحدة للبنين واخرى للبنات . اقل صعوبة ولا تشتطان اللغة اللاتينية وتعدان - عادة المعلمين للتدريس في دور المعلمين الابتدائية .

(٣) ربما كان الدكتور ابراهيم سلامة اول من نحت الكلمة قياساً على الدرعمي نسبة لدار العلوم بالقاهرة ، وربما وجد من يفضل [الدر معل] .

ومن اعلام الدرعميين الآخرين :- نين ، سنت ييف ، بركسون ، لانسون ، نيبودة ، الان .

ميادين الصحافة والنقد الادبي والدبلوماسية والعلاقات الثقافية والاذاعة
والسينما حيث يلمع الخريجون من طلاب شارع ديلم (١) ؛ وعن ميادين
العلم حيث يتولى الدرمةيون - ممن يترك التدريس - ادارة مكاتب الدراسات
الصناعية الخاصة ، أو ينصرف الى البحث في الطاقة الذرية او يتم رسالة
پاستير - احد الدرمةيين العالميين .

تقسم الـ (د . م . ع) الى قسمين [٢] : الآداب والعلوم ، ويتم اختيار
طلابها بامتحان التصفية الذي يجري كل عام لقبول حوالي الثلاثين لكل قسم
منهما - على الا يقل عمر الطالب عن الـ (١٨) عاماً ولا يزيد على
الـ (٢٣) عاماً .

يتلقى الطلاب الذين يرومون الدخول في دار المعلمين العالية - بعد
حصولهم على شهادتي بكالوريا الدراسة الثانوية - تحضيراً خاصاً في الصفوف
النهائية من الاعداديات الكبرى ، ويقسمون الى قسمين : الاول العالي للفرع
الادبي ، والرياضيات الخاصة للعلمي . ويقتضى هذا التحضير - الشاق
جداً - سنتين في الاقل - وقد يبلغ الاربع في بعض الاحيان . واول
المزايا التي يجب أن تتوفر في الطالب للنجاح هي الصحة الممتازة والمقدرة
الفائقة على العمل وعلى تحمل التعب . ان الاجسام الضعيفة لا تستطيع
أبدأ احتمال الصفوف التحضيرية . وثانيها ، خلقية تقتضى ان يكون طالب
الدخول في العالية ممن يعرف كيف يمنع نفسه عن النزوات وارتباد
السينما والمسرح وعن كل ما يحق لابن العشرين التمتع به والبحث عنه ؛
يجب ان يكون امتحان التصفية شغله الشاغل . وثالثها ، ذهنية : ذاكرة
سريعة وأمينة ، عقلية تركيبية تستطيع أن تحيط ، بنظرة واحدة بقضية

(١) الشوبرع الذي تقع فيه المدرسة Rue d' Ulm

(٢) انما يقصر كاتب المقال كلمته على الفرع الادبي وحده . لانه الفرع الذي عرفه وتخرج فيه .

معقدة ، ولا تحتفظ من الامور الكثيرة الا بالدقائق ذات المعنى ؛ ولباقة
في الاحكام الادبية وقدرة على النقاش وشخصية في الاسلوب .

ان سبب صعوبة امتحان التصفية هو سعة منهجه والمستوى العالي
للمعارف اللازمة في كل المواد . فلكي يبلغ طالب الدخول في العالية -
ويعرف بلغة الطلاب ، الكانيو Kagneue - حظ القبول ، عليه أن
يرتفع خلال سنتين أو ثلاث الى مستوى الليسانس - أو اعلى منه في
مواد : الفلسفة ، الادب الفرنسي ، اللاتينية وآدابها ، لغة أجنبية حية
(الانكليزية أو الالمانية أو الاسبانية او العربية ، او الروسية) . الاغريقية
وآدابها (ويمكن أن تستبدل بها لغة أجنبية حية) ، أو تاريخ الدول
العظمى منذ القرن الثامن عشر حتى اليوم أو تاريخ الاغريق أو تاريخ
الرومان) .

ولكي نكون لانفسنا فكرة واضحة عن الجهود المطلوبة من « الكانيو »
وجب أن نتبعه خطوة خطوة خلال الاسبوع الاخير من مايس أو الأول
من حزيران ، حيث يؤدي امتحان التصفية التحريرية . ويخصص اليوم
الأول - بصورة تقليدية - للتاريخ . ان المنهج من السعة بحيث يكرس
صاحبنا الشاب ليالي عدة على اعادات محدومة . وبالرغم من هذه وبسبب
هذا ، يخيل اليه - وهو بجوس خلال قاعة الامتحان - أن رأسه فارغ
ثم لا يلبث أن تأخذه سورة من التصورات والتنبؤات حول الاسئلة فيرجم
بالغيب ويضرب أحماسا بأسداس . وها هو ذا أحد أعضاء الامتحان
يحمل ظرف الاسئلة ويقول « أيها السادة ، انها الساعة الثامنة » أمامكم
ست ساعات لتعالجوا الموضوع التالي : وينطق بكامة واحدة هي
(بسمارك) .

ومن الاسئلة التي أقيمت في السنوات الاخيرة : « الاحزاب السياسية
في انكلترا » ، « استخلص الميزات العامة لثورات عام ١٨٤٨ في أوروبا » ،
« فكرة الحياد في السياسة العالمية بين حرب عام ١٩١٤ وحرب ١٩٣٩ » .
وتتألف لجنة التصحيح لكل مادة من أستاذين — من أسانذة
السوربون — يصححان الدفاتر منفصلين . ولا تكفي هذه اللجنة بصحة
المعلومات وغزارتها وانما تتطلب وضوح خطة الجواب وجودة التعبير .

في اليوم التالي يعطى طالبنا — لحسن حظه — أربع ساعات فقط يترجم
خلالها الى اللغة الفرنسية صفحة أستلت من مؤلف لاتيني (روماني) ،
ويخصص اليوم الثالث لراحه ضرورية لليوم التالي حيث يختصم ومسألة
فلسفية عسرة مثل : « يكون الله عقبة في سبيل حرية الانسان ؟ » ، « هل
التمييز بين العرض والجوهر أمر ميتافيزيقي ؟ » ، « مفهوم النظام » ،
« هل أنا كائنة في الذات » ، « هل في التاريخ قوانين ؟ » . وليس
لطالب الدخول في العالية مجال الاختيار بين الاسئلة : سؤال واحد في
كل سنة .

وبعد الفلسفة ، الترجمة الى اللاتينية بحيث يترجم الطالب خلال أربع
ساعات الى لغة شبشرون ، صفحة من فاليري أو قصيدة من لافوتين ،
وليس ذلك بالسهل الميسور . ومن حق صاحبنا الكانيو أن يرتاح في
اليوم التالي الذي يمنحه عطلة قبل الامتحانين الاخيرين ، ونرجو أن يكون
مستعدا للغة الفرنسية التي تنتظره : انه الامتحان الاصعب ، الامتحان
الذي يخيب فيه خيرة الطلاب . تقدم للتلميذ فيه — عادة — صفحة من
النقد الادبي ، تتضمن حكماً على أديب أو مدرسة أدبية أو نوع أدبي
أو موازنة بين كاتبين أو عصرين أو مفهومين مختلفين لنوع أدبي واحد .
و... ، يبين الطالب الافكار الاساسية للنص ، يجمع الحجج التي تصطرع

من أجل تأييد هذه الافكار أو تفنيدها ثم يعرض - بكل حرية موقفه الشخصي عن المسألة . وقد يطرح السؤال بشكل موجز جداً مثل : « پاسكال ومونتيني » أو « نفس خلافة ونفس نقادة » أو « الادب الذي يتخذ موضوعه مناظر الطبيعة خارج فرنسا Exotique قبل شانوبريان (١) » أو « أستتيك القصة القصيرة Nouvelle » .

لقد قارب طالبنا ، الآن ، نهاية امتحاناته ، ولم تبق عليه الا أربع ساعات يترجم فيها نصا عن الاغريقية . أما اذا كان متخصصاً بلغة أجنبية حية ، فعليه أن يجيب عن سؤال ذي ست ساعات في موضوع أدب تلك اللغة التي يختارها .

ينتظر - بعد ذلك نتائج التحريري ، ولا تعلن قبل مرور شهر . يلقى خلاله أعضاء الهيئة الممتحنة دورهم من التعب : على كل منهم أن يصحح أربعمائة دفتر - نصف ساعة في الاقل لكل منها ، وعليك الحساب . أما الطالب فيراجع مسوداته ويستشير أساتذته وينتهي بالافتتاح بنصيبة من ظهور اسمه في قائمة المقبولين للامتحانات الشفوية ، ربما كان هذا غرورا ! الخير ترك التفكير في هذا والاصراف للتحضير المنهجي . سيكون الصراع اشد مما كان عليه في التحريري لانه سيكون مقصورا على الستين الأول ، ولا يقبل من هؤلاء الا ثلاثون طالباً . وما يزيد في قلق الستين وتوتر أعصابهم خلال الامتحانات الشفهية ، جهلهم المطاق لمكانتهم من ترتيب نتائج الامتحان التحريري *٢* ، أضف الى ذلك الحر (نحن في النصف

(١) وشانوبريان أول من عرف بهذا النوع من الادب .

٢ حين تعلن اسماء التسمين . لا تعلن معها الدرجات ولا يدري الواحد منهم تسلسله العلمي لئلا يفتر عزم المتأخرين في ذيل القائمة عن مواصلة العمل والامل . وقد حدث أن يد أمثال هؤلاء كثيراً من المتفوقين في الامتحان التحريري .

الثاني من تموز) وكون الامتحانات علنية ^١ وفي بناية المدرسة التي
يعتني الطالب أن يكون مقبولا فيها .

على كل طالب أن يجيب عن ثلاثة أسئلة - لكل سؤال نصف ساعة .
حول ثلاثة موضوعات يقع عليها عن طريق القرعة ، وبعد أن يعطى
عشرين دقيقة يتهيأ بها - في غرفة خاصة ومن غير كتب وتسجيل ملاحظات -
وما يكاد ينتهي من اجابته الشفهية حتى تحدث المناقشة بينه وبين اعضاء
اللجنة الممتحنة مدة عشرين دقيقة . هذا في التاريخ ، أما في اللغة
اللاتينية والاعربية والفرنسية والانكليزية فيأزم الطالب بأن يفسر نصوصا .
منها ما كان محضرا - بأن تفرد له غرفة خاصة - ومنها ما كان ارتجاليا .
ويستغرق كل امتحان حوالي (٤٥) دقيقة .

كل شيء الى نهاية ، حتى الكابوس المرعب ، يجتمع كل أعضاء الهيئة
الممتحنة للمداولة ، بينما يتدافع الطلاب لدى قضبان سياج المدرسة
منتظرين اعلان قائمة المقبولين من وراء زجاج غرفة البواب . وتقتضى
التقاليد أن يهتبل الطلاب القداماء هذه الفرصة « للانتقام » فيصعد عدد
منهم - ابناء الفروع العلمية عادة - ويدهم انايت الاطفاء بوجوههم
مزنها على (المساكين) المتعطين فيغرقون الجادة أمامهم ويعوقونهم عن
الاقتراب من غرفة البواب ، ولا يستطيع ان يفوز بمعرفة النتيجة الا
الجسور الذي يصمد لهذا (الدوش) القهرى .

أما المرفوضون ؟ فهم بين اثنين : اما معاودة المحاولة في السنة التالية ^٢ .
واما ان يقبلوا المساعدة المالية التي تمنحهم اياها الحكومة لتمكينهم من

١ . أبواب قاعات الامتحان مفتوحة لكل من يريد الحضور من الناس .

٢ . ليس للطالب الحق في أن يعاود المحاولة اكثر من ثلاث مرات .

متابعة دراساتهم العالية «١». اما السعداء الذين استطاعوا أن يجتازوا
الباب الضيق فليست بهم حاجة لان نعلمهم كيف يستغلون الاشهر الثلاثة
التي تفصل بينهم وبين بداية الدراسة ، انها ستكون أسعد عطل حياتهم ،
وسيبدأون بعدها حياة جديدة كل الجودة .

المعلم الجديد - شباط ١٩٥٦

«١» وهذه المساعدة راتب شهري يتقاضاه التلميذ طوال حياته الدراسية على أن يقرر
بين المنفوقين .

لدار المعلمين العالية ببباريس (١)

يبدأ شارع ديلم من الپاتيون - حيث يرقد فولتير وهيگو وزولا وعظماء آخرون . واضفى عليه هذا الجوار الجد والوقار والهدوء ، انه واحة صمت في باريس سخابة . وانه واحة عمل أيضاً ، بما دعنا نجد فيه غير دار المعلمين العالية ، معهد الراديوم ، والمتحف التربوي ومدرسة الفنون التزيينية ، ولا نجد فيه باعة ولا مقهى ، ولا يمر فيه الاوتوبيس ، وان اقرب محطة للمقطار الارضي تبعد عشر دقائق عن الدار ، وليس من السهل فتح محطة جديدة ، واذن فسيظل الدرمةيون يهبطون الى المحطة مشياً على الاقدام ، مارين بشارع استراباد وشارع مقنار وشارع اربالت حيث تقوم بيوت لم تكذ تغير منذ القرون المتوسطة ، يوم كان يمر بها الشاعر فيون واصحابه - من رفاق السوء .

ينهض مربع بنايات الدار القديمة وسط حديقة تضم « فناء » صامتاً يبعث على التأملات ، بنافورته وسمكه الاحمر الذي يسميه الطلاب « الارنست » نسبة الى المؤرخ « أرنست لافيس » الذي كان احد مدراء الدار . تشتمل هذه البنايات القديمة على غرف الادارة والمكتبة الضخمة بقاعاتها الثلاثين التي تحتوى حوالي مليون مجلد خاصة بطلاب الدار وخريجها (١) ، وقاعات الطعام وقاعات اللعب والرقص والسينما

(١) مترجمة عن مقالة كتبها المسيو باروس .

(٢) وللطلاب الحق في الافادة من مكتبة السوربون .

والجمناستيك والموسيقى والاسطوانات والجراند والتلفزيون .

وكان الدرمةيون الى عهد قريب يسكنون في حجر « وصناديق » رديئة .
وقد نقصت هذه وشيدت عليها - بعد تضيق الحديقة - منذ عشر سنين .
مبان على احدث طراز بمجهزة بأخر وسائل الراحة ، يمتلك كل طالب
فيها غرفة واسعة مقسمة الى قسمين : المكتب والنام ، كما نقصت مبان
عتيقة وشيدت على ارضها مختبرات فخمة تعتبر من أحسن مختبرات اوربا
في الوقت الحاضر . وقد بعد العهد الذي كان يشتغل فيه « پاسستير »
العظيم في مختبرات رديئة وقاصرة (أصبحت اليوم جزءاً من « صحة » المدرسة) .
كان الطلاب حتى عام ١٩٤٧ داخلين : تجهزهم الدولة في اثناء
السنة الدراسية بالسكنى والطعام وتعطيهم شهرياً ما يساوي أربعة دنانير .
وقد أثبتت الايام فساد هذا النظام الذي كان يحمل الطلاب على اضاءة
قسط من وقتهم وفي اعطاء الدروس الخصوصية عبثاً خلال العطلة الصيفية .
الطويلة . ولكي تحول المدرسة دون ذلك ولتجذب الشباب نحو مهنة
التعليم - ذات الارباح القليلة بالنسبة الى المهن الفنية - ولتهيء للمتزوجين -
المتزايدين - من الطلبة حياة محتشمة . اعتبرت الطالب منذ دخوله الدار
موظفاً يتقاضى مرتباً شهرياً قدره (٤٢) ديناراً ، فان كان متزوجاً تسلمها
كامله (وزيادة) وان كان أعزباً وداخلياً استقطعت منها المدرسة حوالي
الـ (١٢) ديناراً ثمناً للغذاء وشؤون التنظيف . وقد جعلت هذه التغييرات
الحسنة الطالب المتخرج يبدأ مهنة وخلفه خدمة أربع سنوات ، وفي ذلك
ربح مالي . ويرسل الطلاب الذين يدرسون اللغات الحية الى البلاد التي
يدرسون لغاتها فيقيمون فيها ثلاث سنين « قراءا » في الكليات ، وتتكلف
الدار نفقاتهم اذا لم تلزم الاتفاقات الثقافية تلك البلدان بمثل هذه النفقات .
وعلى كل حال ، فان النواحي المادية مؤمنة في صالح الطالب ليستطع أن

ينصرف لدرسه من دون تفكير بقوة اليومي . ويتعهد - هو لقاء ذلك بالخدمة في التعليم الثانوي مدة لا تقل عن ثلاث سنوات يستطيع بعدها أن ينتقل - كما رأينا - الى أي فرع يشاء من فروع الحياة ، الدبلوماسية أو السياسية او الادبية ، أو أن يبقى في التعليم حتى سن التقاعد ويجمع بينه وبين فعالية أخرى كالصحافة أو الكتابة .

تستلزم الليسانس عدداً معيناً من الوحدات Certificats الدراسية العالية : أربعة أو خمسا حسب الموضوع . فليسانس التعليم (اي التي تمنح صاحبها الحق في أن يعلم) تمنح في الفلسفة والتاريخ والجغرافية واللغات ، واللغات والآداب الكلاسيكية واللغات والآداب الاجنبية ... للطلبة الذين يحملون وحدات خاصة في هذه الفروع . (أما الليسانس الحرة - ولا تعطي لصاحبها الحق في التعليم - فتمنح للطلاب الذي يحمل أربع وحدات مهما كان نوعها) .

ان الوحدات اللازمة لليسانس الفلسفة مثلا هي : (١) الفلسفة العامة (٢) علم النفس (٣) المنطق (٤) الاخلاق وعلم الاجتماع (٥) وحدة من كلية العلوم أو كلية الطب : P. C. B (فيزياء - كيمياء - بيولوجي) أو الرياضيات العالية أو الوراثة أو الاجناس . وكل وحدة تتألف من عدة دروس يلقيها عدة أساتذة وتستدعي امتحانات تحريرية وشفهية . ففي وحدة الادب الفرنسي مثلا يتكون التحريري من بحث (بأربع ساعات) عن أحد الادباء الذين عينهم المنهج ، وهذا المنهج ينص كل عام على حوالي (١٢) أدبياً وكتاباً نموذجيين لمختلف الفترات بين الوسيطة والقرن العشرين . ولا بد للطلاب من أن يحصل - في الاقل على (١٠)

درجات من (٢٠) كمي يكون أهلاً للشفهي . ويتألف شفهي هذه الوحدة من ثلاثة أسئلة (١) سؤال في التاريخ الأدبي حول موضوع محدود يستدعي معلومات دقيقة (٢) الشرح المحضر لنص من الفرنسية القديمة . ترجمة الى الفرنسية الحديثة ، توضح المفردات والتراكيب ، التقويم الأدبي . (٣) شرح محضر لنص من الفرنسية الحديثة لأحد الأدباء الذين أقرهم المنهج . ومن يرسم في الشفهي (في حزيران) يستطيع أن يعيده (وحده) في تشرين الأول (بعد العطلة) أو حزيران السنة الثانية - عند الحاجة .

يدخل الطالب الدار وهو يحمل وحدتين Certificats في الأقل ، حصل عليهما - من السوربون على سبيل الاحتياط - خلال المدة التي كان يتهيأ بها لامتحان الدخول ، وعلى هذا فإن الدار تعطيهم المدة اللازمة (سنتين) يكملون فيها الليسانس . ولا شك في أن التحضير لهذه الوحدات لا يقتضي الشاب الدرعمي كثيراً من الجهود ، فقد مضت عليه مدة وهو في مستوى الليسانس ، وانه قد أصبح بمسيرة التخصص (في الآداب أو اللغات أو الفلسفة أو الرياضيات أو الكيمياء أو الفيزياء ، أو التاريخ الطبيعي أو الجيولوجيا) حسب ذوقه واستعداده من دون قيد أو شرط - بينما كان عليه قبل ذلك - وهو يتحضر للدخول في الدار - أن يكون - رضي أم أبي - مؤرخاً وفيلسوفاً وانغويماً ... الخ . لقد ضمن الطالب النجاح في وحدات الليسانس سلفاً ، ولا تقتضيه هذه الامتحانات المتبقية الا عملاً قليلاً ، اذن كيف يصرف وقته ؟ ان الإدارة تثق به وانه يستطيع أن يفعل ما يحب وبشهي دون رقيب أو حسيب . هو في الدار وكأنه في فندق بنام ويستيفظ ، يدخل ويخرج كيفما يشأ وأنى يشأ وقد سمح له بكل المتع .

ان التغيير فجائي جداً - بعد الذي كان عليه هذا الطالب من شظف العيش وهو يستعد لامتحان الدخول ، انه ليصاب الدوار بسبب هذه الحرية المطلقة . ولهذا فان أول ما يفعله هو أن يغلق الكتاب ويلقي بنفسه بنهم على ما حرمه طويلاً : المسرح ، الرياضة ، الرقص ، الموسيقى انه يكتشف الحياة . ولكن هذه الفترة من الحياة الخارجية والاجتماعية لاتدوم الا قليلا ، ان الدرغمي لا يلبث حتى يضع لنفسه قواعد يسير بمقتضاها ، فقد أحس بالضرورة تدعوه لان يصوغ شخصيته كما يريد لها هو أن تكون - وليس كما يريد الآخرون ، انه في فترة المشاريع الضخمة الجريئة : هذا يصمم أطروحة ستغير كل ما كتب قبله عن مولير ، وهذا يتأهب لكوميدية فلسفية وهذا يناقش رفاقه من أجل وضع فلسفة جديدة . انها سن المطامح وسن العمل أيضاً ، واني لا عرف رفيقاً من طلاب الفرع العلمي ، قام - منذ سنته الاولى - باكتشافين مهمين : واحد يتعلق بالتلفزيون وآخر باللحام الكهربائي مما لفت اليه أنظار كل العلماء الفرنسيين ودر عليه ربحاً مادياً بلغ حوالي ثلاثة آلاف دينار .

يفتح الطالب بكل هذه المشاريع مدير الدار الذي يرشد الطلاب ويهيئ لهم الاتصال بكبار الشخصيات الادبية والعلمية والفنية ممن يستطيعون مساعدته بما لديهم من خبرات ونصائح ونقد . ويقول له المدير : أنتحب المسرح ؟ اذهب اذن - من قبلي - الى المسيو « س ... » أحد الخريجين القدماء ، انه سيدخلك المسرح حيث يستعدون لتمثيل مسرحيته المقبلة وبذلك تستطيع أن تلم عن كسب بأسرار الفن التمثيلي ، ان المسيو « س ... » يسره أن يشجعك اذا أحس بأن لديك الكفاية اللازمة لمؤلف مسرحي . وأنت ، أتشرع في كتابة أطروحة في الآداب ؟ ان هذا عمل طويل وشاق يحتاج الى علم بالطريقة ، انه من المناسب أن تتصل

بالمسيو « ي ... » ولا بد من انك قرأت أطروحته عن فكتور هيگو ، انه
يعد الان كتابا عن شاتوبريان ، انه يبحث عن شخص يساعده على التنقيب
في مكاتب باريس للكشف عن رسائل شاتوبريان غير المطبوعة . وهكذا
يصبح طالبنا هذا - وهو من أبناء السنة الاولى أو الثانية ، مساهما للمسيو
ي ... ان هذا التدريب الذي يقوم به الدرمةيون خلال سنتهم الاولين
من المدرسة لا يؤيد بأية شهادة مدرسية ولكنه ليس بأقل فائدة في
حياته المقبلة .

ان الليسانس هذه لا تؤهل وحدها للتعليم الثانوي ، فلا بد للطالب
من مرحلة شاقة تقتضيه الحصول على دبلوم الدراسات العالية والنجاح في
امتحان التبريز (الاگرگاسيون Agregation) .

المعلم الجديد - نيسان ١٩٥٦

مرحلة الدبلوم والتبريز

من
دار المعلمين العالية بباريس « ١ »

بعد أن يحصل الطالب على الليسانس يحل دور الدبلوم فيشغله سنة كاملة يكتب خلالها في موضوع يختاره هو ويوافق عليه استاذ من السوربون - دراسة بحوالي مائتي صفحة يطبع منها بالآلة الكاتبة ثلاث نسخ . وليس لتنوع موضوعات الدبلوم حدود ، ولكي نكون عنها فكرة ما ، نذكر أمثلة مألوفة في ميدان الادب الفرنسي فمرة يختار الطالب موضوعا محوريا من مؤلفات كاتب كبير (امتداد الوقت في آثار مارسل پروست - مؤلف (١٥) مجلدا بعنوان « بحثا عن الوقت الضائع ») أو أن يدرس موضوعا ثانويا جدا مثل موضوع الحلم في مآسى كورني ؛ ومرة يقوم البحث على اختلاف النسخ أو الاطوار المتتابعة التي مر بها مؤلف واحد ، ومن الممكن كذلك أن نخرج من عالم النسيان - بمناسبة الدبلوم - كتابا لمؤلف ثانوي - له أثره التأخي . وليس ممنوعاً ولا محرماً على الطالب أن يكرس جهده النقدي على كاتب لازال في قيد الحياة ، لان المهم أن تكون الرسالة محكمة التأليف واسعة المعلومات كثيرة المراجع وسلسلة القراءة برغم ما تقتضيه من تقعر . وكثيراً ما يكون هذا « الدبلوم » عدة

(١) مترجمة عن مقالة كتبها بالفرنسية المسيو باروس

الاطروحة في الدكتواه .

ان الاستاذ المشرف يقدم للطالب اعتراضاته ونقدهاته ، وعلى الطالب أن يجهد للدفاع عن آرائه . وعليه أن ينجح في امتحانات شفوية يقوم بها غير أستاذه المشرف من أساتذة الكلية فيطلب اليه شرح نصوص فرنسية تؤخذ من قائمة اختارها هو نفسه منذ بداية العام ، كما تطلب اليه الاجابة عن مواد لا صلة لها بالته برسالة الدبلوم ، فيسأل الطالب الذي ألف في الادب الفرنسي مثلا عن أمور من النحو اللاتيني والاعريقي ، ويسأل طالب الفلسفة الذي كتب في « فكرة النهائية في علم الاحياء المعاصر » عن كانت وافلاطون مما يجب أن يقرأه في النصوص الاصلية نفسها من دون استعانة بالترجمة .

وبعد عام الدبلوم يحل عام التبريز (اكرغاسيون) آخر مرحلة يجب قطعها قبل الانخراط في سلك التعليم . والتبريز امتحان رسمي غايته اختيار مدرسي التعليم الثانوي ، ويشترط في المتقدم للاشتراك فيه أن يكون حاصلا على الليسانس والدبلوم . ولكل فرع امتحان خاص به : الانكليزية ، الالمانية ، العربية ، الاسبانية ، الروسية ، (الاداب) الكلاسيكية (الافرنسية ، اللاتينية ، الاغريقية) ، النحو ، الفلسفة ، التاريخ ، الجغرافية ، العلوم الطبيعية ، الفيزياء الكيمياء ، الرياضيات (1) .

تتألف اللجنة الممتحنة من المفتش العام للتعليم رئيساً ونائباً عن الوزير ومن عدد من أساتذة كليات باريس والالوية الاخرى ومن استاذ من التعليم الثانوي - هو استاذ الصف الاول العالي ، اذا كان الامتحان في الاداب أو النحو .

« ١ » امتحان اللغات الحية هو الوحيد الذي يشترك فيه الجنسان غنظطين ، وفيما عداه ، يتألف كل اكرغاسيون من امتحانين منفصلين : واحد للبنين وآخر للبنات - والمنهج واحد .

ولكي نعطي أمثلة دقيقة سنحنى باكر كاسيون الأداب . ومنهجه في
الأدباء الذين تجب رداستهم ضيق وواسع في آن واحد ، وتمثل فيه -
فيما يخص الأدب الفرنسي كل الأنواع الأساسية . والمنهج يتغير - بالطبع -
كل عام ، وهاك قائمة انموزجية توضح الفكرة : المؤلفين الفرنسيين (أ)
للعصور المتوسطة : ملحمة رولان ، (ب) وللقرن السادس عشر « مقالات »^{١٠}
موتيني (ج) للقرن السابع عشر : مؤلفات مولير قبل ال
Precieuses Ridicules^{٢٠} أي مؤلفات شبابه قبل هذه المسرحية
(د) وللقرن الثامن عشر : القصة : دراسة تفصيلية لقصص ماريغو
وديدرو والاب پريغو مع دراسة عامة لتاريخ القصة في هذا القرن (هـ)
وللقرن التاسع عشر : دواوين فرلين . ومن المؤلفين اللاتينيين : (أ)
شيشرون (الجمهورية) ، تاسيت (التواريخ) ، جيفنال (الهاجي) ،
القديس أوغسطين (الاعترافات) . ومن المؤلفين الاغريقين : هزبود
(الاعمال والايام) ، سوفوكل (خمس مآسي كبيرة) ، افلاطون
(الجمهورية) . والمنهج - كما ترى - ضخم وما تكاد تطبع قائمته أوائل
آب من كل سنة حتى يبادر الطالب الحذر الحكيم لاقتناء كل المؤلفات
التي ينص عليها ، ويكرس قسطا كبيرا من عطلته على قراءة اولي
ولا سميا الجديد منها عليه . كما يستغل عطلته لمراجعة في النحو
الاغريقي واللاتيني . ومنذ أول تشرين الأول - تاريخ افتتاح المدرسة - يعمل
بجد واجتهاد .

ان الاكر كاسيون امتحان صعب . لماذا ؟ أولا ، بسبب قلة عدد

١٠ مقالات ترجمة Essais ومنهم يترجمها « محاولات » .

٢٠ نقلت الى العربية بعنوان المتحذقات ، وهي أول مسرحية في التسلسل الرمزي

مؤلفات مولير .

الامكنة ، (٢٥ - ٣٠) لا كركاسيون الآداب ، وبين ال - ٤٠٠ - ٥٠٠ طالب القادمين من كل جهات فرنسا - وبينهم اساتذة شيوخ لان العمر غير محدد - أقل من المائة يجدون نصيبا جادا في التبريز ، ان الذي يؤدي الدرمةين - مع هذا - هو العودة الى التمارين المدرسية التي تركوها تركا يكاد يكون تاما منذ دخولهم الدار . كما أنهم تعلموا خلال اقامتهم في الدار عادات جديدة للتفكير وقد بدأوا البحث الشخصي وغير النفعي . أن الامتحانات التي أدها في اللسانس والدبلوم هيأت لهم وقتاً للتثقف الذاتي حسب اهوائهم من دون تفكير بالنفعية ، واذا بهم تحتم عليهم العودة الى الورا ليجدوا العقلية التي كانت لهم يوم كانوا يستعدون لامتحان الدخول في الدار ، ويتحتم عليهم الرضا بأن يجعلوا من أنفسهم عبيدا للمنهج ، ويتحتم أن يقلعوا عن مواصلة بحوثهم الشخصية التي ما زالت مجزأة ، ويتحتم أن يعاودوا تحضير البحوث ذات الاثنتي عشرة صفحة التي تضايق تفكير الدرمة الناضج أكثر مما تضايق التفكير الوليد الذي كان عليه وهو كانيو Kagneux طالباً للدخول . وبفضل كثير من الطلاب أن يكون امتحان الاكركاسيون في نهاية السنة الاولى أو الثانية من الدار - وليس هذا بالرأى الخالي من الصواب لان امتحانات الاكركاسيون هي اعادة امتحانات الدخول للدار مع هذا الفارق الذي يشترط في حامل الاكركاسيون وهو التبحر الاكثر دقة .

امتحانات الاكركاسيون التحريرية خمسة هي : في الادب الفرنسي بسبع ساعات ، امتحانات في اللاتينية بربع ساعات لكل (ترجمة صفحة من اللاتينية الى الفرنسية ، و صفحة من الفرنسية الى اللاتينية) ، امتحانات مشابهة في الاغريقية . ويختار من الناجحين في هذه الامتحانات ستون طالباً فقط يستطيعون وحدهم التقدم للامتحان الشفهي .

يتألف الشفهي من سبعة امتحانات يجري كل واحد منها أمام لجنة .
وأهم ما فيها - دون شك - « الدرس » ويختار موضوعه بالقرعة في الساعة الثامنة-
صباحاً ، وبعد ست ساعات من التحضير يقرأ الطالب تقريره في « ٤٥ »
دقيقة « لا دقيقة أقل ولا دقيقة أكثر » بشرط أن يقنع اللجنة بسعة
معارفه ويسمح لها بالحكم فيما اذا كان متوفراً هو على الفن-الضروري لكل مدرس-
والذي يستطيع به أن يجعل الغامض واضحاً والميت حياً او لا ؟ ان الدار
تهيبه كتبها يحضر للطالب كل الكتب التي يطلبها وهو يعد درسه هذا ،
وفي ذلك خدمة لاولئك الذين سبق أن عرفوا هذه المؤلفات وألفوها
ولكنها خدمة ضارة لاولئك الذين لا يعرفون الا أسماء هذه الكتب التي
لا يعرفون مراجعتها : انهم عرضة للفرق .

وتتألف الامتحانات الشفهية للاكركاسيون - فيما عدا الدرس ، من
سلسلة من شروح النصوص ، ومن هذه الشروح ما كان محضراً خلال
ساعتين تتخذان ذريعة للمطالبة بالتبحر في الشرح ، ومنها ارتجالية تستل
من مؤلفين لم ينص عليهم المنهج وغايتها معرفة قدرة الطالب على أن يوضح
بسرعة أي نص فرنسي أو لاتيني أو اغريقي - مهما يكن .

يعد الدرمةيون الذين يجب عليهم التقدم للاكركاسيون في نهاية العام ،
اعدداً خاصاً وشديداً ، كما انهم لا يتوانون من الافادة من دروس
الاكركاسيون في السوربون^١ . ومن تحصيل الحاصل أن نذكر بأنه اذا
كان استاذ الادب الاغريقي - مثلاً - عضواً في اللجنة الممتحنة فان الطلاب
يواظبون على متابعة درسه ويقدمون كل ما يطلب من واجبات ، ولكن حصص
كل نوع من فروع الاكركاسيون في السوربون تبلغ حوالي ثلاثين ساعة في
الاسبوع ومتابعة هذه الساعات كلها يضيع كثيراً من الوقت ؛ لهذا يعمل
الدرمةيون - منذ بداية السنة المدرسية - على توزيع الجهد فيما بينهم

١- تم حملة ليسانس التعليم من غير طلبة دار المعلمين العالية .

بتعيينهم واحداً منهم لكل درس من دروس السوربون ذات الفائدة -
يكون مثلهم الرسمي فيه فيكونون بذلك جميعهم على علم بكل
ما يجري في السوربون - من غير تبذير في الوقت . انهم يتلقون التعليم
الاكثر جدوى في الدار نفسها . فمن يعطيهم اباهما ؟ عدة من اساتذة
السوربون يأتون المدرسة قصداً من أجل الاكركاسيون الدرعمي . وتعليم
هؤلاء الاساتذة في الدار - وليس في صفوفها الا (١٢) أو (١٣) طالباً -
أكثر نفعاً منه في مدرجات السوربون المزدهمة . كما أن الدرعميين يتلقون
دروساً معينة يقوم بها مدير الدار ومعاونيه وسكرتير المدرسة العام - وكلهم
كانوا اساتذة كليات . وفي الدار نظام خاص بها ذو نفع جم ، هو نظام
الاكركاسيونيين - المعبدن ، وهم الاوائل أو الثانون من متخرجي الدار
يفضلون - بدلا من التعليم الثانوي - أن يمضوا في الدار نفسها سنتين أو
ثلاثا أخرى يعملون في اعداد أبناء الدورات التالية لامتحانات الاكركاسيون ،
ويواصلون - في الوقت نفسه - بحوثهم الخاصة ، في المكتبة أو المختبر .

ان النجاح الدائم في امتحانات التبريز يرجع اذن في جزء منه الى نوعية
التعليم الذي يتلقاه الطلاب ، وفي جزء آخر الى التنظيم الصالح في العمل .
ان الطلاب - كي يتجنبوا ضياع الوقت - يقتسمون فيما بينهم قراءة بحوث
المتبحرين ثم توضع الجذاذات لمنفعة الجميع ، ومثل ذلك يفعلون في قراءة
آثار الادباء الاغريق واللاتين ، فانه اذا اشترك فيها اثنان تصبح أكثر
سرعة وأقل املا ، وتعود صعوباتها الشديدة أسهل حلا ، ولا تترك هذه
الوسيلة شيئاً للمصادفة ، ان هؤلاء الطلاب يأتون الامتحان وهم أحسن
استعدادا من أولئك الذين ظلوا يعملون منفردين .

عندما تظهر النتائج النهائية يستقبل رئيس اللجنة المبرزين الجدد حسب
قدمهم ويعلمهم بقائمة الوظائف الشاغرة ويطلب اليهم اختيار الانسب -

حتى اذا جاء دور الاخير لم يجد - عادة - الا شواغر قليلة ، لا تشوق ؛
انها الشواغر التي لم يطلبها أحد .

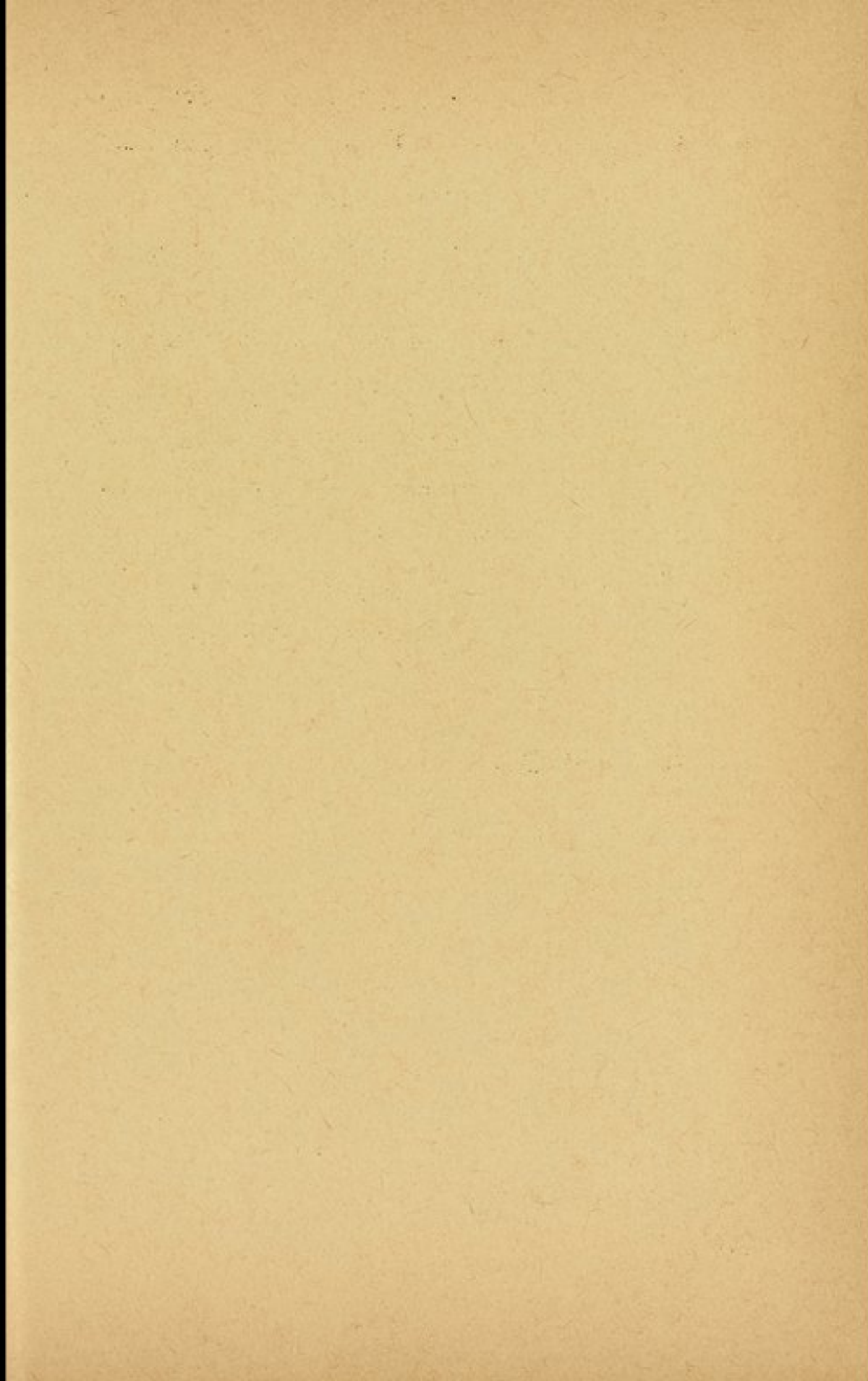
بين المتخرجين الجدد عدد لا يبدأ المهنة رأساً ، فمن هؤلاء من تجب
عليه الخدمة العسكرية ، ومن هؤلاء من يطلب أن يقبل في مؤسسة تيير
Thiers لمدة سنتين أو ثلاث يحضر فيها أطروحة للدكتوراه تفتح أمامه
باب التعليم العالي - حال انتهائها .

لقد فرقت الحياة هؤلاء الذين عاشوا عيشة واحدة ، في مختلف جهات
فرنسا والعالم ، ولكن الصداقات التي عقدت في الدار ، تقوى على امتحان
البعد وامتحان الزمن . عندما يحل المتخرج الجديد في مدن الالوية المجهولة ،
يجد دائماً متخرجاً أو عدة من المتخرجين حاضرين لمساعدته ، واذا لم يكن
بعيداً جداً عن العاصمة فانه لا يتأخر عن زيارتها لحضور حفلة الرقص
التي تقيمها الدار كل سنة ، انها فرصة مناسبة يجدد فيها المتخرجون
ذكرياتهم ويجددون صلواتهم بمن غابوا عنهم .

هل يتخرج الدرهمي مسلحاً للحياة معداً للمهنة ؟ لقد تعلم اشياء
كثيرة في الدار - وقد رأينا ذلك . ولكن هل يدرس فيها فن التعليم
كما اراد القرار الذي انشئت المدرسة بموجبه ؟ ليس من العدل أن
نجيب بالنفي . لان « المحاضرات التربوية » التي تنظمها الدار تنور مدرسي
المستقبل بأحدث البحوث العلمية في نفسية الاطفال والمراهقين . كما ان
الوقت الكافي لان يروا عن كتب اطفالاً ومراهقين خلال مشاهداتهم
وتطبيقاتهم التي يجرونها في المدارس التجريبية - مثل مدرسة سيفر . ولا بد
من القبول في امتحان الاكركاسيون من ان يكون الطالب قد امضى ثلاثة
أسابيع في المشاهدة وثلاثة اسابيع في التطبيق العملي [١٢ ساعة في
الاسبوع] ، ويقدم المدرس الاصيل تقريراً عن هذا المطبق .

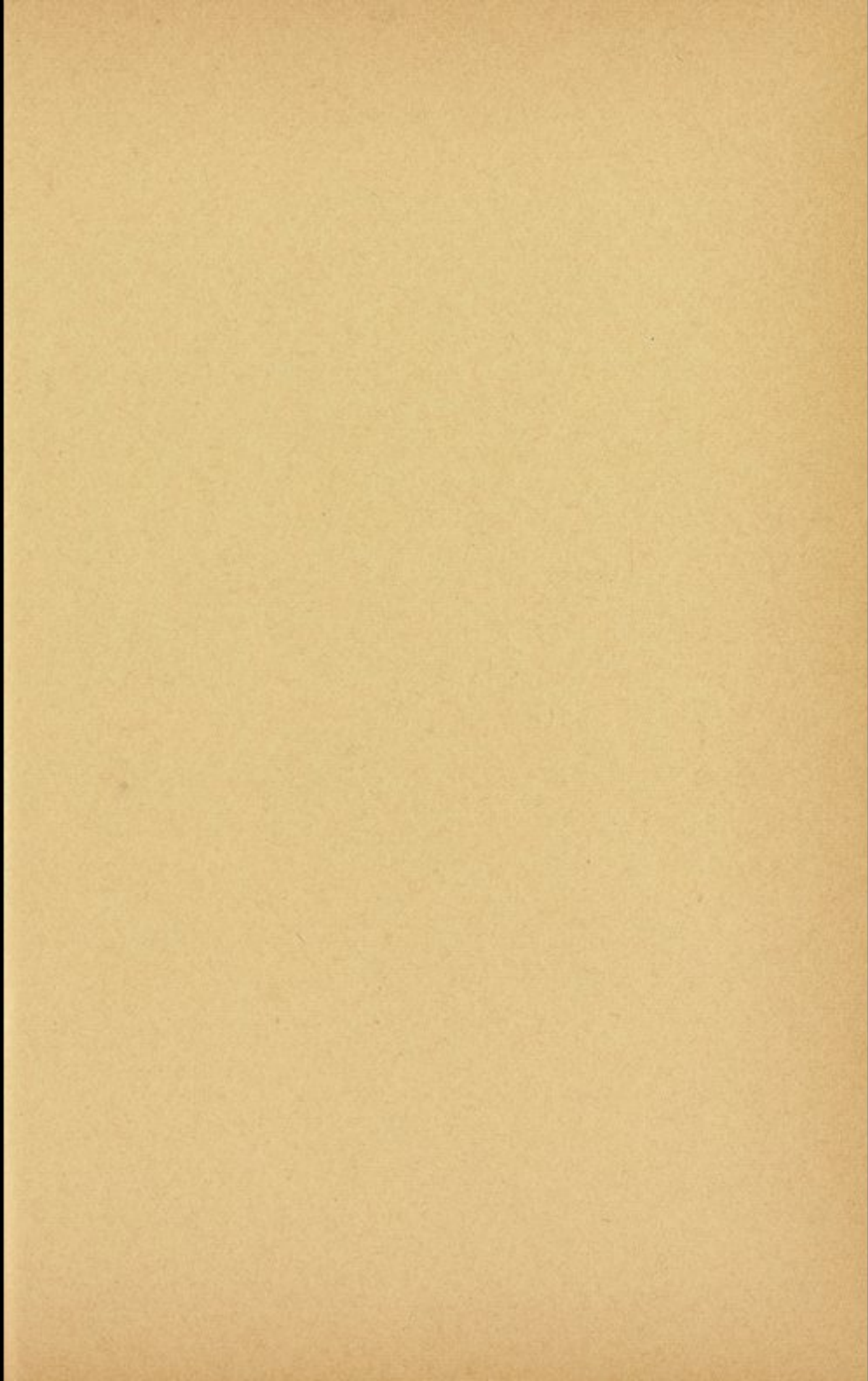
من المؤلف ان نسمع اليوم في عدد من الاوساط الجامعية بأن هذا
الاعداد التربوي للدرمعيين غير كاف ، ومنهم من يتمنى ان تلحق بالدار
مدرسة ثانوية تجريبية تكون بمثابة مخبر تربوي ؛ ويتمنى بأن يحصل كل
الدرمعيين على بعثات الى الخارج وان يطبقوا في المدارس الاجنبية النموذجية.
وتعود الدرمةيون ان يجيبوا عن ذلك : ان طلابنا في دور المراهقة ،
وهل تعتقدون بأننا نحن أنفسنا بعيدون جداً عن المراهقة عندما نتخرج
في الدار ونحن في الثالثة والعشرين أو الرابعة والعشرين من عمرنا ؟
أنستصغرون شأن الاتصال اليومي بأساتذتنا الاكثر تجربة ؟ واخيراً هل
تعتقدون بأن « فن التعليم » هو نفسه مادة للتعليم ؟ مهما كان اعطاء
مدرسي المستقبل الفكرة الدقيقة عن اختلافات التركيب للعقلية المتعاقبة
التي يمر بها الوجود الانساني في اثناء نموه ، فان البحوث التربوية لا تكفي
لتكوين المرء الصالح : المدرس يولد ولا يصنع .

المعلم الجديد - حزيران ١٩٥٦



(٦)

في التربية وتدریس العربية



أهل المواهب

ونقصد الى الموهبة في اوسع معانيها ، اي التفوق في ناحية من النواحي الفنية أو العلمية وما أشبه .

ولا نريد أن ندخل في بحث « الفروق الفردية » فنتطفل على علم النفس الحديث ، ثم الدخول في نقاش طويل عما فعلناه في هذا المضمار ونحن ندرس هذا الموضوع ، وندرسه منذ سنوات وسنوات ، وقد تهيات لنا من الفرص ما كان مناسباً لأن نخطو بالنظريات خطوة على شيء من العملية - ولعلنا فاعلون .

في كل مدرسة ابتدائية عراقية بوادر مواهب جليظة يمكن ان تعد لتبني لامتنا المستقبل والحياة والمجد ولتعلو درجة بالحضارة الانسانية : هذا طفل جميل الصوت ، وهذا يحسن القراءة ، وهذا يبرع في الاعمال اليدوية وهذا يبديع في حل مسائل الحساب وذاك في الصحة ، وذاك في الرياضة البدنية وتسير الايام ، وتنزل البكلوريا كالصاعقة على رؤوس الموهوبين ، وبردا وسلاماً على قلوب الاوساط ومن هم تحت الاوساط ، وينجح اهل الذكاء العام واهل الاجتهاد و « الدرخ » و « يأكلها » اهل المواهب الخاصة : يرهبون ، ويشهد في حسابهم المجتمع القاسي الذي يرى فيهم اغبياء بلداء ، والدليل الرسمي يسند رايه ، ويشتهط في حسابهم الآباء الذين يرون في رسوب ابنائهم خطأ لقدرهم وخزياً لعائلتهم : « تضيع وقتك الثمين في الرسم ! .. انا آكل رسم ! أشرب رسم ! انا والله لا أدري ماذا افعل

بولدي ، كلما نهيته عن لعب الكرة ، احتال وعاد اليه من جديد .

وماذا ينفعني اليوم قولهم : « اما ان ابنك بلاء ... شاطر ... رياضي من درجة اولى » ، ماذا ينفعني ذلك ؟ لا شيء . انا امرؤ أريد لابني النجاح واريد له المستقبل ، لان سمعتي قائمة على سمعته وحياتي متصلة بحياته . لعن الله المدرسة الحديثة ولعن ما جاءتنا به من بدع الرياضة ... هذه كرة قدم .. وتلك كرة رأس .. وهذا ركض سريع .. وذلك ركض بطيء .. ألهذا وجدت المدارس ؟ ! لقد كنا اعقل منهم ! .

ولا يقل اشتداد المعلم واشتطاطه عن فعلة المجتمع والاباء . انه يكد طول السنة يعلم الحساب ولم ينجح بنتيجة الحساب عدد يشرف . وكيف ينجح وقد شغل فلان بالتمثيل وفلان بالخطابة وفلان بالفقر العالي ! أنا أعلم ان هذه النواحي لا تقل قيمة عن أي منجى من جوانب الحياة الواسعة ، واعلم ، وقد درست طرفاً من ذلك في دار المعلمين ولكن ما قيمة هذا العلم ازاء « لفت النظر » . والله ان أدع « موهوباً » يفلت من يدي في السنة التالية ويسندني في ذلك المدير الذي تهمة سمعة مدرسته .

ويلح المعلمون ويلح الآباء ويلح التلاميذ وتكلم سنتم بالنجاح والتهاني والشكر ، ويدخل الطلبة المرحلة الثانوية وتدور (الاسطوانة) وتمر سنون و « تمشي » في البلد فتقرأ « الدكتور احمد ... » اختصاصي بجراحة الفم ، وصيدلية ابن سينا لصاحبها « يوسف » وتسمع ان « اكرم » هو رئيس البلدية وان فلانا هو ... وهكذا تقرأ وتسمع . فتعجب ولا تعجب ! ترى أين أصبح « حسن » الذي حاز أولية العراق بالقفز العالي ؟ وأين أضحي رؤوف الذي لم يكن ليضاهيه أحد في « الموسيقى » ؟ وأين بات « كاظم » الذي كان غريباً في تفهم النحو واستيعاب أسرارهِ ؟

وأين أمسى حبيب وأين ألواحه التي أجاد فيها وأحسن ؟ كيف صار
« عصام » الذي كان يبشر انشاؤه بجديد وبديع ؟ أين ؟ هذا كاتب في
مصاحبة نقل الركاب وذاك قاطع تذاكر في قطار البطحة وذلك بائع
راديوات ... ولا ادري أين ذهبت البقية ولا شك في أن منهم من استطاع
أن يتابع درسه في غير هواه ، كان ميالا الى الجغرافية ، دقيقاً في تخطيط
خرائطها ولكن حاجة دار المعلمين من الجغرافيين محدودة واذن فليدرس
اللغة العربية وليدرسها - فيما بعد - كأن اللغة العربية لا تشترط في
صاحبها الميل والرغبة والمقدرة ! ثم هناك بقية أخرى سممت « النقد »
والغمز فأثرت « وظيفة » يكبرها المجتمع ويقدرها ويرهبها ويشيب عليها .

اننا نشكو ضعفاً في كثير من جوانب حياتنا ، وستصل الشكوى
ويستمر الضعف لاننا لم نعد لمعالجة المرض اطباءه الماهرين وحكامه
الحاذقين . انك ، كي تقضي على الضعف باللغة العربية ، ملزم أن تهيب
لهذه المهمة الخطيرة أناساً يرغبون في ذلك ، ومن رغب ضحى ، وسهر
وأثمر . ولكي تقضي على الضعف بالرياضات ، ملزم أن تعد أولى الموهبة ،
وهكذا ... انك ان أوليت الامور غير ذويها كنت كمن يقصد الى
التأخر - وحاشاك ،

اذن أين يذهب أولو المواهب ؟ لم لا يستثمرون خير ما لديهم ؟
انهم يذهبون الى ما فيه الكسب والربح ومن حقهم أن يعيشوا بخير
وعافية ، ومن حقهم أن يبنوا ويتزوجوا ... أما الموهوب الذي يكتب عليه
استغلال ملكاته فلا ولن يكون أكبر من شاعر ! أو رسام ! ها ! يا لسفاهة
الرأي : ابني قصاص ! يابه نأكل قصص ، نشرب قصص . ابن فلان -
ذلك الطالب الذي كنا نضرب المثل بغبائه يتخرج ويتخصص ولم يبق له

وقت بتسع لقبض كل ما ينهال عليه من مال وجاء . وابتنا ! خلفتنا !
أديب ... موسيقي ... ممثل !

وكل تلك مفاهيم خطأ - والناس غير مسؤولين عنها . انهم يريدون
أن يعيشوا ليأكلوا - وذلك أول حقوقهم . انما يسأل أهل التوجيه وأولو
الامر .

وليس مستحيلا على بلد يجد في النهوض من أن يتلافى الموقف . أمن
المستحيل أن تصيد النابهين جدا منذ الدراسة الابتدائية : هذا في اللغة ،
وهذا في الرياضة ، وهذا في الصحة ، وهذا في الغناء - هذا وهذه طبعا .
تصيدهم ونعد لهم مدرسة مركزية خاصة بهم ، خاصة بكل فن من فنون
الحياة ، تلك مدرسة النابهين المجهزة بكل ما يلزم من اساتذة وأدوات
وطعام وملبس وتشجيع . يجد أهل الصنادة كل ما يريدون . ويجد أهل
الادب كل ما يحتاجون . ويجد كل كلا . ويتخرجون ويرسل منهم من
يرسل الى الخارج . ثم يعطون الاعمال التي تسق وقابلياتهم وتنسجم
ودراستهم .

وثمة شيء آخر لا يقل أهمية عن هذا ، ابدأ ، هو الجانب المادي ،
الجانب المعاشي - ان شئت . لا بد « للنابه » اذ تناط به مهمة من أن
ينال لقاء أتعابه ما يناله أي موظف آخر وأي تاجر وأي مراب . أحرام
على نحات أن يعيش ويبني ويتزوج ويلبس . أكتب عليه العوز يوم كتبت
له الموهبة . أكتب عليه الضيق يوم كتب عليه العمل في ميادين الفكر والعقل !!

جرائمنا في تدريس عربيتنا^{١٥}

لم ننجح في تدريس لغتنا . تلك بديهة لم يعد الاعتراف بها فضيلة .
العراق بلد عربي والعربية لغته الرسمية ، وهل من شك ؟! ولكن درس
اللغة من أثقل الدروس على الطلبة وان « الواحد » منهم ليفضل أن
يتعلم كل شيء الا علماً اسمه النحو - مثلاً - .

حصص العربية كثيرة ، ومدرسوها كثيرون ، ولكن ، ماجدوى ذلك
ونحن نجزم في حق لغتنا ، ماجدوى ذلك واننا لم نستطع أن نجيب هذه
اللغة الى أنفسهم ، ولم نستطع أن نطوعها الى حاجاتهم ونمكنهم من
استعمالها في التعبير عما يحسون .

لماذا ؟ ليس ذلك لان العربية صعبة جداً ... انما لاننا لا نعرفها
ولا نعرف كيف ندرسها ... لانعرف ولا نريد أن نعرف ... أقول هذا ،
وأنا أعلم الضجة التافهة التي ثارت منذ سنين حول التيسير والتعسير ...
الضجة التي لم تلبث أن أصبحت غاية وراح الفطاحل يمضون السنين
ويسودون الدفاتر ... في نقاش لا طائل تحته ، ولكنهم يتلذذون في هذا
النقاش فهو مسلاة ووسيلة لاثبات العبقرية ، وقد أنستهم هذه النقشة
الهدف الذي بدأوا من أجله طريقهم .

١٥ - كتبت هذه الكلمة منذ حوالي العامين ثم طويت ، وقد يمشا اليوم ما تبديه المعلم
الجديد ، من غناية بملاحظات المدرسين ونجارهم ، وما عمله وزارة المعارف بشأن اعادة النظر
في المناهج .

أخص التيسير في كلمة واحدة - لست مبتكرها - هي تدريس النحو
العملي الضروري الذي يحتاجه الطالب فيما يقول ويقرأ ويكتب :
المرفوعات المنصوبات ، المجرورات ... ما يقتضي الكلام اعرابه ... الافعال
الخمسة ، الاسماء الخمسة ، اسناد المقصور للضمائر ... العدد ... أما التوافه
من قبيل الضمة المقدرة على الالف المحذوفة ؛ ولتنصرتان ، جملة كأن
المخففة ، فكل ذلك تخريف لا محل له من الاعراب ، واذا وجد في
الكتب فقد وجد يوماً ما لضرورة اقتضتها حاجة الاعاجم ، واستدعاء
ما يستدعيه كل اغراق ... وانا لا أمنع هذا الترف على طلاب التخصص
ولكن ما جريمة هؤلاء الاطفال الذين ندعي السعي لاعدادهم للمواطنة
الصالحة ؟! ان « الفرد » منا ليمضي السنين والسنين في اعراب صيغة
التعجب حتى اذا جاء السبب وأراد أن يتعجب كان خطوه أفضح من الخطأ
الاول ، وما أبدع هذه ال « ما » التي هي نكرة تامة بمعنى شيء ، مبتدأ ،
حينية على السكون في محل رفع ... وأبدع بها ، هذه « الابدع » التي هي
فعل ماض جاء على صورة الامر مبني على فتح مقدر لمجيئه على هذه
الصورة .

لا ... لا ... لنكن أرفع من هذا ، كفى هزلاً وكفى سخفاً ، وكفى
حقارة ، ان الأمر أخطر مما تتصور ، أما بقية من غيره !! والحديث
يطول ، ويمكن أن نسير ونسير فنتناقص كل مادة وكل موضوع وكل شروط
وجوب تقديم المبتدأ الذي وهو المبتدأ .

يتخرج التلميذ في الصف السادس بل الرابع الابتدائي وهو عارف
بعمليات الحساب الأربع وعارف بتطبيقها على شؤون الحياة اليومية ،
فلم يتخرج الطالب من الصف السادس الابتدائي أو الخامس الثانوي أو
الرابع ليسانس وهو لا يعرف عمليات القواعد الأربع من رفع ونصب

وجر جزم ... ؟ لقد كان أهل الحساب أدق منا واحكم ، انهم يقفون
عند العمليات الأربعة طويلاً ، ويحلون المسألة من غير استطراد وشواذب
ومن غير مطالبة بتعريف الجمع أو التقسيم ... اما نحن « فندرخ »
التعاريف ونطالب التلميذ وهو في الابتدائية أن يعلم لو غارت مات اللغة
وجتاها وقتاها فنضيع الاصل ونهدم الأساس .

وشئنا أن نكون مربين وأردنا أن نفيد من علم النفس وأصول
التربية الحديثة في الانتباه الى الفروق الفردية وفي مراعاة الحاجات
فجعلنا صفوفنا علمية وأدبية - لا بأس ، وحسنا فعلنا ، ولكن ما جريمة
طالب الفرع العلمي حتى نحكم عليه بدراسة الجمل التي لها محل من الاعراب
والتي لا محل لها من الاعراب . وما نفعه من دراسة الاسماء التي لها
الصدارة في الكلام ثم قل لي : أي انشتاين على وجه الارض يستطيع
أن يعلم حكم « لكن » عند التخفيف ، ان النسبية أسهل من « تخفف
لكن ولا تهمل ، غير أن الاسم فيها يكون ضمير الشأن محذوفاً ، ويكون
خبرها جملة فاذا كانت الجملة اسمية لم تحتج الى فاصل نحو : فاطمة
ذكية لكن أخوها بليد . واذا كانت فعلية وجب الفصل « بقد ، أو لم »
نحو : فرح زيد حين رأني كأن قد عرفني ... « استغفر الله ، لو درس العلماء
هذه التوافه لما تغلب باستير على داء الكلب . ان كل ما نطلبه من هؤلاء
الذين نعدم لان يكونوا أطباء ومهندسين وكيميائيين ... أن يرفعوا
الفاعل وأن ينصبوا المفعول وأن يجروا المجرور - ومن عرف ذلك فقد
عرف كثيراً ، وماذا يمكن أن تطلب من بيطار يريد أن يلقي محاضرة
تتصل بالحمير ومن نباتي يكتب عن التركيب الضوئي ، ومن حيواني
يرغب أن يترجم كتاباً عن الخفاش .

لا ... لا ... ان الأمر أخطر مما نتصور ، ان بين معلمي العربية

من لا يميزون عند القراءة بين همزة الوصل والقطع ، ولا يدرون متى يكسرون همزة ان ومتى يفتحونها ، ... ولا يجزمون « يكتبون » بلم ... لماذا ؟ لانهم صرفوا العمر في دراسة العربية دون أن يدرسوها ؛ انهم لم يتعلموا كما تقتضي طبيعة الأشياء . انهم لم يطبقوا الضروري اللازم وانكهم حشوا جماجمهم بالأحجار ... وكلنا مسؤول .

الحديث يطول ، ولا نريد أن نضيف سفسطة الى سفسطات كثيرة ، وكتب التيسير أمست - والحمد لله - أكثر من ان تحصي . ولنعترف ان ليس بين « فطاحلنا » من أعدته مواهبه للاضطلاع برسالة التجديد ، فلنكتف اليوم بالممكن ولنترك الاصطلاحات الكبرى لرجلها المنتظر .

وليست اللغة نحواً وصرفاً ومصدراً ! ... لا ... ان هذه وسائل لغاية أبعد وأسمى ، لغاية أولى درجاتها أن نمكن للعربي في استعمال لغته حين يقرأ وحين يكتب ... ثم الادب والذوق ، وليست هناك أمة ، على وجه الارض تحرم أبناءها متع الادب وتعمل على امانة أذواقهم ... وهذه مدارسنا ، وهؤلاء اساتذتنا ، وهؤلاء طلبتنا فأين هو الأدب واين هو الذوق ؟؟ أمران ثالثان ! انك لتجد بين طيات جدول الدروس : الانشاء ، المحفوظات ، النصوص ، البلاغة ... تأريخ الادب العربي ، ولنترك « تأريخ الادب » مطعنا في كرسيه الوثير ... ونسأل عن صحة الانشاء ؟ لقد مضت على مدارسنا الحديثة أكثر من ثلاثين سنة ، ولكنها عجزت عن أن تخرج منشأً واحداً ، واذا وجد من زاول الشعر أو القصة مزاوله ما مزاوله ما فقد تعلم ذلك من نفسه وبنفسه ... أشهد أن درس الانشاء لا يخاق المواهب ، ولكن أليس من واجبه أن يكتشفها ويتعهداها ؟ اليس من حقه أن يعلمنا كيف نكتب بعبارة مقبولة وبخطه منسجمة الأوصال ؟ كثيراً ما يستحيل درس الانشاء عندنا : « طالعوا » وأشياء

أخرى . كأن يذهب ضحية باردة لدرس القواعد ، اذ يضطر المعلم عن طريق اغتصاب حصة الانشاء لاكمال منهجه الضخم .

يدفع الطماع بعدد مشرف من شبابنا الى مواصلة الدرس ... وينالون شهادات عالية وكلهم طموح ورغبة لان يؤلفوا ويحاضروا ويترجموا - وفي ذلك خدمة لهم ولامتهم ، ولكنهم مايكادون يبدأون الطريق حتى ينكصوا ويتقهقروا ، ان اللغة الانكليزية أسهل عليهم من لغة آبائهم واجدادهم .

اللهم انا نسجل خيبتنا في تحييب الانشاء (١) ، كما وفي الافادة منه في تقويم لغتنا وتصحيح الاغلاط الشائعة والشطحات الفظيعة . ونسجل خيبتنا في الانشاء ، في درس المحفوظات ... وماذا درسنا في المحفوظات ؟ « يختار » المعلم أقرب « منظومة » الى رأسه ، ثم يبدأ الطلاب يخططون جدولا « للكلمة ومعناها » ... لا ... ليست هذه الغاية من المحفوظات ، هذا الدرس الحي الذي يفترض فيه أن يجب الى الطلبة الادب ويشيع في نفوسهم المتعة ويربي فيهم الأذان والأفئدة . ليس المهم في المحفوظات : الشروح والمعاني ؛ فقد شعبنا من المتحجرات ؛ ولايشترط الاطفال والبدائيون في حبههم أغانيهم الفهم الرياضي ؛ انما الموسيقى والايقاع والهزة التي تنبعث في نفوسهم من حيث لا يدرون . فأين من هذا درس المحفوظات ؟ هذا الدرس البغيض الذي يقترن بصورة المعلم يدخل الصف شاكي السلاح مزجراً يطالب الاطفال بما لا قبل لهم به من شرح وحفظ .

لقد خبنا في درس المحفوظات ... وخبنا في درس النصوص ، الخيبة في النصوص تدل على نجاح الطالب العراقي فلقد أثبت بأنه من قوة الشخصية والثقة بالنفس بحيث لايزرد كل مايجرعه قسرا من حصي

وأحجار غير كريمة ، ولا يعجب بكل ما يؤمر أن يعجب به وما تزال فيه بقية من ذوق فطري . كيف يعجب واستاذه على هذه الدرجة من الكسل ، يدرس وكأنه المحكوم عليه بالاشغال الشاقة ، كان عليه أن يعجب أولاً .

أهذا هو درس النصوص الذي نسمي به الى تحبيب روائع ادبنا في الحماسة والغزل والثناء ... روائعنا في القرآن وخطب العصر الأول ، أهذا هو ؟ ان فكرة استغلال درس النصوص لتقديم أمثلة انموزجية لكل عصر ولكل أديب من غير النظر الى قيمتها الفنية ، فكرة صحيحة ولكنها خطأ ... وكان الله في عون طلبة الفروع العلمية !

وذا خبنا في تدريس المحفوظات والنصوص ... فمن الاولى أن نخيب في البلاغة ، هذا العلم الذي قسموه الى ثلاثة : معاني وفيه الخبر والانشاء والتقديم والتأخير ؛ والذكر والحذف ؛ والقصر وطرقه ، والفصل والوصل ... ترى ما جدوى ذلك للغة والذوق والبلاغة والطالب الثانوي ... وقد « طرق سمعي » ان علم المعاني مما يدرس في الفرع العلمي وارجو ان يكون ذلك من الاخبار الكاذبة والشائعات المختلفة ؛ وأخشى ان يكون السبب ما التبس على السامع من وجود كلمة « علم » . قبل المعاني ... ولو صح ذلك لما حرم الطلبة من بدائع عالمي البيان والبديع وهما علمان اعترف بهما السكاكي وغير السكاكي . لو فهم الذين يدرسون البلاغة لسمعوا تكرار أمثلة جافة ميتة . ولاستطاعوا أن يميزوا فنونها في غير المكتب المقررة كأن ينبهوا طلبتهم اليها في الانشاء والمطالعة ... مبينين ما وراء هذه « الاستعارات والكنيات » من قوى خفية التأثير . واذا تكاثرت الخيبة وتكررت ... نسي المرء الحديث عن القراءة ، فقد غرب عن البال وجود هذا الدرس العالي العالي ولكن أين هو ؟ اننا

ندخل المدارس وتخرج بدرجات عالية ونحن لا نعرف القراءة ولا نحسق
ألاداء ولا تتمثل المعاني ولا نرى النص ولا ما وراء النص!
اذن فلنقرر مطمئنين غياب هذا الدرس او موته - والبقية في حياة
تاريخ الادب!

وتلح التعليمات التربوية على اعتبار دروس العربية من قواعد وقراءة.
وانشاء ... وحدة متحدة ، والالحاح صحيح ولكنه غير مجد لانه غير
صحيح . ان الوحدة قائمة في الجانب العملي والفني من اللغة ، اما مفردات
النحو والصرف المقررة فهي بعيدة عن أن تنسجم وتكون وحدة مع
الجانب الحسي ، انك لو طبقت منهج النحو على القراءة مثلا أضعت
النحو والقراءة .

وبعد ، فليست العربية منهجاً يوضع او كتاباً يؤلف انما هي - قبل
كل شيء ، معلم يعد . ولو تحدثنا عن اعداد معلمي العربية أو مدرسيها
لطال بنا الحديث ، ولكننا نفضل الاحتفاظ بنوادر هذا الباب ونكاته الى
فرصة أخرى .

المعلم - آذار ١٩٥٧

تاريخ الأدب في مدارسنا

لنعترف أننا أمة ذات تاريخ أدب ولكنها من غير تاريخ أدب . وقد مضى علينا أكثر من نصف قرن ونحن نحاول فيه إيجاد هذا الكتاب فلم نستطع ، وذهبت المحاولات عبثاً ، وهي - في الحقيقة ، محاولة واحدة ، وليست محاولات . فما كاد يبدأ الأول حتى تهافت عليه المقلدون والماسخون والناسخون ولا يزيد المتأخر عن نقل المتقدم أو ترجمته (١) دون معاودة البحث ودون مراجعة النصوص وهذه سنة ورثناها - لسوء الطالع - عن كتاب التراجم القدامى إذ يتكررون على اختلاف المؤلفين واختلاف أسماء الكتب وليكن بعد ذلك اسم الكتاب « البداية والنهاية » أو « شذرات الذهب » ... أو أي شيء آخر . ثم إن هذا الأقبال المتقطع النظير لم يقم على أساس علمي معقول ، وكان الأولى أن نعني بنشر المخطوطات وتحقيقتها تحقياً علمياً (٢) والاكم هي الدواوين التي تصلح لأن تكون أساساً للدراسة ؟ أين هي دواوين جرير والفرزدق وجميل ... وأين دواوين أبي نواس وأبي تمام والبحثري ... والايوردي والطغراني ... وصفى الدين ؟ ؟

يتخرج الطالب في ثانويات الغرب وقد يكون لنفسه فكرة واضحة ومتسقة عن تاريخ أدبه تلقاها على أيدي أسانذة متمكين من دراستهم ومن

(١) تراجع : النويهي - ثقافة الناقد .

(٢) تراجع : أمين الخولي - في الأدب المصري .

تدريسيهم وقرأها في كتاب حسن التبويب بين القصد ، لا لغوفيه ولا
« فلسفة » ، تؤيده النصوص المناسبة الحسنة التقديم البارعة الدلالة ... الى
آخره ... ، فما كنا لنقابل أنفسنا بقوم يخلصون في عملهم ويتنافسون في
الابتكار ويسعون الاجود من غير كسل .

والمضحك في أمرنا أن الخرف قد تمكن من تأريخ أدبنا بحيث أضع
أبسط المسلمات المنطقية ! أردت أن تبني بيتا ، فهل تعلق « الشيلمان »
في الهواء ثم « تعكك » قبل حفر الاساس ! لا . لا ... ولكنا هكذا
نسير في تدريس تأريخ الادب العربي - وأقل ما تقتضيه كلمة « تأريخ »
هو الترتيب الزمني وتوالي عصوره فلا يأتي مثلا القرن الاول بعد القرن
الثامن ...

اننا نبدأ منهجنا في الثاويبات بالعصر العباسي - العصر الاول وليس
« العاشر » - لحسن الحظ ... ولكن أين الجاهلي ؟ وأين الاموي ؟ انتظر
قليلاً فالعجنة من الشيطان ! ابدأ بأبي نواس والبحثري وابن الرومي ...
تنتهي حتماً بعبد الله بن الزبير والحجاج بن يوسف الثقفي وقطري بن
الفجاءة - وكل من سار على الدرب وصل ! لا ... ما هكذا تورد
ياسعد الابل . انك ان طالبت التلميذ العراقي بفكرة واضحة عن تطورات
تأريخ أدبه وعن صلة العصر بالعصر ، والاديب بالاديب كلفته شططا ،
وان جهل الاجابة دل على شخصية ومنطق ...

ثم ماذا ؟ هذه العناية بعلي بن عبد العزيز الجرحاني وابي الحسن
السلامي ... أين أشعارهم ؟ وأين أخبارهم ؟ اذ ألزمتنا الطالب والمدرس
بدراستهم دراسة تفصيلية . ثم من ابن زهر ؟ ولم لا ابن خفاجة ؟ ...
ثم ... ثم من ابن الوردي ؟ أعوذ بالله ! هو صاحب المعلقة البصلية . أعوذ

بالله وصلاة الله وسلامة وعلى الشعر الرائع ! وأعوذ بالله !
- بهذا - سيداتي وسادتي - ينتهي الصف الرابع أو يكاد فييتدى -
الخامس بالشعر الجاهلي وصدر الاسلام فالعصر الاموي .

صحيح أن « علم » تاريخ الادب يعني بكل شيء ، فلا يميز بين
غث وسمين ، لان واجبه أن يترصد التطورات والتغيرات التي تعتور الادب
وتكتنفه من خير ومن شر ، صحيح . ولكنه في الدراسة الثانوية لا يعني في
أية حال من الاحوال - العناية بابن الوردى والبوصيري . اننا ندرس
العصر وندرس نماذج من آثاره و خلاصة موجزة لمشاهيره ثم تفصل بواحد
أو اثنين من أعلامه الذين يستحقون الاهتمام لنجاحهم الفني ، ولم لا
نجمع بين الذوق والتاريخ ! لم لا نحسن التوزيع ؟ وهل يعني التاريخ
الادبي النص على العناية بالطرماح بن حكيم ونسيان جميل بثينة ! اللهم لا .
ولسنا أول من يدرس تاريخ أدبه بين أمم العالم . ولا نجد أمة تنص في
مناهجها للمدارس الثانوية على أسماء شعراء من الدرجة العاشرة والعشرين .

نعم ، لقد ظهرت في العصر العباسي الاقاليم ، ولكن هل يحتم ذلك
البحث عن شاعر يمثل « فارس » ... البحث بكل سبب حتى لو عثرنا
على المرحوم على بن عبد العزيز الجرجاني ... البحث ... ولا تهم بعد
ذلك الصلة بين الاثر والبيئة ، والافضل الا توجد ولا تظهر !

وجدت الاقاليم . ولكن أين ندرس المتني ؟ لقد أخرجناه من العراق
ولنا في ذلك أدلة ! أهو شامي ؟ لا ! أهو مصري ؟ لا ... ان
الشاعر الكبير فوق حدود الاقاليم وقيود البيئة وسدودها .

كنا نسعى لان يكون تاريخنا كاملا ! لا بأس في ذلك ولا ضير . ولكن
ما بالنا نسينا حتى الاشارة العابرة الى فترة طويلة تمتد على مساحة طولها

أكثر من ثلاثة قرون وكان من سكتها مبيار والايوردي والطفراني... وغيرهم .

اذن يبدأ الطالب الثانوي بأبي نواس لينتهي بقطري بن الفجاءة ماشياً كمشية العرنجل بين القرون مرة « صاعد » ومرة « نازل » تتقاذفه الدروب بين اليمين والشمال والرأس والقدم - وساعده الله تعالى على ما يعترضه من مستنقعات وهوام .

ولكن ، أتدرى كيف بلغ محطة أبي نواس ؟ بلغها بعد ان درس في الصف الثالث « ادب العصر الحديث » اي انه درس البارودي قبل المتنبى ودون ان يسمع بالطفراني ، ودرس السيد حيدر دون ان يسمع بمبيار ودرس حديث عيسى بن هشام قبل ان يدرس المقامات ! درسهم ، وهو لا يدري لم درسهم ! لان المعقول أن يكون تاريخ الادب وحدة متطورة تتضح خطوطها العامة في سيرها الطبيعي . ستقولون ان العصر الحديث أقرب الى مدارك التلميذ ، وطرائق التربية الحديثة تقتضي الابتداء بالاسهل ! وهل هناك حجة اعظم من هذه لتبرير الخطأ ؟ لا . اذن فما قولكم - دام فضلكم - بتدريسه تاريخ اربعة آلاف سنة قبل الميلاد وهو في الصف الاول المتوسط ؟ ما قولكم بتدريسه كمشتكا وآلسكا والاسكيمو قبل ان يصل الى الصف الثالث المتوسط . ثم ماذا ؟ قد يكون الذي « وضع العربية امام الحصان » حسن النية سليم القصد ولكنه كان - دون شك - جاهلاً بالادب وطبيعة السهل والصعب منه . ويكفي انه حسب وخال وظن ان عبدالحميد الرافعي وعبدالمطلب والازري والعمري والآخرس والتميمي والحبوبي والشاوي والحلي والسويدي والألوسي ... حسبهم خالهم من عصر التلميذ وذوقه . استغفر الله ان هؤلاء - رحمهم الله ورحمه - ليسوا من العصر الحديث في شيء ... وليسوا من العصر القديم في

في شيء... ان صفحتين أو ثلاث في أعقاب الفترة المظلمة في مقدمة العصر الحديث تكفي كل الكفاية للامام بهم - لان الذوق يجب ان يظل السيد في تدريسنا الادب ولا سيما في صف متوسط . وليس في الادب قديم وجديد وانما فيه جيد . . . والجيد جديد ولو كان جاهلياً . والمفتعل قديم ولو كان على لسان ابناء القرن الثلاثين .

ثم ، نسبت أمراً آخر . نسيت لاني لا استطيع ان اتصور وجوده . ولاني لا أرى له صلة بالادب او تاريخ الادب . اعنى تلك النائبة التي تنزل على رأس التلميذ اذ يجوس خلال الصف الثالث فما يكاد يخطو الخطوة الاولى حتى ينقض عليه السقف . لماذا ؟ لان البناية قديمة جداً ولما عزم المهندسون على ترميمها وتجديدها قرروا التسقيف « بالشيلمان » وتركوا الاساس والجدران كما كان وكانت . لقد خيل لنا بأن التجديد في تاريخ الادب يقضي بأن نفجأ التلميذ والتلميذات بالكلام على اشياء لا يدركها ولا يجد لها نفعاً : معنى الادب . تاريخ الادب . نشأة تاريخ الادب . وغايته . تقسيم الكلام الى شعر ونثر . تأثر الادب بعوامل الحكم والبيئة والثقافة . أهذه الامور هذه الاهمية وهذه الصلة بالادب وتاريخ الادب واهل العلم لا يدرون . لا ... ليست لهذه السفسطات من صلة توجب الخوض فيها ... وهل يحتاج طالب الى درس في تقسيم الكلام الى شعر ونثر اذا كان قد درس نصوصاً من هذا وذاك في الصف الثاني مثلاً ؟ واخيراً وبعد أخذ ورد انراك تزيد على ان تجعل الشعر الكلام الموزون المقفى ! لا ، « ما هكذا تورديت يا سعد الابل » ! وقد اطلنا .

وخلاصة الرأي ان ثوب الى رشدنا فناخذ بتدريس تاريخ الادب في تطوره الطبيعي مسجلين اهم ظواهره مشيرين الى ابرز اعلامه ، مطيلين

الوقوف عند النماذج الرائعة التي يتذوقها الطالب ويتذكرها وترى الحس الفني فيه وتحبب اليه ادب امته وتعينه عند الكلام والانشاء وتبهي له القدوة الحق . انا حينما نقف عند المثل البارعة نتطرق الى ما فيها من عواطف وأخيلة وما فيها من آثار بيئية ، وما فيها من تنوع الاساليب ، والى ما فيها مما يتحدى القواعد والعوامل وما يتمرد على السدود الضيقة ليرتفع الى مصاف الادب العالمي في تعبيره عن خلجات النفس الانسانية في مشارق الارض ومغاربها . وهذا « التطرق » المناسب الذي استدعته طبيعة النص يهيء للدرس كثيراً من الحيوية وللطالب كثيراً من المتعة وللادب كثيراً من البقاء .

اما كيفية توزيع هذه المادة على السنين فتكون بأن يتخذ الصف الاول خطوة تمهيدية يسمع الطالب خلالها عدداً من النماذج ، ويحفظ المختار من المختار على اختلاف العصور مع مراعاة السهولة واليسر والسمو الفني . حتى اذا انتقل الى الصف الثاني بدأنا معه من البداية : صفحة أو صفحتين عن العصر الجاهلي والادب العربي فيه واشهر اعلامه ثم قراءات من شعره العالي - شعره فقط - قراءة مع بيان لمواضع الجمال فيه وحفظ شيء منه . ولا يمكن ان يكون العصر الجاهلي مفاجأة للطالب المتوسط فقد درس - كما رأينا - السومريين ... والفراعنة ... والعبريين . واليونان والرومان ... كما درس التاريخ العربي ، ويمكن لا ، انه لم يدرسه ! ان منهج التاريخ يقفز من الرومان الى دور الرسالة والراشدين فأين العرب قبل الاسلام وأين نجد والحجاز وأين العراق والشام ... ! لقد كنا ندرسهم في يوم من الايام . ولا يمكن أن يفجأ العصر الجاهلي طالب المتوسطة أو يفجعه ! لاننا ، انما ندرس منه رواضع أدبه ومن شأن الروائع أن تتحدى العصور والبيئات . ان ما يعجبنا اليوم من شعر

أمرى القيس وطرفه والنايغة وزهير وبما اختاره أبو تمام في حماسته ليس بأصعب مما نقدم لطلابنا من شعر الكاظمي مثلاً ، وهو دون شك أمتع من شعر أحمد محرم وعبد المطلب والمعري ... الخ الخ أمتع وأروع - وأسهل ان شئت .

وفي مدة تقرب من تلك نتكلم له بصفحة أو صفحتين على الادب في صدر الاسلام وأهم ما أصابه من تطورات وأشهر أعلامه ثم نقف وقفة أطول عند نماذج من القرآن ومن الخطب . اما حسان ومن الى حسان فنمر بهم - غير ظالمين - مر الكرام .

ثم نتقل الى العصر الاموي ونتكلم في صفحة أو صفحتين على صلة الفترة بسابقتها وأهم ما جد فيها من اتجاهات وأبرز من ظهر فيها من أعلام . ونقف عند نماذج مختارة من شعر جرير والفرزدق ... وجميل وعمر ابن أبي ربيعة ... وشعر آخر حفظته لنا الحماسة ، وعند نماذج من الخطب . أما عبد الحميد ومن الى عبد الحميد فيكفي عنهم باللمحة الخاطفة في المقدمة .

ويتهيء العام بخلاصة استعراضية لسير الادب وتمهيد للسنه الجديدة . ويبدأ الصف الثاني بمقدمة تذكيرية يدخل بعدها المدرس في الكلام بصفحتين أو ثلاث على الادب في العصر العباسي مشيراً الى أعلامه في كل فن ثم يوزع وقفاته بين روائع : بشار وأبي نواس وأبي تمام والبحتري والمتنبي والشريف الرضي والمعري ولا ضرورة لعلي بن عبد العزيز أو السلامي أو ابن زهر ... خير من هؤلاء « الاعلام » نماذج مختارة من شعراء مقالين أو مغمورين تصيدها هنا وهناك . ثم أين ابن خفاجة ؟ أما في الخطابة فلنكن صرحاء ولنقل بأنها لا تستحق الاهتمام وان وجد مثل حي فأهلا به وأما في الكتابة فلنكن أكثر صراحة ولنكتف بصفحة من

الملاحظ وصفحة من التوحيدي ومقامة من بديع الزمان ولا بأس في وقفة عند الف ليلة وليلة ولا شأن لنا بابن المقفع ولا بغيره ولعلنا لو اتعبنا انفسنا بالبحث ، وجدنا في الزوايا مثلا أو مثلين مما يستحق القراءة والحفظ .

كل ذلك على سبيل الایجاز وعلى اختلاف في الطول والقصر مع تأكيد خاص للجانب الفني ولما في الاثر من معاني النفس الانسانية ، حتى اذا انتهينا تكلمنا في صفحة أو صفحتين على الادب بعد سقوط بغداد ولا يمنع هذا من ذكر اسم ابن الوردی والبوصیری ولا يمنع من قراءة أبيات من صفی الدین وللطالب أن يحفظ منها ما يستحسن ثم ننقل بصفحة أو صفحتين للكلام على الادب في العهد العثماني مؤكداً حالة العراق في أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر قارئین مثلا من هذا وذاك كحيدر والحبوبي والاخرس .

يأتي العصر الحديث ونكتفي بصفحتين أو ثلاث عن تجدد الحياة فيه واتصال الشرق بالغرب والعوامل التي أثرت في الادب وتنويعه ثم نماذج ... النماذج المختارة هي الاصل ... للبارودي وشوقي ، وحافظ - ان كانت هناك ضرورة . ولا بأس بصبري وعلي محمود طه . ونماذج من المنفلوطي والرافعي والمازني ثم الزهاوي والرصافي - اذا لزم الامر . ثم صورة من أدب المهجر (جبران . ايليا أبو ماضي . نعيمة . فرحات ...) ثم طه حسين والزيات ، والجواهري . بشارة الخوري وعمر أبو ريشة وعمر النص

هذا هو منهج الصف الثالث وهو مهما يطل أقصر من المنهج المقرر ، أقصر وأكثر متعة ونحن نهدف الى تربية الذوق والحاسة الفنية . ان هذا المنهج يهيء لكل الطلبة العراقيين الامام بالخطوط العامة لتأريخ

أديهم كاملا سواء دخلوا بعد الدراسة المتوسطة الفرع الادبي أم العلمي أم التجاري أم الموظفين الصحيين وضباط الصف . أم هجروا المدرسة الى الحياة العملية والتجارية . وهذا الالم العام جزء من الثقافة العامة وشرط في الانسان الحديث . وهذا الى أن ادامة النصوص وادامة قراءتها وحفظها هو جزء من درس المحفوظات و متمم للقراءة ومؤيد للقواعد ومرب للشخصية . حتى اذا جاءت المرحلة الثانوية بدأنا - كما يجب أن نبدأ - بالعصر الجاهلي و انتهينا - كما يجب أن تنتهي - بالمحدثين والمعاصرين محاولين التوسع بالصورة التي الممنا بأطرافها في المتوسطة ، مفصلين عددا من النواحي تفصيلا يؤلف للطلبة نموذجا في الدراسة ، فنختار شاعرا و ندرس حياته و آثاره و مزاياه ، و كاتبنا ... و خطيبنا ... و قصاصنا ... و نختار غرضا من الشعر كالغزل أو الحماسة ... فنتبع تطوراته و تبين سماته و نقرأ الكثير من أمثله و نحفظ النموذجي منها ... أو ضربا من النثر كالخطابة أو القصة ... أو المقالة و ما أشبه دون أن ننسى النصوص و التأمل في تحليلها و استجلائها و تطبيق ما يقتضيه السياق من موضوعات البلاغة و النقد الادبي . و لنقف و نقفات خاصة عند قصيدة و خطبة و مقالة ... نتخذ دراستها منهجا و دليلا و معينا على دراسة أمثالها .

و بهذا يصبح تأريخ الادب العربي تأريخا و ذوقا و شخصية ... و متعة و حيوية و ستربح جانبا من الوقت كنا نضيعه في درس معين اسمه البلاغة و درس معين اسمه النصوص و درس معين اسمه القراءة - هذا ما يخيل الى . و لنجرب و ان نضيع شيئا . و لن نقع بانعس بما نحن فيه . و شكاوى الطلبة و المدرسين محقة و متكاثرة فقد خرج تأريخ أدبتنا عن كونه تأريخا و خرج عن كونه أدبا - وانا لله وانا اليه راجعون .

المعلم الجديد - حزيران ١٩٥٧

كلمة في منهج اللغة العربية

لغتنا عماد وجودنا ووجود امتنا ، واعتقد أن ضعف طلبتنا في هذه اللغة أصبح بدبهة لا ينكرها الا مغرض أو معاند أو معاد - ومن الطلبة يكون رجالا بلدا ، واذن فليس من اللائق أن يقف المسؤولون متفرجين من هذه الظاهرة المؤلمة المؤسفة المحزنة .
ولا أطيل .

انما ارجو أن ترعى وزارة المعارف هذه الناحية وتوليها عنايتها فتؤلف اللجان الجادة لتشخيص الداء ووصف الدواء العاجل .

وهذا درب قد يطول ، واذن بأس من أن نبدأ منذ الآن بالممكن وبالجزء - وما لا يدرك كله لا يترك جله . ولي في هذا رأي متواضع أنضجته الايام في الدراسة والتدريس ومشاهدة المطبقين والاتصال بالمدرسين والطلبة ، أرفعه راجيا أن يلقي القبول ، ولا أبغي من وراء تقديمه غير خدمة هذه اللغة وخدمة أبنائنا الذين ضاقوا ذرعا بدرسها ومن ثم تخفيف المسؤولية التي أشعر بها والتي أثقلت ضميري .

الحص هذا الرأي بـ :

- ١- الغاء « النحو الواضح » المقرر لسنوات الدراسه المتوسطة الثلاث .
- ٢- حتى تنتهي لجنة تضع منهجا وكتبا لهذه الصفوف تقرر الكتب المقررة الآن في مصر (مع توصيات الى المدرسين بشأن استعمالها) وهي

كتب « قواعد اللغة العربية » التي الفتها وراجعتها لجنة شكلتها وزارة المعارف هناك . مع العلم بأن « النحو الواضح » كتاب مصري أيضاً . وان كلا الكتابين من مطبوعات دار المعارف .

٣- الغاء علم المعاني المقرر في الصف الرابع من الفروع العلمية في الدراسة الاعدادية .

٤- الغاء منهج النحو الذي ألف عليه « النحو الاعدادية » الذي لايمكن أن يفيد طلبة الآداب فضلا عن العلوم .

٥- الاستفادة من الساعات الحاصلة عن هذا الالغاء في القراءة والانشاء وهما الاساس في اللغة والحياة ، ولعلكم ترون مناسبا أن يتبع في هذا الفرع ما سبق ان أقر للقسم الثانوي من مدارس الفنون المنزلية .

٦- تأليف لجنة تضع منهجا جديدا ، يعقبه كتاب جديد لدراسة النحو والبلاغة في الصفوف الرابعة والخامسة من الفروع الادبية - يطبق منذ بدء السنة المقبلة .

٧- النظر في امكان الغاء أو تقليل ساعات درس العلوم العامة من منهج الفرع الادبي والافادة من هذه الساعات في موضوعات أدبية واجتماعية .

أما لماذا تجرأت فتقدمت بهذه الاقتراحات التي أرجو أن تلقى العناية التي تستحقها فلـ :

١- ضعف الطلبة الفطيع ...

٢- ضيقهم باللغة العربية وكرههم اياها .

٣- ضيق المدرسين أيضا .

٤- بعد الكتب المقررة عن الحياة وعن المستوى العقلي والنفسي المناسب .
٥- فهي محشوة بالثقل الذي لا يحتاجه الطلبة في حياتهم اذ يقرأون ويكتبون ويتكلمون - وهي تدرس النحو - - مثلا - وكأنه غاية بنفسه ، وكذلك قل في البلاغة ، انهما يدرسان الآن كما كانا يدرسان للاعاجم وكما كان ينقطع اليهما قوم لاشغل لهم في الحياة سواهما ...

٦- اذكر أمثلة من موضوعات يعنى بها النحو الواضح كثيرا ، دون أن تكون ذات جدوى في حياة الطلبة ، دون ان تكون ذات قيمة تستحق بها هذه العناية :

من الجزء الاول :

توكيد الفعل - اعراب نعم وبشس - وفعل التعجب - نائب الفاعل اذا كان ظرفا او جارا او مجرورا او مصدرا - مواضع تقديم المبتدأ على الخبر - سد الفاعل أو نائبه مسد الخبر - اعراب زيادة الياء في خبر ليس- اعراب الجمل بعد تخفيف كأن ولكن - اعراب جملة لا سيما - ما يضاف الى الجملة وجوبا وجوازا ... الخ

ومن الجزء الثاني

العطف على الشرط والقسم - حذف الشرط أو الجواب - اعراب أدوات الشرط - جموع القلة وجموع الكثرة ... الخ .

ومن الجزء الثالث :

يكفي أن نذكر التصغير والنسب واعراب الجمل ... الخ .

١ - تكون هذه الموضوعات « الميتة » اكثر من نصف النحو الواضح .
٢- أما الباقيات فلا بدال والاعلال والميزان الصرفي ... الخ وشروح شواذ نضيع على الطلبة مجال الفائدة العملية وتضيع عليهم الجوهر

٣- أما التمارين فطامة اخرى وبكفى أن تجد بينها مالا يطابق القاعدة التي ذكرت قبلها ، أو ما لم يدرسه الكتاب قط .

٤- ان كثيرا من موضوعات النحو المتوسط تعتمد على موضوعات النحو الابتدائي الذي لم يدرسه طالبنا . ولا أدري كيف يستطيع أن يفهم في النحو الواضح « سد الفاعل أو نائبه مسد الخبر » وهو لم يدرس في الكتاب الفاعل أو نائبه وكيف يدرس الموضوعات الاخرى دون أن يكون قد درس كان وأخواتها وان أخواتها ... وكيف يدرس اقتران جواب الشرط بالفاء وهو لم يدرس الشرط ... الخ ... الخ ...

٥- اذا تذكرنا موضوعات النحو الواضح ونصورنا المستوى العملي للطلاب المتوسط تصورنا الهوة السحيقة . أما اذا تذكرنا منهج النحو الواضح في مواده وشواذه واستقرائه وتمارينه فان هذه الهوة تزداد سعة وتصبح مخيفة . وهذا عجيب في بلد يبني تربيته على اسس نفسية وفلسفية حديثة .

٦- لقد أصبح الاسم العرفي للنحو الواضح « النحو الغامض » ، هكذا يعرفه الطلبة ، ولهم في ذلك كل الحق .

ما يقال عن النحو الواضح يمكن ان يقال عن كتب البلاغة وكتاب النحو الاعدادي وبكفي أن نرجع الى المفردات في المنهج المقرر لنرى أين نحن من القرن العشرين ولم نرجع الى المنهج ولكل منا في المدارس أبناء واخوة وزملاء يدرسون ويدرسون ، نستطيع أن نعرف رأيهم .

وبعد

لقد بلغ درس اللغة العربية واستحالة الاستفادة منه حدا مخيفا ،

ويكفي انه بات يكره للطلبة لغتهم ، وليس الذنب في ذلك ذنب اللغة
أو المدرس أو الطالب ، انما المسؤول هو المنهج الجامد الذي حشي بما
لا صلة له بالحياة والذوق . ولقد عرضت هذه المشكلة ولآثارها وأسبابها
وشيء من علاجها في مقالين نشرتهما بمجلة المعلم الجديد في الجزء الثاني
والثالث من مجلدها العشرين . الاول بعنوان « جرائمنا في تدريس عربيتنا »
والثاني « تاريخ الادب في مدارسنا » لان هذا هو الواقع الذي أحسسته كلما
نظرت الى اللغة العربية في مدارسنا . كما أن مقدمة المنهج الذي أقر لمدارس
الفنون البيئية والتي كتبها بنفس الدافع تفيد في هذا الموضوع .

كم هممت أن ارفع خبر هذه الظاهرة الخطيرة الخطرة الى
المسؤولين ، فبمعني ما أعلم عن مصير مثل هذه التقارير ، وما هو ذائع من
سوء الظن بالنوايا المخلصة وما هو معروف عن الذين لا يعملون ولا
يريدون أن يعمل غيرهم . وقد ظل الشعور بالمسؤولية - واحيانا بالجريمة ،
بلاحقني ، ولهذا جئت بهذه الكلمة راجياً العناية بلغتنا وتحبيبها الى نفوس
أبنائنا والعمل على ربطها بحياتهم والسعي في خدمتها وخدمتهم ، لعل بذلك
قد ألقيت قسطاً من المسؤولية التي أشعر بها ، وخففت جزءاً من الواجب
الذي أثقل ضميري .

المعلم الجديد - تموز - ١٩٥٨

المحفوظات أم الانشاد !

المحفوظات ... كلما تذكرتها تصورت حجرة حشر فيها جمع من الاطفال الخائفين المتهيبين المفجوعين ... آه المحفوظات . الكلمة . معناها . وكيف له بذلك ؟ المحفوظات ما معنى البيت الفلاني ، واني له ! يدخل المعلم ويده دفتر الدرجات ، والمسكين من ابتداء اسمه بالالف والباء والتاء ... مسكين من كان اسمه أحمد ... أحمد . وارتجف أحمد وذعر ولا بد له ان يتظاهر بالصبر ومن ضرورات درس المحفوظات الشجاعة الادية . خرج أحمد وخف الى السبورة وأخذ « تعني » وبدأ كالبيغاء . يخب في كلامه كمن طردته اللصوص ، فلا يفقه ولا يعي ، ولا يربط بين الكلمة واختها ولا يفصل حيث يجب الفصل ولا يتعجب حيث يجب التعجب . ولم كل هذا والدرس محفوظات ، اذن ليركض ... وليشمر يديه ذات اليمين وذات الشمال وذات الرجل وذات الرأس ... وذات الرثة ... من دون صلة بالكلام الذي يقوله ومن دون رابط بالحالة النفسية التي كان عليها المؤلف ... ولا ضرورة للنسب للإيقاع الموسيقي ، ولم والدرس درس محفوظات ؟ والمحفوظات تعني - دون شك - الاستظهار أي الحفظ عن ظهر قلب أو على ظهر الخاطر - كما كنا نسميه أيام كنا نتعلم القرآن ولم نكن آنذاك قد سمعنا بكلمة « الدرخ » مثلا ...

وما تكاد البيغاء تبدأ حتى يستوقفها صاحبها يسألها عن معنى الكلمة الفلانية وما تكاد تجيب حتى يأمرها بوصل ما انقطع وما تكاد نصل حتى

يسألها عن معنى البيت الفلاني ... وتاريخ ميلاد الشاعر ... وهكذا
يعود أحمد وقد حاز « العشرة من عشرة » فهيناً له وقد أصبح قدوة
ومثلاً أعلى ... ولكن « باسم » طموح ويصبو الى التفوق واذن فليكن
اكثر بيغاية واكثر حركات ، ألم يطلب المعلم النشاط ، ألم يدع الى الحركة .
لا ... لا يا « سعد » ان الامر غير ما تتصور ، اننا اذ نخصص
للشعر حصة في الاسوع لا نريد أن نكرر مأساة استخدام الاثار الفنية
لتسهيل العلوم وتطبيقها ، انما نقندي بالامم الحية في العالم ، التي تعد
الشعر من الفنون الجميلة التي تنمي الذوق وتربي الاذن وتغذي الروح
وتذكي التصور وتثير الخيال ولهذا كان عندها اقرب الى درس الالقاء
والتمثيل والغناء . وما اجدرنا بأن نسمي هذا الدرس الذي ظللناه
اذ دعونا بالمحفوظات الالقاء ، لنهيه للدرس غايته الاولى ولننقذه من مقتضيات
كلمة المحفوظات التي تعني في ابسط دلالاتها الاستظهار ...

أجل هو درس الالقاء ... أشهد ان اخواتنا في البلدان العربية أقدر
منا على قراءة الشعر وابرع في انشاده ، انك لتطرب اذا سمعت الطالب
منهم يلقي واصغيت اليه وكأنه يلحن قطعة موسيقية .

أما معاني المفردات ... ومعاني الأبيات ... واعراب الجمل ...
وحياة الشاعر فأمور ثالثة يجب ان نتجنب الاغراق فيها ولا نأخذ منها
الا بالقدر الضئيل الذي تقتضيه طبيعة النص وما تستدعيه الضرورة . فاهم
من ذلك تهينة الجو الذي ينه احساسات التلميذ ويوجب اليه المقطوعة
وما تنطوي عليه من خيال وعاطفة ... وشعر ... ليس المهم في الفن .
الفهم الرياضي انما الوحي والالهام ... وكما ان الوحي لازم للشاعر فهو
لازم للقارىء .

كل هذا في درس الالقاء - ولا اقول المحفوظات .

ولطيف لو رسم المعلم القدوة المثلي للانشاد - أجل ، كانت العرب
تقول : أنشد ينشد فأين من ذلك حفظ يحفظ .

ثم انك قد تكتفي بالانشاد ... والأداء الحسن وتطوي القطعة الى
أخرى وإلى أخرى ولك ان تهيب للتلاميذ قصائد مغناة وتسمعهم ما
يحضرك من (الاسطوانات) والتسجيلات وما يجدر بأولى الامر تحضيره
من تسجيلات تقتنص بها الصوت العذب والاداء الحلو ... مما يزيد
الأدب جمالا الى جمال .

المعلم الجديد - ك ١ ، ١٩٥٧

للمؤلف في موضوعات المناهج كلمات أخرى في « المعلم الجديد » مثل مشكلة الانشاء ، وفي غيرها
كما في مقدمات بعض كتب الأدب التي اقرت عام ١٩٥٩ - ١٩٦٠ ومن ذلك مقدمة الجزء الاول من
كتاب « الادب والنصوص » .

العراق في المؤتمر الدولي للتربية والتعليم

(١)

في جنيف مكتب دائم للتربية الدولية . يعود تأسيسه الى عام ١٩٢٩ . وكان تابعا في أول أمره الى عصبة الامم . ولما تأسست هيئة الامم المتحدة الحق باليونيسكو . ويؤلف مؤتمر هذا العام (الذي عقد في ٦ تموز) المؤتمر الثاني والعشرين . وقد اشتركت فيه (٧٥) دولة ، مثلها (٢٠٠) عضو . وكان قد طلب الى الدول المشتركة ان تعد - اذا شامت - تقريرا عن سير التربية والتعليم فيها خلال العام ١٩٥٨ - ١٩٥٩ على أن يرسل قبل مدة مناسبة لانعقاد المؤتمر ، كما طاب اليها ان تقدم تقريرا آخر عن التعليم الابتدائي وان تعد نفسها لمناقشات التعليم المهني .

(٢)

وحين اختير اول وفد عراقي في العهد الجمهوري ، أراد هذا الوفد أن يطلع ويستعين بآثار الوفود السابقة ، فلم يجد شيئا ذا بال : فلا تقارير محفوظة عن المؤتمر اوله ، ولا معلومات ولا تعليمات ولا اقتراحات . هذا ، الى أن اختير الوفد الجديد جاء متأخرا جداً ، فلم تزد المدة التي كانت بين الاختيار وانعقاد المؤتمر على اسبوع كان عليه ان يعد خلاله تقريرا عن سير التربية والتعليم (يطبع بـ ٣٠٠ نسخة) وتقريراً عن مناهج التعليم الابتدائي وثالثاً عن التعليم المهني ، اضافة الى معاملة الجواز والسفر والعملة .

وأذن ، فمن الطبيعي ان لا تكون التقارير على الشكل الذي يريده
الوفد لنفسه ، والذي تحمل من أجله المسؤولية .

(٣)

ولكنه استطاع — على أي حال — أن يبين في تقريره بوضوح أثر ثورة
الرابع عشر من تموز في التربية والتعليم ، وما استدعته هذه الثورة من
تغييرات واصلاحات ، وما رسمته من خطط للمستقبل .

فقد بين أن السياسة العليا التي كانت ترسم سير التربية والتعليم في العهد
البائد ، كانت ترمي الى توجيه التعليم نحو خدمة الطبقة الحاكمة ، والجهة
الاجنبية التي تستند اليها تلك الطبقة ، بأن تجعل المناهج ناقصة ، جافة ،
مثقلة ، بعيدة عن الحياة العملية وعن كل ما من شأنه توسيع الفكر
وتحريره ، وتنبية الازهان الى مساوىء الحكم ، وبأن تحارب التعليم
المهني عامة والصناعي خاصة . كجزء من خطة مدبرة لابقاء البلاد متخلفة
في هذا الميدان ، وليظل التعليم نظرياً كأنه عملية منفصلة عن الحياة والمجتمع ،
وكان الغاية الاولى منه تخريج عدد كبير من حفظة الكتب (الدراخين)
وظابة الوظائف .

ولجأ حكام العهد البائد في سبيل تحقيق ذلك الى أساليب مختلفة
منحطة في الترهيب والترغيب ، دون أن يجديهم ذلك كثيراً ، فلقد شارع
التذمر واشتد الوعي ، وبان التناقض ، مما عجل في نهايتهم .

ولهذا ، كان من مستلزمات الثورة تغيير سياسة التربية والتعليم طبقاً
للمبادئ والاهداف الديمقراطية التي قامت من أجلها ، وذلك بالعمل على :
١ - توفير فرص التعليم لكل ابناء الشعب على السواء ، دون تمييز
عنصري او ديني او طبقي ،

٢ - ربط المدرسة بالمجتمع لتعد الافراد الى مواجهة الحياة والنجاح فيها ، والى المواطنة الصالحة والمستقبل الافضل .

٣ - تغيير المناهج جذرياً أ - بتويعها ، ب - وتوجيهها نحو معالجة مشكلات البلاد ، ج - والتعريف بامكاناتها المتوفرة ، د - وازالة المفاهيم الخاطأ التي ركزتها السياسة التعليمية السابقة ، هـ - والعناية بتوسيع آفاق التلاميذ وتنمية شخصيتهم ، وتوصيل التراث العالمي اليهم دون تمييز بين شرق وغرب لينطلقوا نحو الاسهام في بناء الحضارة العالمية .

وقد استعانت الوزارة في السير لتحقيق هذه الاهداف بـ : (١) رفع الميزانية الى حوالي ٢٤ر٥ مليون دينار (٢) تغييرات في نظام الوزارة وجهازها الاداري (٣) فتح مدارس جديدة ، (٤) العناية بمكافحة الامية ، (٥) عقد اتفاقيات ثقافية مع دول لم يكن متيسرا عقد مثلها في العهد البائد ، (٦) اطلاق حق التنظيم وتشجيعه مادياً وادبياً ، والاستعانة به في تطوير التعليم وحل مشكلاته ، فتألف بذلك - ولأول مرة في تاريخ العراق : نقابة المعلمين واتحاد الطلبة ...

(٤)

بلغ الوفد العراقي جنيف في (٥) تموز ، وقصد مقر المؤتمر في قصر ولسون ، فلاحظ :

١ - ان كثيراً من الدول قد سبقته في اعداد تقاريرها وطبعها
٢ - ان عليه أن يقرأ هذه التقارير ، ويلم بها ، لكي يكون على علم بالمناقشات التي ستجري حولها ، وليبدي رأيه العلمي فيها .

٣ - أن كثيراً من الدول قد أرسلت تقاريرها عن مناهج التعليم الابتدائي في وقت مناسب بحيث استطاع المكتب أن يجمع هذه التقارير

في كتاب خاص ترجم الى الفرنسية والانكليزية ، وطبيعي ان لا يرد ذكر
للعراق فيه .

٤ - ان العراق قد فقد - بسبب تأخر تقريره - تسلسله الطبيعي من
من منهج جدول الاعمال لليوم الاول ، وان عليه أن يراجع هذا وذلك
لكي يضمن له مكانا في الايام التالية .

٥ - ان الدول التي تحسن الدعاية لنفسها قد هيأت عدداً مناسباً من
الكتب والمجلات والخرائط والصور وسائل الايضاح ... تقدم هدية لكل
الاعضاء . وكان « المغرب » خير الافطار العربية في هذا المضمار .

٦ - ان عدداً من الدول مثل امريكا وروسيا ومصر ... قد احتجزت
غرفاً خاصة من المعرض الدائم ، عرضت فيه الوانا من نشاطها الحضاري
والتعليمي ... وان عدداً آخر مثل المغرب وتونس ... قد تهيأ لاعداد
مثل هذه المعارض ، اما العراق فلم يفكر في شيء من هذا ، مع أن
ادارة المكتب تطلب ذلك وتلح في الطلب ... وترجو وترحب .

(٥)

في السادس من تموز ، بدأ المؤتمر عمله ، وبعد خطب الافتتاح ،
واعلان الرؤساء والسكرتيرين ... اعلان سكرتير المكتب بأنه قد خصص
دوام ما بعد الظهر لمناقشة تقارير سير التربية العام في البلدان التي
قدمت تقارير ، ودوام الصباح لمناقشة المناهج والتعليم المهني .

وتجري طريقة مناقشة سير التربية بأن توزع تقارير الدول قبل المناقشة
بمدة مناسبة ، حتى اذا جاء دور دولة من الدول ، جلس أحد ممثليها
وراء المنصة ليرد على الاسئلة التي يوجهها اليه الاعضاء الراغبون في الاسئلة .
وللعضو أن يتكلم احدى لغات أربع هي لغات المؤتمر : الفرنسية ؛

الانكليزية ، الاسبانية ، الروسية ، وينقل كلامه الى سامعيه باللغة التي يعرفها هؤلاء عن طريق الترجمة والسماعات الخاصة .

كما أعدت مدرجات خاصة للصحفيين والمستمعين ، وقد اكتضت هذه المدرجات في يوم الافتتاح ، الا اننا لم نلاحظ أي اهتمام صحفي بالمؤتمر ولم نقرأ أي خبر في صحف سويسره .

وما يلاحظ في للطابع العام للمناقشات انها كثيرا ما كانت تجري لمجرد المناقشة واثبات الوجود ، وانها لم تكن جدية كما يجب ، وقلما دلت على أن العضو المناقش قد قرأ التقرير وتبين المشكلات التي يهيمه العلم بها . لهذا ، كان السؤال السائد ، سؤالا عاما (لا يخلو من سذاجة) ، خلاصته :

سيادة الرئيس - سيادة المندوب :

هل يتفضل مندوب الدولة « الفلانية » المحترم ، ان يقدم لنا تفصيلات أكثر عن القضية « الفلانية » ؟ اني لاشكركم جداً .

ذلك أن عين السائل وقعت اتفاقاً وفي قاعة المناقشات نفسها ، وساعتها نفسها ، على عنوان من فصول التقرير ، وطبيعي أن التقرير الموجز لا يستوفي كل شيء ، واذن فقد ضمن السائل جوابا لسؤاله ، اذ لا بد من تفصيلات اخرى بقيت خارجة عن التقرير ، واذن ، فليسأل عن هذه التفصيلات ، وليجهل بعد ذلك مضمون الفصل وما احتوى عليه من امور أساسية ، بل ليغير مجرى انتباهه الى أية جهة يشاء لأن السؤال هو المهم ، ولا قيمة للجواب .

ومن الوفود ما ضمت اعضاء مهذارين لا يدرون ماذا يجب ان يقولوا ، وكيف يجب أن يقولوا ، ولا يهمهم ان تكون اسئلتهم طويلة جدا ولا تعني شيئاً لدى المسؤول ، ولا بأس في أن يشتدوا في النقاش

دون ان يتهم بعضهم البعض .

ولوحظ ايضا أن من الوفود ما لزم الصمت ولم ينبس يوماً بينت شفة ، وان منها ما كان يكثر من الغياب ، ومن قلة الاهتمام في الحضور في الوقت المناسب وفي المساهمة والاصغاء والمتابعة .
ومنها الوسط الذي سلك السلوك اللائق فلم يتكلم الا بالمناسبة وبقدر .

(٦)

وكان وفدنا من هذه الوفود القليلة التي لم تتكلم الا عند الضرورة .
ولمعى خاص ، وبقوة ومنطق ووضوح .

وقد لحظ وفدنا - منذ الاجتماع الاول - ان الصين الشعبية غير ممثلة ، وقد أسف لذلك ، حتى اذا أعلن وفد رومانيا اعتراضه ضم العراق صوته الى الكتلة الاشتراكية بعد أن جلاه بشكل علمي موضوعي معقول ، وكان مما قاله : اتنا هنا - كمربين - يجب ان نكون فوق ضيق النظرة السياسية ، واتنا الذين يجب ان يقودوا السياسة ولا يدعوا السياسة تقودهم ، ان لدى الصين الشعبية من التجارب ما يمكن ان نفيد منه ، وليس من المعقول اهمال دولة تضم ٦٣٠ مليوناً وقد خطت خطوات سريعة وبمدة قصيرة نحو الرقي .

وكان لهذا الرأي الناضح وقعه ومعناه - حتى عند الدول التي جئنا عن أن تعلن ما تعتقد .

ثم ان من اعمال الوفد العراقي موقفه من اسرائيل ، فلما وصل ممثل وفد اسرائيل المنصة ، ثقل على العراقيين ولم يستطيعوا الاستماع اليه والى اسم اسرائيل ، فنهضوا وتركوا القاعة بهدوء له دلالاته ، ثم تبعه وفد المغرب والوفود العربية الاخرى : السودان ، تونس ، مثل العربية المتحدة ، مثل الجامعة العربية ، الكويت .

ومما يذكر أن الوفد العراقي بذل كثيراً من الجهد في سبيل الاتصال
بأخوانه بمثلي الاقطار العربية الاخرى ، ولكن على غير جدوى ، فلقد بدا
على كثير من الممثلين الاعراض والتجنب . . . واشياء اخرى . . . وحتى
التقصير في أبسط قواعد المجاملة ، وربما كان الوفد المغربي اقرب الوفود
العربية الى الوفد العراقي .

وكنا نتظر أن يكون حلول الرابع عشر من تموز ، يوم الذكرى
الاولى لثورة التي حققت للعراق سيادته وللغرب نصراً عظيماً . . . كنا
نتظر أن يكون هذا اليوم مناسبة للمتهاني والاماني ، ولكن ما قبل الظهر
وما بعده مضياً دون ان يقع لنا من اخواننا شيء من هذا .

وكان من المصادفات أن تجري مناقشة التقرير العراقي صباح يوم
الرابع عشر من تموز (وقد تولى الدكتور طه الحاج الياس - مدير
المناهج والكتب في وزارة المعارف - الاجابة عن الاسئلة والايضاحات) .
وكان من الاسئلة التي وجهت سؤال القاه مندوب رومانيا عن التعليم
الجامعي في العراق واجراءات الجمهورية العراقية لتوسيعه وتحسينه ، فأجاب
المندوب العراقي :

أن من حسن المصادفة أن يثار هذا السؤال في اليوم الذي يضع فيه
زعيم البلاد الاوحد الحجر الاساسي لجامعة بغداد التي تضم (١٢) كلية ،
وتتسع لـ ١٢٠٠٠ طالب وطالبة .

ووجه مندوب الاتحاد السوفيتي سؤالاً عن الاجراءات التي اتخذتها
الجمهورية العراقية في توفير التعليم للعدد المتزايد من الطلاب بعد الثورة .
فشرح المندوب العراقي خطوات الوزارة المختلفة في توفير المدرسين
والبنائات والكتب .

ثم سأل المندوب الافغاني عن التغييرات التي طرأت في المنهج بعد

الثورة . فأجابه المندوب العراقي بأن تغييرات كثيرة جدت في المناهج ،
ولاسيما في دروس العلوم الاجتماعية ، إذ أن الجمهورية سعت الى أن تقدم الى
طلبتها المعلومات الصحيحة الكاملة بروح علمي موضوعي لا يتجه لاية جهة .

وكان من المصادفات ايضاً ، ان تكون مناقشة تقرير الاتحاد السوفيتي
في اليوم نفسه . وقد تولى وزير المعارف السوفيتي تقديم تقرير بلاده
والاجابة عن الاسئلة التي توجه بشأنه . ولكنه ، قبل ان يبدأ شيئاً من
ذلك ، استأذن رئيس الجلسة ان يقول كلمة . . فكان مما قاله الوزير
السوفيتي : « ان في مثل هذا اليوم ، اي الرابع عشر من تموز
ولدت في العالم جمهوريتان : الاولى قديمة وهي الفرنسية ، والثانية
حديثة وهي الجمهورية العراقية . . » وقد حيا الجمهورية العراقية أجمل
تحية وتمنى لها النجاح والازدهار . ثم طلب الى الحاضرين مشاركته
في هذه التحية ، فصفق الحاضرون ووقف ممثلو الجمهوريتين يردون التحية .

وعادوا الى مناقشة التقرير ، وسأل الوفد العراقي عما يلاحظ من
ازدياد عناية الاتحاد السوفيتي بالتعليم المهني ، وعما اذا كان من الممكن
معرفة ما اذا كان ذلك لا يضر بالحياة الخلقية والعقلية ؟ فأجاب المندوب
السوفيتي : ان سؤال المندوب العراقي يسرني كثيراً ، لانه يهيب لي فرصة
مناسبة لأن أنبه الى ما علق في بعض الازهان من مفهوم خطأ لسياسة
التربية والتعليم في الاتحاد السوفيتي ، ذلك اننا نعني بكل جوانب الحضارة ، وبكل
مقومات الشخصية الكاملة ، فلا نبالغ في جهة على حساب الاخرى ، فكما
نعني بالتعليم المهني ، نعني بالنواحي الاخلاقية والفنية والادبية .

هذا ، ومن الاسئلة التي القاها الوفد العراقي ، السؤال الذي وجهه
الى سيادة وزير معارف المغرب عن نقابة المعلمين ، فأجاب انها قائمة ،
وانها تؤدي واجبها في رعاية شؤون المعلمين المادية وغير المادية .

ومنها سؤال وجهه الى مندوب اوكرانيا عما اذا كان التعليم المساوي والتعليم النهاري لديهم على مستوى واحد . فأجاب : مع ان ساعات الطالب المساوي اقل ، الا ان الامتحانات ادت الى نتائج متقاربة .
وبعد ايام ، لا تخلو من ملل ، ومن ضيق اقتصادي ، حل اليوم الاخير (٥٩/٧/١٥) ، فجرى التصويت على التوصيات التي اعدها المؤتمر فوشت وقرت .

واعقب ذلك كلمات الختام ، فأكثر المتكلمون وبالغوا واطالوا في الثناء على اليونسكو والمكتب الدولي للتربية وعلى المؤتمر والقائمين بشؤونه . اما الوفد العراقي فقد أبان دور التربية والتعليم في خلق التفاهم الدولي ونشر السلام في العالم ، وان التربية لا يمكن ان تنفصل عن شؤون الحياة الاخرى ، وان على المربين أن يقوموا بواجباتهم في سبيل احلال التفاهم الدولي لأن في ذلك ضمناً لنجاحهم في مهمتهم ، واقترح على المؤتمر ان يتقدم بنداء الى وزراء خارجية الدول الكبرى - بمناسبة اجتماعهم في جنيف - يدعوهم الى العمل الجدي في ازالة التوتر الدولي وايقاف التجارب النووية وسباق التسلح ، خدمة للإنسانية والسلام وصيانة للتقدم البشري في العلوم والآداب والفنون ، هذا التقدم الذي يجب ان يستثمر في خدمة البشرية والسير بها الى الامام .

وقد قوبل الاقتراح بالاستحسان . ومما يذكر أن أحد مندوبي بلجيكا دل على انه لم يفهم الاقتراح كما هو وعلى حقيقته ، وذلك اذ علق انه خير من اقتراح مندوب ايران ، ان نقدم الى وزراء الخارجية الكتاب الذي ضم توصيات مؤتمرنا منذ تأسيسه . فلم يجب الوفد العراقي لانه لم يرد ان يناقش رأياً صدر عن شخص لا يميز بين ايران والعراق حتى بعد الرابع عشر من تموز ، ولانه لا يريد أن يخرج بالأراء السليمة

الى المناقشات البيزنطية المفرضة .

وبعد ان انتهى المؤتمر بسلام ، يجدر بنا أن نستعد للمؤتمر المقبل
(والمؤتمرات المناظرة) لكي نتجنب الخطأ ، ولكي نبين للعالم الوجه
اللائق بجمهوريتنا . ويفتضى ذلك اموراً منها :

١- حفظ التقارير في مكتبة خاصة .

٢- ترجمة التوصيات التي صدرت عن المؤتمر .

٣- ترجمة وتلخيص تقارير الدول المشتركة بغية الوقوف على سير
التربية والتعليم في العالم ، والاستفادة من الصالح في تحقيق اصلاحاتنا
وسند ثورتنا في التعليم .

٤- الجد في مراسلة المكتب الدائم في جنيف .

٥- ان تواصل اللجنة الوطنية لليونسكو عملها .

٦- العناية مبكراً باعداد تقرير العام المقبل عن سير المعارف (١٩٥٩-

١٩٦٠) كأن تختار لجنة تهيئه مواد بحيث تجعله متصفاً بالشمول والدقة
ومشفوعاً بالاحصائيات اللازمة ، ومن ثم تعمل على طبعه طبعاً جيداً وارساله
الى جنيف قبل الموعد بمدة مناسبة .

٧- التهيؤ للموضوعين الآخرين والعمل على توفير موادهما حين
وصولهما ، ومن ثم طبع تقارير خاصة بها .

٨- تهيئة مجموعة من المنشورات والكراريس والمجلات والافلام . . .
التي تعرف العالم بالعراق وبما قطع من أشواط .

٩- تأسيس معرض دائم في مقر المكتب بجنيف ، يعرض الوانا من
التربية العراقية ونماذج من الكتب . . . وصوراً وخرائط وخطوطاً بيانية .

١٠- اختيار اعضاء الوفد مبكراً مع مراعاة الشروط اللازمة بحيث

يحسنوا تمثيل العراق بما يقتضي من علم ووطنية وتححرر .

١١- أن يسافر هذا الوفد قبل الموعد بمدة مناسبة تمكنه من الاطلاع على تقارير الدول الاخرى بما يسهل عليه مناقشتها مناقشة علمية .

١٢- أن تكون مخصصات الوفد بما يتناسب ومستوى المعيشة في جنيف لئلا تسبب له الضيق الاقتصادي الذي يعكر عليه مهمته . ولعله من الانسب للوفد ان يتسلم سلفته في جنيف بوساطة القنصلية العراقية .

١٣- يقيم عدد من الدول المشتركة دعوات خاصة تدعو اليها اعضاء المؤتمر . ولهذه الدعوات مغزاها في الدعاية العلمية للبلد وفي تهيئة فرص التعارف والمناقشة على صعيد يختلف عن صعيد قاعة قصر ولسون . لهذا . يحسن بالوفد الذي يمثل العراق ان يلبى هذه الدعوات ، ويحسن به ان تكون له من المخصصات ما يقيم مثلها .

١٤- ان يقدم اعضاء الوفد التقارير اللازمة الى وزارة المعارف بعد عودتهم وان تنشر هذه التقارير في مجلة المعلم الجديد او ملحقة بها .

(٧)

لقد تشرف اعضاء الوفد العراقي ان ينوبوا عن جمهوريتهم الفتية ، وان يبذلوا كل ما في وسعهم لخدمتها والظهور بالمظهر الذي يليق بها . ولا شك في ان ما انصفت به اسئلتهم واجاباتهم ومواقفهم من تححرر وقوة ورياسة انما هو انعكاس لسياسة جمهوريتهم المتحررة .

المعلم الجديد ج ٨ - ١٩٥٩

دعوة عامة الى نقد المناهج والكتب

كان طبيعيا أن يعاد النظر في المناهج والكتب بعد الرابع عشر من تموز ، وقد أعيد فعلا ، ويمكن القول ان المناهج - في جملتها - اقرب الى مقتضيات الناشئة وحاجات البلد ، وان حسن النية وحسن التوجيه وحسن التجربة متوفرة في جملة الوسائل والغايات .

ومع هذا ، انك حين تعيد النظر فيها الآن تأخذ عليها اشياء ، وليس هذا لان امكان المواخذة أمر طبيعي ، وانما لطابع الارتجال الذي وجد طريقه الى بعضها ، ولقلة الاخلاص الذي أبداه عدد من اعضاء اللجان التي الفت لهذا الغرض ، ولملابسات واختلاطات وطوارئ اخرى .

وضعت مفردات المناهج ، والفت اللجان لتأليف الكتب ، وكان وجود عضو ضعيف أو أكثر من عضو في لجنة المناهج أقل خطرا من وجود مثل هذا العضو أو الاعضاء في لجان تأليف الكتب . وتقول : كيف تسرب الضعفاء الى اللجان ؟ لقد تسربوا بأكثر من سبب ، ولكن الذي أود النص عليه أن عددا غير قليل منهم تسربوا بحسن نية . فلقد سأل « المسؤولون » عن يستطيع القيام بقسط من هذا العمل ، فبلغ اليهم اسم فلان وفلانة ، وكان الوقت يستدعي اصدار الامر بأسرع ما يمكن ، فصدر .

ويبدو أن الوزارة أرادت أن تفيد من أكبر عدد ممكن من المؤلفين وأن تكون من « الديمقراطية » بحيث لا يفوتها عنصر تعلم وجوده في

بغداد - ومن مأمته يؤتى الحذر ، فلقد كانت اكثر ديموقراطية مما يلزم .
فحشدت لتأليف كتاب يمكن أن يستقل به اثنان ، اكثر من ثلاثة أو
اربعة . وما كادت التجربة تقترب من التحقيق حتى روي انه من الصعب
جمع هذا العدد والتوفيق بين رغباتهم وأوقات فراغهم ، ثم رثي أن
هناك من العناصر الضعيفة ما لا يمكن أن تثق بعلمها وان تطمئن الى
عملها وتفكيرها وتصرفها ... واذن فما على العنصر « الاقوى » الا أن
يتولى العمل لنفسه ولغيره دون أن يحاول أن يجرح كبرياء زميله
أو زملائه المحترمين .

ومن العجيب ان يكون بين هؤلاء « الضعفاء » من لم يكن ضعيفا في
« النقد » والهجاء ، بل لم يكن ضعيفا في مادته ... وانما كان ضعيفا في
أساليب التأليف ، ومن الانصاف لهؤلاء أن نقول انه ليس كل من علم
الف . ومن الانصاف الآخرين ان نقول انه حتى العلم التأليف لا يكفي
ما لم تتوفر الرغبة والارادة .

ويعزى ضعف عدد آخر الى قلة اخلاصه في العمل كمن تعود أن
يعتمد اتعاب سواه وان يقطف جهد المجتهدين .

والمنتظر ، ان الذين يقصرون في عملهم اعتماداً على غيرهم هم الاكثر
نفوذاً في « اللجنة » ، وقد وقع هذا فعلاً حيث ظهرت بعض الكتب
وعليها اسماء طنانة . ويعرف اعضاء اللجنة مدى اسهام هذه الاسماء في الجهد
والتأليف . هذا هو المنتظر وقد وقع ، ولكن من الحقيقة ان نقرر أنه
لم يتكرر بكثرة ، بل الذي حدث أكثر هو العكس ، هو غير المنتظر ،
فلقد شامت وزارة المعارف ، جرياً على طريقة تربوية ، اشراك معلمي
الابتدائية والثانوية في التأليف المدرسي - والقاعدة صحيحة ، وقد أجدت
في بعض الاحيان - الا ان بين هؤلاء من لم يكن اهلاً لأن يصبح مؤلفاً .

ولا ادري كيف ارتضى هؤلاء لانفسهم هذه الصفة .

وواضح اني لا اتقد الطريقة ، فهي على حظ كبير من الصحة ، وانما أقرر حقيقة قد يعود سببها الى حسن الظن في الاختيار . ولا أشك في أن هناك - كما اثبتت تجارب متأخرة - عناصر نافعة جدا نسبت أو جهلت لدى تأليف اللجان . وان حصر التأليف ببغداد ادى الى التفريط بكفايات مبعثرة في انحاء العراق .

وما تجدر الاشارة اليه هنا ، اننا وجدنا بين معلمي الابتدائية والثانوية من كانوا اكثر جهلا بمستوى التلاميذ من اساتذة المعاهد العالية ، فلقد كان هؤلاء المعلمون يلجأون الى الطريق الاطول في العرض والاصعب في المادة والاكثر اضطرابا في التأليف . وصحيح أن بعض هذا يعزى الى جهل باصول التأليف ، وانكنا لا نحاسبهم على هذا ، وانما على العلم بتدريس مادة ما لصف سبق أن درسوه ودرسوه . اما « البعض » الآخر فيعزى الى شبيه من الشعور بالنقص ، كأن يريد المعلم الفلاني أن يظهر علمه أمام الاستاذ الفلاني ، وهكذا ، فهو لا يفكر بالتلميذ وبصف التلميذ عندما يحتطب المادة .

هذا ولم نتحدث عن الكسل والركض الى اقرب كتاب مدرسي يستلون منه الصفحات تلو الصفحات وعلى الآخرين أن يصاحوا لهم وللمؤلفين و « السفطائين » الذين سبقوهم واصبحوا أعلاماً بقدرة قدير . لقد فضحت التجارب « ضميرنا » ، وقد بدا أن عدداً غير قليل كان من غير ضمير . والا كيف تفسر - مثلا - قعود الشخص الذي يريد أن يصحح مؤلفاً عن اسط ما يناط به ، عن الحضور في المواعيد المتفق عليها لاجتماع لجنة التأليف مثلا ، لا يحضر ، ولا يعتذر عن الغياب ، وكان « المشرف » المسكين لا وجود له . وكاه المسؤول الاول ، وكاه هو

المنتفع الاول : نظرة سقيمة عانينا منها كثيراً . ثم يحضر - ان حضر - من دون أن يكلف نفسه احضار شيء . وتكون - لسوء حظه - انك أحضرت له شيئاً فتطلب اليه المعونة فيقبل العرض ثم لا يلبث ان يخون بتصميم أو ما يشبه التصميم .

وتنيط به عملاً آخر ، لا يستدعيه جهداً ذهنياً كبيراً ، ولكنه لا يكون في هذه المرة « أسعد » منه في المرة السابقة . . ترى لماذا ؟ لقد خرجت المسألة عن حدود العلم ، عن حدود العلم بالتأليف ، لقد دخلت في الضمير . . فاذا كان الاستاذ لا يريد أن يعمل ، فلم قبل الانخراط في سلك المؤلفين ؟ قد يكون اذكى من سواه ، والمسألة مسألة ضمير ، فلم لا يكون مؤلفاً ، ولم لا ينتفع من هنا ثم ينتفع من هناك . ولقد أفسدت « المحاضرات » ونظامها المعلمين والاساتذة ، فلقد استنفدت وقتهم وعلمهم وعملهم وضميرهم - اما من وسيلة اخرى يذلل بها المعلم مشكلاته المعاشية دون أن تستعبده وتجعل منه صيرفياً .

وظاهرة اخرى تميز بها آخرون من اعضاء اللجان ، وكان ماناها ما اشرنا اليه من حرص وزارة المعارف على التزام « الديمقراطية » والانتفاع بكل عنصر ، والابتعاد عن الحزبية . هذه حقيقة يجب أن تسجل ، وامام الانسان خارطة صحيحة بالعدد العديد من اسماء اعضاء اللجان التي الفت في كل مادة وكل منهج ، انهم على أوسع ما يمكن أن تكون عليها نظرة - ولم تكن وزارة المعارف يوماً ما على هذه السعة .

فماذا فعل هؤلاء ؟ كان فيهم الطيب « العنصر » فانسجم وعمل ، وكان فيهم آخرون قد يكونون طيبين العنصر ايضاً ، ولكنهم لم ينسجموا . ثم كان آخرون تلكأوا في الحضور ، وتلكأوا في العمل ، وكان آخرون لم يعملوا قط كأن شيئاً يخيفهم في الامر . ثم كان آخرون حالت « مؤامرة

الشواف « دون اسهامهم .

و« لمؤامرة الشواف » أثر آخر في تأريخ المناهج ، أو قل في تأخير التأليف . ذلك ان المناهج قد وضعت - على أي حال - في ضوء « الوحدة الثقافية » فلما وقعت المؤامرة شغل الناس بها حيناً ، ثم تردد اعضاء اللجان في السير جداً في عملهم فلقد تعطل العمل بالاتفاقية الثقافية ، وعلم أن مراحل الدراسة ستكون كما كانت : ابتدائية ومتوسطة واعدادية ، واذن فلن يكون صف ثالث ثانوي - مثلاً . وشاع كل هذا ، ولم تبلغ اللجان بقرار مما سبب تماهلها وتخوفها من السير في عمل لا تعرف نتيجة . واذا علمنا ان كثيراً من الاعضاء لم يصدقوا حين نسب اليهم العمل وانهم كانوا متخوفين منذ البداية ، عرفنا كيف كان التخوف الجديد مؤيداً ومسانداً لتخوف قديم .

واستمر التماهل ، ومضى وقت طويل ، ولم تبلغ اللجان بشيء ، ولم تسأل اللجان عن شيء ولم يتصل بهم بشكل واضح (١) . وكادت العطلة الصيفية تبدأ . وهنا شمر المسؤولون عن المناهج أن الوقت ضيق جداً ، وأرادوا أن يتلافوا النقص واسبابه مهما يكلف الامر ، ومعنى « مهما يكلف الامر » العجلة والانجازات السريعة ثم معناه أن يقع الجهد الاكثر في التأليف على عضو اللجنة الاكثر حرصاً وان يتركز على الاعضاء الاكثر تجاوباً ، أما الآخرون ، فلا بأس في ان يبقى اسمهم مع المؤلفين ، وأن ينقش على الكتاب وأن يتقاضوا ما يتقاضاه العاملون مالياً ومعنويًا . وهكذا كان ، فليكن .

(١) علمنا ان مديرية المناهج والكتب كانت تعقب الاعمال بانصالتها برؤساء اللجان مرة كل خمسة عشر يوماً لمعرفة المرحلة التي قطعوها ، وكانت اجاباتهم ان اللجان مستمرة .

وقد أنجز عدد من الكتب ، وقدمها المشرفون الى « المسؤولين » ، ومع أن المعقول يقتضي الاسراع في اتخاذ ما يلزم لاقرار ما يستحق الاقرار من الكتب المقدمة ، فان هذا المعقول لم يكن نافذاً ، ومن الكتب ما امتد به اللبث شهوراً . وهذا ما يجب أن نسجله ونحن نؤرخ لمناهجنا وكتبنا الجديدة . أجل ، لقد وقع تهاون من اعضاء اللجان ، وقد سجلناه ، فلم لا نسجل « الثاني » الزائد الذي اتصف به المسؤولون في النظر في الكتب والمناهج وفي الاتصال بالمقررين والمشرفين .

ويقدم الكتاب فتمر عليه احياناً مدة أطول مما يقتضيها الحال ، ثم ماذا ؟ تحال مسودة الكتاب - عادة - الى خبير يرى رأيه في صلاح الكتاب الاقرار ، ويبيدي ملاحظاته التي يمكن ان تعيد اللجنة النظر بكتابها بموجبها . وقد أبدت التجارب ان الاحالة الى خبير مفيدة ، وانها تحفظ الكتاب من مزائق واخطاء كثيرة ، بل انها قد تؤدي الى الغناء الكتاب ، وهذا الالغاء يجنب التلاميذ الزلل ووزارة المالية المال .

ولكن هل فكرت وزارة المعارف في تعويض اولئك المؤلفين الذين يمضون وقتاً ، ويبذلون جهداً في تأليف كتاب وكلت اليهم تأليفه واختارتهم بكتاب رسمي ؟ قد يقتنع المؤلفون بوجهة نظر الخبير في الرفض ، ولكنهم بذلوا جهداً ووقتاً ، وانهم يقولون : ونحن ما ذنبنا ، لقد اختارتنا وزارة المعارف فقمنا بقدر ما استطعنا . واذا عرفت وزارة المعارف حق هؤلاء المؤلفين ، فلم تعرف لهم وزارة المالية هذا الحق .

هذا الخبير الذي يبدي مطالعته على مسودة الكتاب قبل اقراره ، والذي تكون لمطالعته - اذا كان في مستوى الخبير - فوائد جمّة ، معنوية ومادية ... يبذل جهداً . وهو يستطيع أن يقوم بهذا العمل طواعية وعن

طيبة خاطر ، وقد قام عدد من الخبراء ، بمثل هذا . على هذا . ولكن كم يستطيع الخبير أن يكرر مثل هذه الخدمة ؟ يستطيع أن يكررها أكثر من مرة ، ولكن لماذا يكررها كل مرة . اذا كان عمله ينفع الوزارة ماليا ومعنويًا ، فلم يؤدي هذا العمل دون مكافأة .

ان هذه المكافأة تشجعه على العمل وعلى الاخلاص في العمل وعلى اختصار جهده في ميادين اخرى ليوفرها لهذا العمل . ثم انها تجعله مسؤولاً أمام الوزارة في مسألة الوقت - في الاقل . لقد عرفت وزارة المعارف هذه الحقيقة ، ولكن وزارة المالية لم تؤيد صحتها - وكان لها ما أرادت .

ويقرأ الخبير الكتاب ويقدم قائمة من الملاحظات تحال الى « المقرر » والى المؤلفين ، وما هو يوم أو يومان حتى يعود الكتاب ، ويقول المؤلفون انهم أخذوا برأي الخبير ثم يحال الكتاب الى مجلس المعارف دون أن يدقق في مدى ما أخذ من آراء الخبير ، ودون أن يعاد الى الخبير نفسه ليرى صحة دعوى المؤلفين . وكان الوزارة تقول في نفسها : وما هو حقنا على الخبير كي نشغله ثانية بالكتاب !

يحال الكتاب الى مجلس المعارف ، ومع ان الخطوة شكلية ، وشكلية جداً في بعض الاحيان ، ان من الكتب ما تستغرق مدة طويلة قبل أن تمر عليها يد المجلس ، وقد يجتمع مجلس وينفض دور . أن ينظر في الكتب المرفوعة اليه ، لان لديه ما هو أهم من الكتب المدرسية - والعطلة تكاد تنفق .

ويقر المجلس الكتاب ، ويعاد الى مديرية المناهج ، على هذه المديرية أن تنتظر تجمع اكبر عدد من مسودات الكتب المقررة لكي تفتح مطبعة

الحكومة بشأن طبعها ، ولا تتمكن المطبعة من النهوض بأعباء كل هذه الكتب أو بعضها ، واذن فلا بد من اعلان عن مناقصة ، وبحضر اصحاب المطابع الاهلية ، وتجري المناقصة ويتم الاتفاق ، ولكن امكانيات مطابعنا العراقية محدودة جداً ، ونحن امام سيل من الكتب .

وتعرض فكرة الطبع في قطر آخر ، وتكاد تقبل ثم تستبعد ، وتؤيد الايام صحة الاستبعاد ، ولكنها لا تؤيد صحة الاعتماد على المطابع العراقية كذلك . ان امكانيات المطابع محدودة ، والقوم - على أي حال - تجار ، ويعجب المرء - ولا يعجب - كيف ان وزارة المعارف لم تكن لها المطبعة العظيمة التي يمكن أن تنوء بالعبء الاكبر من هذه المسؤولية الجسيمة المتكررة كل عام .

وتبدأ المطابع الاهلية عملها ، ولكنها لا تنجز الكتاب قبل شهرين أو ثلاثة أو اربعة . . . والدراسة على الابواب ، فما العمل ؟ العمل بسيط ، أن يوزع الكتاب على هيئة ملازم على المدارس لتتسنى الاستفادة من الصفحات المنجزة من الكتاب في حينها .

هذا هو الاصل في فكرة الملازم ، وكان المعقول - من أجل تحقيق ذلك - انه ما تكاد تنتهي المطبعة من ملزمة أو ملزمتين حتى تكون « اللوريات » يبابها ، تحمل ثم تشعب في مختلف جهات البلاد ، وتقف يباب كل مدرسة لتسلمها حاجتها ومن ثم تعود لتحمل الملازم الجديدة ، وهكذا . . . وليست هذه بالفكرة الخيالية او الطوباوية ، لان الكتب يجب أن توزع ، وبأي طريقة ، والنتيجة واحدة .

هذا هو الاصل في الفكرة ، فكيف آل بها الامر ؟ أن تنجز المطبعة ثلاث ملازم وتخبر مديرية المناهج ، فتكتب مديرية المناهج الى مديرية التجهيزات ، وتكتب مديرية التجهيزات الى مخزن المعارف المركزي ومخزن

الرصافة ومخزن الكرخ ، ويبحث هؤلاء عن المتعهد ، والمتعهد يبحث ... وهكذا يكون أمر التربية والتعليم بيد المتعهد ، والمتعهد يشتغل بالذي يصرف له ، وهو ينظر المخصصات المرصودة ، وينتظر اكبر ربح شخصي في أقل ثمن ... واذا تذكرنا ما يمكن أن يأخذه من وقت كل خبير يصدر من دائرة لدائرة ومن موظف لموظف ... عرفنا كم تبقى هذه الملازم مطروحة في المطبعة ، تضايق صاحب المطبعة بما تشغل من مكان وما تعرقل من اعمال - وبعد لأي تنقل هذه الملازم الى المخازن ، وهناك تستجم غير قليل ، ثم يبدأ التوزيع كيفما اتفق . ولا أريد أن أشير الى خطوات تأخير اخرى لم اتوضحها جيداً ، ولم افهمها جيداً ، مثل مسألة التسعير ، ومسألة أن يكون الكتاب بما سبق ان ادرج في قائمة الكتب المقررة لهذا العام أو نسي الكاتب المختص ادراجه . . ومسألة نقل الملازم الى المدارس كيف يتم ، وكيف نخبر المدارس ، وكيف يراجع الكتاب . ومسألة دوام موظفي المخزن وكيف وتضبط ... ومسألة معرفة عدد النسخ التي يحتاجها كل لواء

حدث أن سألت أحد المسؤولين عن التوزيع ، فقال ان الوزارة مهمة كثيراً وقد اخبرني مدير التجهيزات انه قد تم كل شيء . ومعنى « تم كل شيء » = وزع كل شيء ، فحمدت الله وشكرته على نعمه وآلائه . وكتب لي أن أزور مخزن المعارف المركزي بعد هذا الخبر بأيام - في النصف الثاني من عطلة نصف السنة - فرأيت المخزن يفيض بالكتب ، ولا تكاد تعرف أوله من آخره ، ومن العجيب أنني رأيت ألوفاً (قد تكون سنة) من المطالعة الثانوية مع أن هذا الكتاب بما انجز طبعه كاملاً منذ الشهر الاول للسنة الدراسية ، ومع انه طبع على عدد طلبة الاعداديات . فعرفت

لم لم يصل الى كربلاء . وعرفت لم يشترك كل طالبين في الحلة
بنسخة واحدة . وعرفت ... وعرفت ...

لقد قصدت المخزن المركزي لتسلم خمس عشرة نسخة من الجزء
الاول من كتاب « الادب والنصوص » . فعمجت لانتشار ملازمه في شرق
المخزن وغربه . واذا كان جمع ملازم خمس عشرة نسخة استغرق اكثر
من ساعتين أسهم فيه اربعة اشخاص . فكم من الوقت يلزم لتوزيع
(١٠٠٠٠) نسخة من هذا الكتاب على اربعة عشر لواء ؟ في الجواب
نعلم سبب تأخر وصول هذا الكتاب وامثاله الى المدارس والمدرسين !

واذا كان هذا الكتاب بما أمكن طبعه . فلقد حالت حوائل دون اكمال
كتب كثيرة . لقد نفذ الورق وهذه الكتب ما تزال عند بدايتها أو
منتصفها ، لقد نفذ ورق مطبعة الحكومة وورق وزارة المعارف وحتى
ورق السوق ... أما كان بمن الممكن أن نحسب لهذه النفاذ غير المفاجيء
الحساب ؟ أما يمكن أن نتخذ منه عبرة تقينا الوقوع في امثاله في مستقبل
الايام .

ولئن صفح كثير من الناس بما فيهم المعلمون والتلاميذ واولياء
التلاميذ عما وقع من تلكؤ أو تأخر فلأنهم يقدرون الظروف والطوارئ ،
ولأنهم يريدون ان يتركوا أولى الشأن يعملون من دون تشويش ، لقد
سكنوا احتراماً ولئلا يبدوا وكأنهم الى جانب الباطل ولئلا يضم صوتهم
الى صوت اهل العهد البائد .

ان التجربة جديدة وضخمة ومحاطة بظروف غير اعتيادية ، فهي اذن
بحاجة الى هدوء ، والى أن تأخذ طريقها من دون تعكير .

هذه النية وهي حسنة ومنطقية في السنة الاولى من التجربة (في مناهج

العام الدراسي الحاضر) ، لن تستمر ولن تكون منطقية في العام المقبل .
سيقول الناس : لقد مضى دور التجربة ، وسيقولون لقد كانت الفرصة
كافية ، وسيقولون اشياء اخرى - نرجو ان لا توجد مجالات لاثارتها ..
ومديرية المناهج شاعرة بهذا وعالمة بعبء المسؤولية الملقاة على عاتقها
عام ١٩٦٠-١٩٦١ ، وهي تعمل جاهدة للاستفادة من اخطاء العام المنصرم ،
وتجد لان تخطو خطوة أكيدة الى الامام .

أقول تخطو ، واقصد خطوة ثانية ، لان الخطوة الاولى - على ما فيها
وعلى ما يؤخذ عليها - خطوة خطيرة ومهمة أنجزت عدداً ضخماً من
الكتب ، وبين هذه الكتب ما يمكن أن تفخر به معارف العراق ،
وما يمكن أن يضاهي بل يفوق امثاله من كتب الاقطار التي قطعت
اشواطاً في التأليف والطبع والنشر . وليس هذا القول بما يرسل اعتباراً
فلقد رأينا تلك الكتب وعانينا قصرها ، وعرفنا أي ارتجال فيها وأي
اقلية ، وعرفنا أهمية « التعريق » وضرورته .

ولكي تنجح مديرية المناهج في خطواتها الثانية الفت لجانا جديدة ،
لوضع مناهج دائمة ، وقد عمل كثير من هذه اللجان باخلاص في مناقشة
منهج العام الدراسي الحاضر فحذفت وأضافت ما تجدر اضافته . ولن
تكون هذه المناهج دائمية بمعنى الكلمة ، لان الخلود في المناهج غير
صحيح ، انما الصحيح هو النمو والتهذيب والتشذيب والتجديد .. حسب
تطورات البلد وحسب الضرورات التي تجدد في كل يوم وحسب الخبرات
التي تتوالى .

الا ان الكتب الجديدة والمناهج الجديدة مشروع ضخم في عالم التربية
والتدريس ، ولا يعقل أن تنوء به مديرية بعينها ، ولا يمكن ان ينوء

به اشخاص معينون نسميهم مرة المؤلفين ومرة الخبراء . لا ، ان العمل
اضخم من ذلك ، انه المبلد ، واذن فما اجدر أن يكون البلد كله مسؤولاً
عنه في خيره وفي شره ... اي نعم ، يسأل عنه المعلمون ، ويسأل عنه
المفتشون ، ويسأل عنه التلاميذ واولياء التلاميذ . . . ويمكن أن يلقي
هؤلاء عن عاتقهم جانباً من المسؤولية بنقدهم المناهج والكتب نقداً نزيهاً
مخلصاً بناء لا يبغي الا صالح الاجيال ولا يخضع لأي حقد او هوى او
دس ، فان لديهم من التجارب والخبرات ما لا يتهاونون به ، وان كل
انسان يرى عند تطبيق مادة ما ودرس ما ونظرية ما ... من الاشياء ما
يمكن أن يتفجع به سواء مما يصلح خطأ او يقوم عوجاً ويؤيد منهجاً .

لقد ارسل غير قليل من المؤلفين دعوة صريحة مخرصة الى نقد كتبهم
والى بيان ما فيها من مساويء والى النص على ما لم يفهمه التلاميذ والى
الاخبار عما يمكن أن يعلو على المستوى كثيراً ، وعما لا يمكن أن
يكون مجدياً ، وعما لم يعرض بأسلوب سهل مشوق . . . لقد وضع هؤلاء
المؤلفون في المعلمين ثقة هم أهلها ، ولكن الذي حدث انهم لم يتلقوا
اجابات عن نداءاتهم ، وانهم لم يتلقوا النقد البناء . ولم يعلموا مدى
قيمة تجربتهم في التأليف . ومعلوم ان المؤلفين ليسوا كل شيء في الكتاب .
وان الذي يسرهم كثيراً أن يروا الاستجابات وردود الفعل . وذلك
انهم لا يؤلفون لمجرد التأليف . انما هم يؤلفون قصد الخدمة والافادة .
بل انهم لا يؤلفون لانفسهم لينشروا آراء خاصة بهم وليذيعوا تجارب
شخصية . وانما هم مكلفون ، وهم يسرون بمقتضى منهج ومن أجل بلد .
ولا يتحقق هذا ما لم يكتب المعلمون . وما لم يكتب المفتشون . . .
والتلاميذ . . . واولياء التلاميذ . . . وكل من يشعر انه مسؤول .

لقد صدرت الكتب . وصدرت المناهج ، ولكن كم هم الذين

تقدوا . كم هم الذين ارسلوا بمقترحاتهم . وابلغوا ملاحظاتهم . . كم ؟
لم يرد نقد يستحق الذكر ، وسؤال يستحق التوبه . ويبدو أن
المعلم يفهم ان دوره دور الجندي المجهول في ساحة القتال : يؤمر فيطيع
وبين المعلم والجندي فروق كثيرة جدا . ان المعلم يجب ان يناقش يجب
أن ينه الى الصواب . وان يفضح الخطأ . يجب أن يقول : ان هذا
الكتاب ثقيل في الموضوع الفلاني ، وان هذا الموضوع ميت ، وهذه
الطريقة عليلة . . كان بين المكتب المقررة الجديدة ما لا يقل سوءاً عن
سابقه ، ومع هذا ، فقد علمه المعلمون وكان امرأ لم يقع ، وكان جديراً
بهم أن ينهوا المسؤولين لئلا تتكرر الغلطة ويتحمل الجيل جريرتها .

صحيح أن من الساكتين من سكت للسبب الذي مر ذكره ، ولكن
الساكتين الآخرين - واخشى أن يكونوا كثيرين - سكتوا لانهم اعتادوا
أن يسكتوا ، ولانهم اعتادوا أن يصدعوا بما يؤمرون . فلقد كان العهد
البائد يطرب للسكوت بل يعمل جهده على اسكات الاصوات . وقد رأينا
انواعاً من المناهج تقرر وتدرس على عيوبها وعلى مرارتها . . دون أن
ينبس أحد بينت شفة . واذا كان العهد البائد يدعو الى ذلك ويشتره
بالدنائير ويوطده بالقوة فمن العيب أن يستمر مفعول العهد البائد فتبفى
تركانه نافذة المفعول حتى بعد انقضائه وحتى في ميدان الفكر والمعرفة .
انا اذا أردنا أن تنهض - فلا بد لنا من النقد - ومن تقبل النقد ومن
الاحذ بالنقد النزيه العلمي .

أعلم أن عدداً من المعلمين يعلق وبلا حظ على هذا الكتاب أو ذلك
اذا ما خلا في مجلس واذا ضمه مقهى ، ولكن ما قيمة هذه التعليقات
والملاحظات اذا لم تصل الى المسؤولين ليغيروا بموجبها ويعملوا بمقتضاها .
ولا يمكن ان يعد من هذه الملاحظات النافعة ، اللفظ واللغو الفارغ

الذي لا يقصد من ورائه صاحبه الى فائدة ولم يعتمد فيه على منطق
أو تجربة .

لئن كان المؤلفون والخبراء مسؤولين عن الطبعة الاولى للكتاب ، انهم
لن يكونوا مسؤولين عن الطبعة الثانية والطبعات التي تلي هذه الطبعة .
ان المسؤولية - بعد الطبعة الاولى - تقع اولاً وقبل كل انسان على
المعلمين والمفتشين والتلاميذ واولياء التلاميذ . لان المؤلفين بذلوا وسعهم ،
وقدموا كل ما يعلمون بالطريقة التي يعلمونها - وانتهى امرهم - فاذا مر
كتابهم من غير نقد ومن دون ملاحظات وتنبهات أيقنوا أنهم على صواب
وأن سكوت من يعينهم الامر من الرضى . وهكذا يتكرر الخطأ وتحمل
الاجيال تبعه هذا التهاون .

نرجو من معلمينا ومفتشينا ... أن يكونوا أكثر حرصاً واطلاقاً ،
وأكثر اقداماً وجرأة ، ولم تعد المسألة مسألة جرأة واقدام ، لقد كان
النقد في العهد المباد ضرباً من البطولة ، اما الان ، فطريقه ممدد ،
و« المعارف » ترحب به وتدعو اليه وترعاه وتأخذه بعين الاعتباره عند اعادة
النظر في المنهج وفي طبع الكتاب . بل انها لمستعدة لان تلغي الكتاب
وتقرر غيره اذا ما تأيد لديها صحة النقد ووجاهته . ولا أدل على ترحيب
وزارة المعارف بالنقد من تعميمها على مديريات معارف الالوية تدعو
المعلمين (والمعلمات) لان يوافقوا بملاحظاتهم عندما وضعوا المناهج والكتب
موضوع التجربة والتطبيق . ولكن ، كم هم الذين أجابوا عن التعميم ؟
لم يجب أحد . وصحيح أن عدداً غير قليل من التعميمات لا تعمم في هذا
اللواء أو ذاك ، ولكن ليس من المعقول أن يكون هذا التعميم قد
« نام » في كل الالوية .

وبعد :

فيا ايها المعلمون والمعلمات . . ويا كل من شعر أنه مسؤول عن
التربية والتعليم في هذا البلد . . دونكم الكنب والمناهج ، انقدوها نقداً
بناء - ان أردتم مناهج أحسن وكتبا أفضل .

وهذه مجلة « المعلم الجديد » - وهي مجلتكم - أرسلوا اليها كل ما
يخطر بكم وفكركم ؛ ويتصل بعلمكم وتجربتكم . لانها تريد أن تؤدي
واجبها كما يجب ؛ وتريد أن تكون سجلا للتربية والتعليم في العراق .

المعلم الجديد - آذار ١٩٦٠

س — . . . ؟

ج —

تلقي السؤال فيلقفه الطلبة فيجيبون قبل سماعه وتفهمه والتبصر في أمره . ونكفي كلمة صغيرة منه لتسويد صفحات طويلة يتخذها صاحبها ذريعة للتبجح واللاطمئنان . والاساتذة يشيرون وإذا قرأوا فهم لا يقرؤون ، والا ، كان الأولى بهم أن يتنبهوا الى هذا الخاط العجيب الذي حشر بين دفتي الدفتر على غير مجانسة وعلى غير ذوق . السؤال شيء والجواب شيء آخر ، ليكن السؤال صعبا ، وليكن جديداً ، وليكن ما يكون ، فليس في ذلك ما يضير الطالب أو ما يحمله على تغير موقفه . ولم ؟ ومهما صعب الاساتذة أسئلتهم ، ومهما جددوها فهم لا يطلبون الا شيئاً واحداً هو الجواب ، أي جواب ! ولا بد لهذه الصفحات الطوال من أن تعني الاجتهاد والجد والسهر على الحفظ . وهل يراد من تلميذ أكثر من الحفظ ؟ وقد حفظ . فلينجح ، وحفظ كثيراً جداً . فليكن الاول . وله بعد ذلك تطييل وتزمير . وان يضره قول بعضهم : دراخ ، وليدرخوا ان استطاعوا . دراخ ! يا للسخف ! أيعاب كل من حفظ درسه حرفياً ! انه الحسد ولا شك . والا ، فأين ذكاؤهم ؟ ولم لم يهدم سبل النجاح ! أليس الذكاء - في ايسر تعريفاته : المقدرة على النجاح - وقد نجحنا والله ألف حمد . أعاب لاني ذكرت كل ما أملاه علينا أستاذنا الفاضل دون تشويه ؟ وكيف يكون احترام الاساتذة الفاضلين ان لم يكن برواية بحوثهم وآرائهم بأمانة .

أجل هي أمانة ، والاستاذ يقرأ - فيرى بحوثه وآراءه سليمة لم يمسه سوء
فيطمئن الى انه أدى رسالته في الحياة وضمن وجوده في الاجيال المقبلة ،
وكلما مر بصفحة من انشائه يعيدها الطلبة الواحد تلو الآخر بحصها وفصها
ونصها تنتفخ أوداجه - لله دري ، ودر هؤلاء النجباء . ما أكثر أمانتهم !!
انهم نسخ مني !

ثم انها طريقة معقولة ، سهلة ، تبلغك مرادك من أقصر الطرق ،
أو ليس الامتحان كسفا لما وعاه الطلبة واستوعبوه ؟ أجل ، وهذه الدفاتر
خير شاهد على ما اقول . وما علي الا أن « أورها » - ان أردت - حتى
أفهم - وأنا اركض - ان طلبتي يجتهدون ، دون أن اضطر الى القراءة
المتفحصة الدقيقة التي يضيع فيها كثير من الوقت هدرأ . أجل هدرأ !
والا فقد يأتي الطالب برأي جديد ، على أن أناقشه . وقد يروي خبرأ
عن كتاب لم أقرأ ، على أن أراجعه . وقد يناقش في أمر ويبدو متفوقأ
فيزعجني . لا . ان طريقي لمستقيم .

ولان الغاية من الامتحان واضحة المعالم ، يلجأ الاستاذ الى طريق
أقصر من ذلك وأنفع ، كأن يعلي على الطلبة عدداً من الاسئلة عن
المادة المدروسة ، ويخبرهم سلفاً أن ستأتي خمسة من هذه التي كتبوها ،
وسيختارون للاجابة ثلاثة من خمسة - وانت أعلم بعد ذلك في تصرف
الطلبة ازاء هذه الاخبار السارة : يتركون كل ما لا علاقة له بالاسئلة
المنزلة ، ثم يتركون قسماً آخر يتصل بالسؤالين الشهيدين ، ثم يعبدون
ويصقلون فيما سيكون حتما موضوع الامتحان ، حتى اذا دق الجرس
افرغوها على الورق على غير مجانسه وعلى غير ذوق ، وخرجوا يضحكون
فقد هياوا لانفسهم الدرجات العليا والمستقبل الزاهر - تهانينا . وليعش
الدرخ ! ولتعش البلادة ! وليولد الغرور الزائف !

هكذا يصبح الامتحان الغاية الاولى والاخيرة ، ويمضي الناس أعمارهم في المدارس من أجل الامتحان ، ولا يتقيدون الا بقيود باطلة .

هذا هو السائد الغالب في اوضاعنا - وهو مؤسف كما رأيت . ولو وقفت المسألة عند الأسي والاسف للبسنا السواد والحداد وانتهى الامر وقد كل شيء في مكانه ، ولكنها أخطر من ذلك واطغر مما تتصور . وقد رأيت اننا جعلنا الامتحان غاية قصوى وفي ذلك أذى للمعرفة واذى للمقاييس ، وقد بات الناس يحكمون على « عظمة » فلان بمقدار ما يربح من درجات ، وهم غير ملومين . لان هذا هو شأن الحياة في السوق ، أليست مهمة السوقي أن يربح اكبر عدد ممكن من الدراهم - ولا تهم بعد ذلك الوسيلة . اي والله . ان اسالينا في الامتحان لا تختلف كثيراً عن اسالينا في العيش : هي منها وعنهما واليها ، في وقت كان المفروض فيه أن تقود المدرسة المجتمع اليها .

ولو وقف خطر الطريقة القائمة عند الدرر وحده ، لكان الامر ايضاً ... لان المرء انما يدرر - عادة - مادة مبنوية منظمة ، وهو يسكبها اذا ما سئل عنها . ولكن الاخطر ، انك تسكب هذه المادة - التي لانملك سواها ولا تدري كيف تتصرف بها - في غير مناسبة ، فبينما يعنى السؤال أمراً ، اذ بك تجيب عنه بأمر آخر ، هو كل ما تملك وكل ما تستطيع ثم تنجح ويتصور الآخرون ان هذه هي الطريقة الصحيحة الطبيعية المعقولة في معالجة الامور . وهل هناك ما هو اولى من الدرجات ؟ وقد نهأت على أحسن ما يرام . وهكذا تعمل الطريقة السخيفة - كما هو طبيعي - على اشاعة السخف واذاعة اللامنطقية في التفكير ، وليست هناك مقدمات وليست هناك نتائج . انما هي حنفية تفتح في كل وقت لينساب عنها ماء واحد لا يتغير : بارد في الشتاء كما هو بارد في الصيف . وهكذا تسهم

المدرسة ثانية في تدعيم المفاهيم الغلط ومساندة المجتمع المتأخر ، ويخرج الطالب الى الحياة الرخيصة وقد جهز بسلاح اللامنطقية في التفكير . وهل تحتاج السوق الى المنطق المتزن ؟ لا ، طبعاً ، لا : هي بضاعة واحدة يبيعها مرة بدينار ومرة بعشرة دنانير ، وطورا على انها حرير وطورا على انها صوف ، وتارة هي من صنع الوطن الغالي وتارة هي شغل الجرمن . أوليست التريه حياة ! ؟

وانما كان الدراخون دراخين لسيين : الاول في الاستاذ وقد رأينا جمود عقله وجمود مفاهيمه ، والثاني في التلاميذ ، أو في عدد غير قليل من التلاميذ . ذلك أن الدراخ الاصل هو المرء الذي لا اصالة له ، واذن فهو لا يفقد شيئاً عندما يعيد الى استاذه بضاعته كما هي دون أن يتصرف بها تصرفاً يفتح لذاته منفذاً اليها ويهيبه طابعاً عليها . ولا تكاد تتعدى جنابة المدرسة في هذه الحالة تهيئة فرص ينجح بها ضمايف الشخصية وينفوقون . أما الخسارة الكبرى فهي في ميدان آخر ، ان تلزم المدرسة بالدراخ واللامنطق ، اولئك الذين ينتظر منهم - لو وجهوا - أن يكونوا ذوي شيء من اصالة ، وذوي شيء من ابداع . والخسارة أكبر ، في فرضها قيود الدراخ واللامنطقية على الاذكياء والمفكرين والاشخاص - القلائل - ممن وهبوا حظاً كبيراً من الشخصية ، وحظاً كبيراً من الموهبة . انها تحتم عليهم أن يدرخوا ، وأن يضيعوا شخصياتهم ثم أن ينافقوا و ... و ... والذي يستجيب منهم قليل ، وترى هذا القليل ساخراً من نفسه واجابته ، ساخراً من درسه واستاذه ، ساخراً من مديره ومدرسته ولكن ما العمل ولا بد لي من أن أنجح ، وانا لله وانا اليه راجعون . أما الذين لا يستجيبون ممن يتمردون على القيود والسدود فيزهدون بالمدرسة وتكثر غياباتهم ، ويزهدون بالمعرفة ويشتد تدمرهم ، وقد تمر السنة دون ان

يحضروا الا قليلا ، ويدخلون الامتحان معتمدين شخصياتهم التي أعدوها للملزمات ، وتأتي الاسئلة فاذا هي عناوين لفصول أملاها الاستاذ الفاضل من قبل ، والويل لكل الويل للطالب الذكي ، لبس السؤال صعباً عليهم ، فقد سبق أن قرأوا عنه هنا وهناك ، وناقشوا فيه هذا وذاك وان كان ما جدوى ذلك واستاذهم يبحث عن شيء واحد ذي وجه واحد . يؤكد له وجوده ويضمن له بقاءه بعد موته .

هذا هو الوضع السائد الغالب على دراساتنا الادبية والاجتماعية في مختلف مراحل الدراسة ، وقد أصبح الجادة المألوفة والخطوة المعروفة ، وقد توطدت أركانها وقامت صروحها . وبات من الصعب تغييره ، وان الذي يعمل على التغيير يكاد يلاقي ما يلاقه المصلحون من عنق وأذى ويبدو وكأنه يحارب حقاً ، ويظهر كمن أنى بدعة .

أمن البدع أن تصوغ أسئلتك بشكل يختلف قليلا - أو وكثيراً - عن العنوانات القائمة في الكتب المقررة ! انك تتعب في صوغها وتجتهد في اختيارها بحيث تطالع على الطالب لتمنح فيه شخصيته ومقدرته على التفكير المنظم ثم المادة العلمية التي هي الاساس وتحصيل الحاصل . وتحاول في أسئلتك أن تكون واسعاً وألا تكون انت وهي على وتيرة واحدة مما يمكن أن يستبقه الطلبة وما يستطيع أن ينجح فيه ضعاف الشخصية أو المنطق . أمن البدع أن تسمح لطلبتك أن يتصرفوا في الاجابة قليلا - أو كثيرا ، على قدر ما يقتضيه السؤال الجديد ، وعلى قدر ما تحتمله شخصياتهم في الاعراب عن نفسها حسب خطة متماسكة ، وعلى قدر ما تتمكن عقولهم من الابانة عن أفكارهم من دون تهور .

نعم ، على الطالب أن يصغي لاستاذه وعليه أن يتفهم آراءه ، ولكن من حقه أن يضيف ومن حقه أن يناقش ، ولا تعني التلمذة العبودية

ابدا ، ورب طالب قرأ مصدراً لم يتهاى لاستاذة ، ورب طالب لمح أمراً خفي على استاذة . اذن ، من الواجب أن يضيف ويناقش كي تكون النظرة أوسع والحقيقة أقرب ، وكل ما يطلب من التلميذ في هذه الحال ، الادب والابتعاد عن الغرور وأن يتذكر أنه ، على كل حال ، في أول المرحلة وان لاستاذة من سبق الزمني - في الاقل - ما يجعله قريباً من الموضوع وجديراً بالاحترام .

اذن ، يصوغ الاستاذ السؤال صياغة بارعة ، تثير في تلميذه التفكير الشخصي وتحفزه على استثمار مكوناته . وعلى الطالب أن يخرج من قوقعته فيمسك بالقلم ، ويرسم الخطة الاولى للجابة ثم يسير في العرض والمناقشة والتعليق حسب مقتضيات السؤال . وتجمع الدفاتر . ويبدأ دور الاستاذ ، وعليه أن يقرأ ويدقق ويبحث عن الاصاله أولاً ، أما المادة الاصلية فهي من باب تحصيل الحاصل وهي أضعف الايمان . واذا كان تلاميذ الصف ثلاثين ، فانه سيجد - أو يجب أن يجد - ثلاثين اجابة ، لكل منها طابعها الذي يعكس طابع صاحبها وشخصيته في القول والعمل والحياة ، وبهذه الفروق الثلاثين تكمن المتعة في التصليح ، لان الاستاذ سيكون ازاء مناظر تتجدد من دون أن تسبب الملل الذي تسببه المناظر الراكدة والمياه الآسنة . واذا كان له أن يفخر بمقدار ما يبعث في طلابه من روح المناقشة ، وبمقدار ما يثير في نفوسهم من عوامل الاستفادة من المطالعات الخاصة والتتبعات الفردية والتجارب اليومية . وهو اذ يصحح ، قد يسمع من الآراء ما لا يحتمل أن يتفق وآراءه ، فعليه والحالة هذه ، ان يتمالك أعصابه ، لان الامر طبيعي ، وليس التلميذ استاذاً ، وهو الذي فتح الباب لغاية أبعد ، اذن ، لا يشتط في المحاسبة على طبيعة الرأي قدير ما يحاسبه على الخطوات المنطقية التي سار عليها في توضيح الرأي ودعمه .

ومن الطبيعي جداً ألا تكون الاجابة قائمة على مادة الاستاذ وحده ، واذن
فليرحب بهذا ولا يطلب أكثر من الاشارة الى المصدر ومن سلامة هذا
المصدر وسلامة ذكره .

ولابد من شيء آخر في هذا الضرب من الاجابة ، لابد من جمال
العرض وسلامة اللغة واشراق العبارة ، لابد من أن تسرك بالشكل كما
تسرك بالمضمون ، ولأن الطالب قد تصرف في الاجابة فليس من حقه أن
تبحث عن نفسك فيها لانها أصبحت شيئاً آخر ، هو التلميذ نفسه ، هذا
عما يجب أن يسرك وبرضيك ، لان الاستاذ الناجح هو الذي يعين طلبته
على أن يجدوا أنفسهم .

ثم اعلم - حفظك الله - انك انما تعد طلبتك لدنيا هي أوسع من
دنيا الامتحانات والدرجات ، انك تعدهم للحياة العامة - وهي واسعة كما
تدري - وليس من المعقول أن تكون المشكلات التي سيجابها « ابنك »
فيها هي المشكلات التي لاها في الصف . وليس من المعقول أن تكون
الصفحات التي أمليتها عليه مفتاحاً لكل أفعال الحياة : يجيب بها عن كل
سؤال ، ويحل بها كل معضلة . لا . انك ، ان أردت أن تعده للحياة
فزوده بالطريقة أكثر مما تزوده بالمادة المحدودة . أعده لان يكون شيئاً
قائماً على ما لنفسه من مؤهلات وقابليات وأولاع ، وسيصل وجودك في
هذه الحالة بما شجعت من قابليات ، واخالك تقرني على أن ثناء الاذكياء
أفضل من ثناء ضعاف الشخصية .

وبرسب ، بنتيجة الحساب ، أحد اثنين لا خير فيهما : ضعيف لا
يملك من القوة ما ينهض به ، وليس له من النور ما يعينه على السير في الظلام ؛
وذكي يستغني الأخرين ، بحسب الدنيا حيلة وسفسطة ذهنية فيعمل -

كشيطان بليد ليوهمك أنه المعني مجد دون أن يكون له نصيب من ذلك ،
فاياك واياه - وقد أعذر من أنذر . ولطيف أن يرسب هذان ، لانهما
لا ينفعان العلم ولا ينتفعان به ، ولا يضرهما الرسوب كثيراً لانه يعرفهما
حقيقتهما أولاً ويعتقنهما على التفكير فيما يصلحان له ويصلح لهما ثانياً .

هذا ان كنا جادين !

المعلم الجديد - ايلول ١٩٥٧

يبدو ان سلطان الدوخ قائم في غير العراق ايضاً . وهو في سوريا « بضم . وفي مصر « صم »
والطلبة فيها تصم الكتاب « من المجلدة للمجلدة » .

الفهرست



(١) خطرات في النقد الأدبي ٥٩—٧

النقد سهل	١٠—٧
الف شرط وشرط	١٨—١١
اريد ان اكون قصاصا	٢١—١٩
انا ناقد مسرحي	٢٦—٢٢
في الاسلوب .	٣٢—٢٧
في القصة	٥٩—٣٣

(٢) شعر حديث ومعاصر ٩٧—٦٠

اللوحة في الشوقيات	٧٥—٦١
البركان	٨٣—٧٦
كانت لنا ايام	٨٧—٨٤
وانت تقرأ هواجس نفس	٩٢—٨٩
قصائد من القلب	٩٧—٩٣

(٣) تعريف بكتب . . ١٤٤—٩٩

محاضرات في النقد الأدبي	١٠٨—١٠١
الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي	١١٥—١٠٩
تكملة اكمال الاكمال	١٢٨—١١٦
الشعر في بغداد	١٣٣—١٢٩
اخبار البحري	١٣٦—١٣٤
شعر صفى الدين الحلبي	١٣٩—١٣٧
الايام المضئية	١٤٤—١٤٠

(٤) شعر من العصر السلجوقي ١٨٤—١٤٥

- ١٤٧—١٥٠ صدر
١٥١—١٥٥ الباخريزي
١٥٦—١٥٩ الايوردي
١٦٠—١٦٥ ابن الشبل
١٦٦—١٧٣ سيرة مؤيد الدين الطغراني
١٧٤—١٨٤ اغراضه وموضوعاته (عن مجلة الاستاذ)

(٥) جامعة باريس ٢١٧—١٨٥

- ١٨٧—١٩٣ جامعة باريس
١٩٤—١٩٦ عن جامعة باريس
١٩٧—٢٠٣ الدخول الى دار المعلمين العالية
٢٠٤—٢٠٩ مرحلة الليسانس
٢١٠—٢١٧ مرحلة الدبلوم والتبريز

(٦) في التربية والتدريس ٢٨٢—٢١٩

- ٢٢١—٢٢٤ اهل المواهب
٢٢٥—٢٣١ جرائمنا في تدريس عربيتنا
٢٣٢—٢٤٠ تاريخ الأدب في مدارسنا
٢٤١—٢٤٥ كلمة في منهج اللغة العربية
٢٤٦—٢٤٨ المحفوظات ام الانشاد
٢٤٩—٢٥٩ العراق في المؤتمر الدولي للتربية والتعليم
٢٦٠—٢٧٤ دعوة عامة الى نقد المناهج والكتب
٢٧٥—٢٨٢ س . . . ؟ ج .

للمؤلف

المطبوع

- * الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي ج ١ ، بغداد ، مطبعة المعارف ، ١٩٥٨ .
- * الشعر العربي في العراق « « « ج ٢ ، بغداد ، مطبعة العاني ١٩٦١
- * الابن وسبع قصص اخرى (مختارة ومترجمة عن الفرنسية) ، بغداد ، مطبعة اتحاد الأدباء المراقبين ، ١٩٦١
- * لامية الطغراني . بغداد ، مطبعة العاني ، ١٩٦٢

تحت الطبع

الطغراني - حياته ، شعره ، لاميته ، بغداد ، منشورات مكتبة النهضة ، دار التضامن للطباعة والنشر

معد للطبع

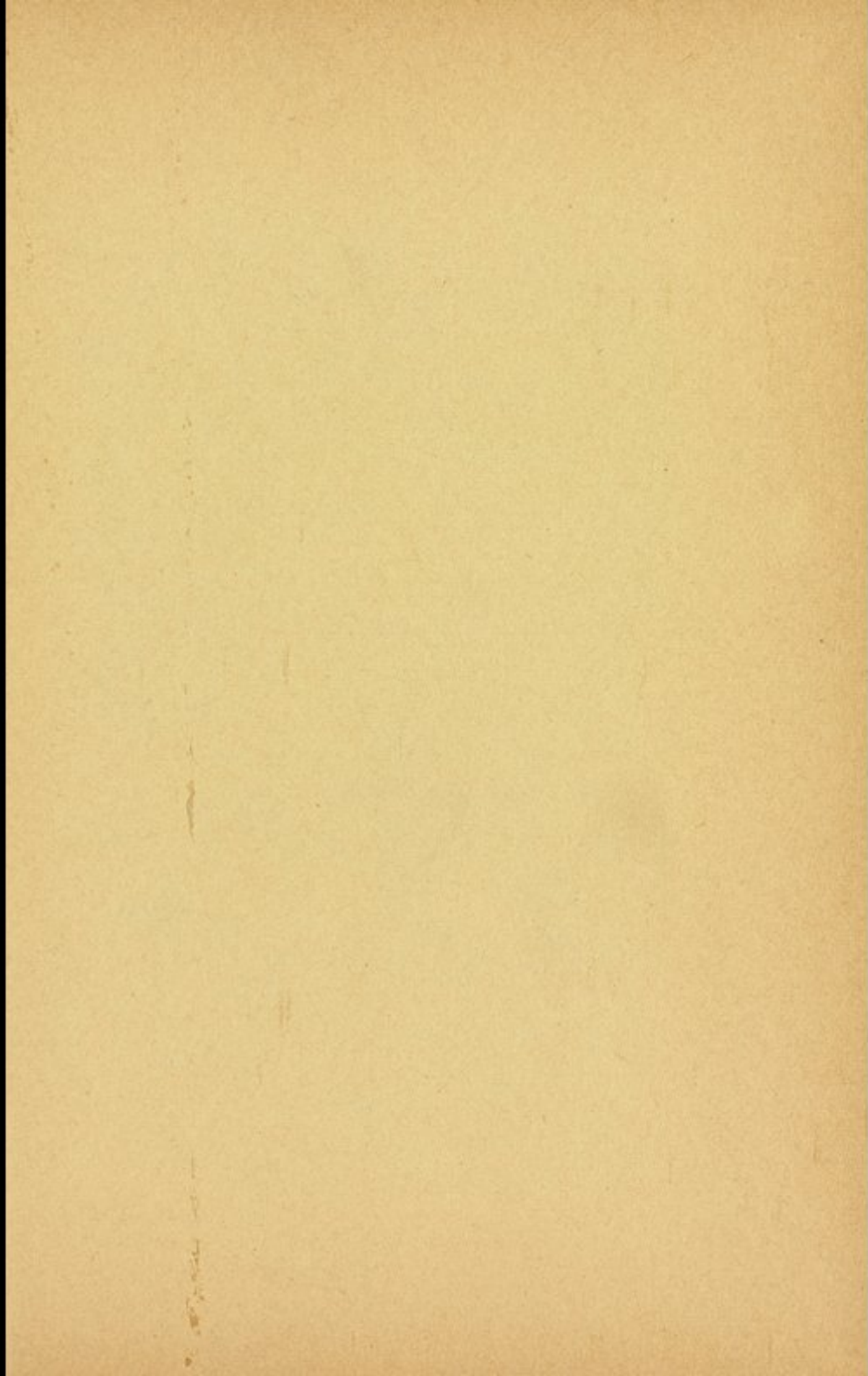
- * نقد وملاحظات - وهو نقد على اهم المجاميع القصصية التي صدرت في العراق بعد تموز ١٩٥٨ ، وموضوعات اخرى في نقد الشعر ، والصحافة ، و « تاريخ الأدب في العراق » ...
- * محمود احمد السيد - الكاتب التجديدي ورائد القصة الحديثة في العراق

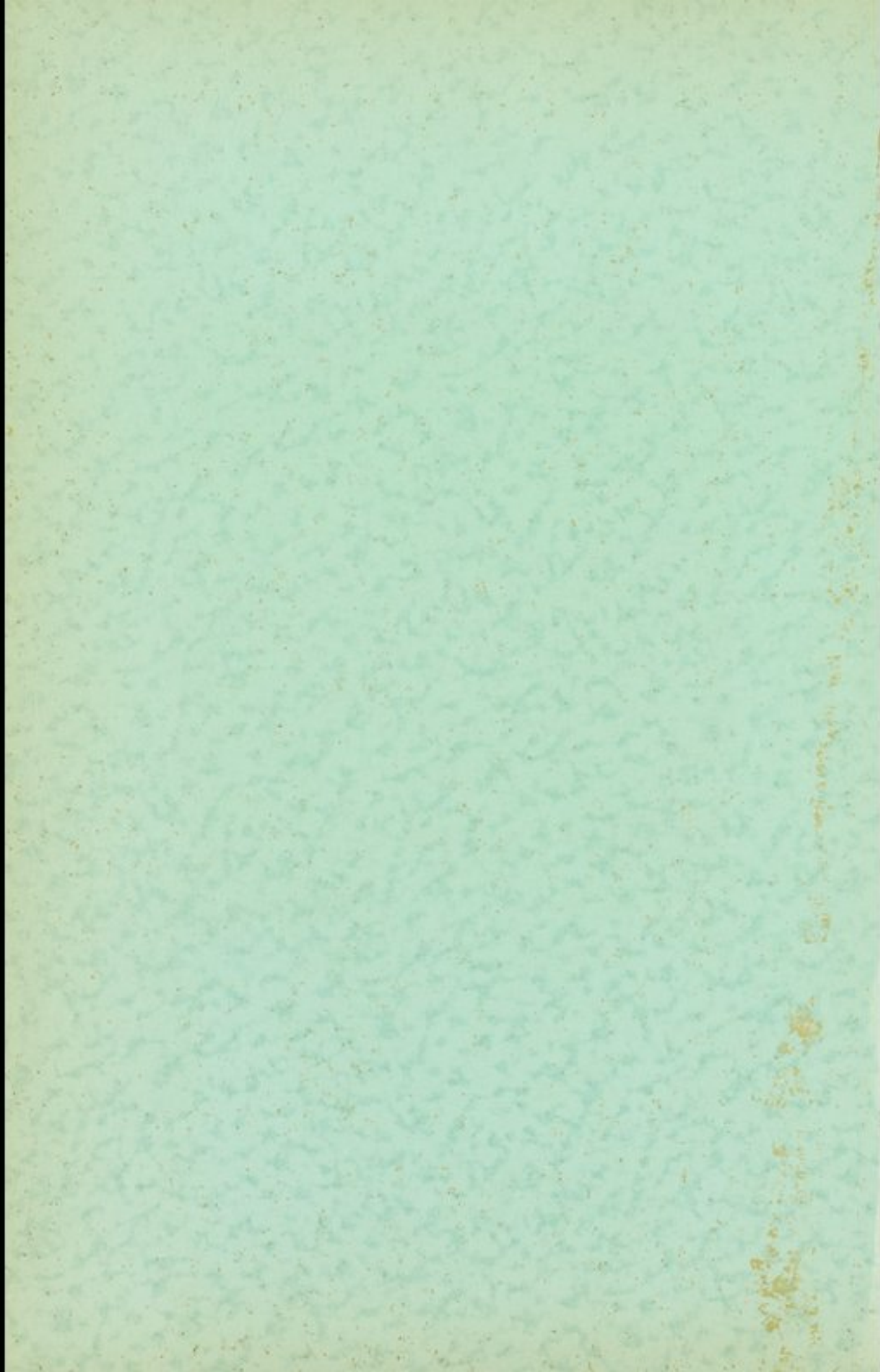
مخطوط

- * تحقيق « درة التاج من شعر ابن الحجاج » للأسطرلابي
- * ابن الحجاج - حياته ، شعره ،
- * مقالات أولى - ١٩٤٥ -
- * مقالات اجتماعية وما اشبهه ، بعد تموز ١٩٥٨
- * كلمات . . . وتعليقات

قيد التحقيق

ديوان الطغراني





Ali Jewad AL - TAHIR

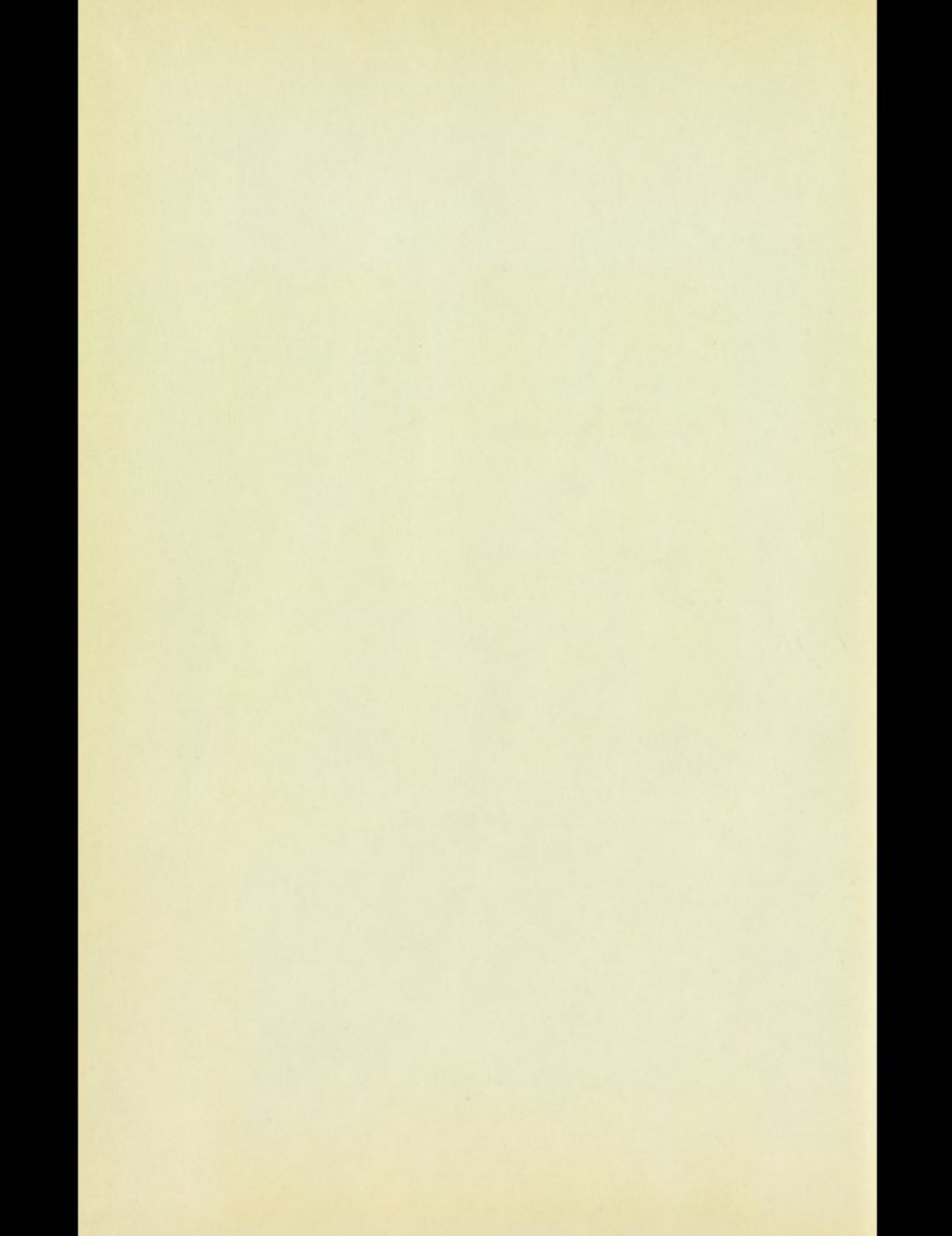
٤١

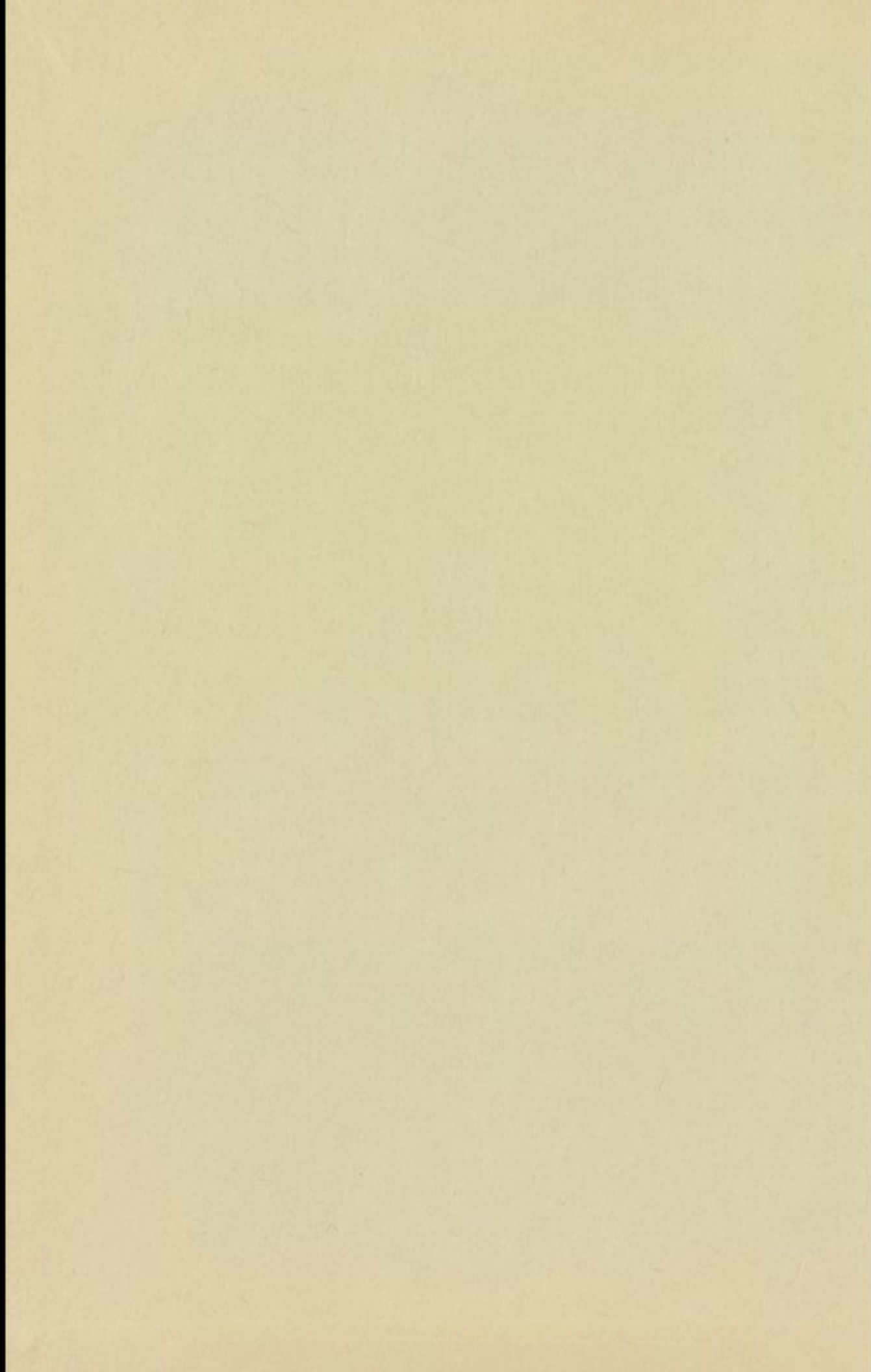
ESSAIS

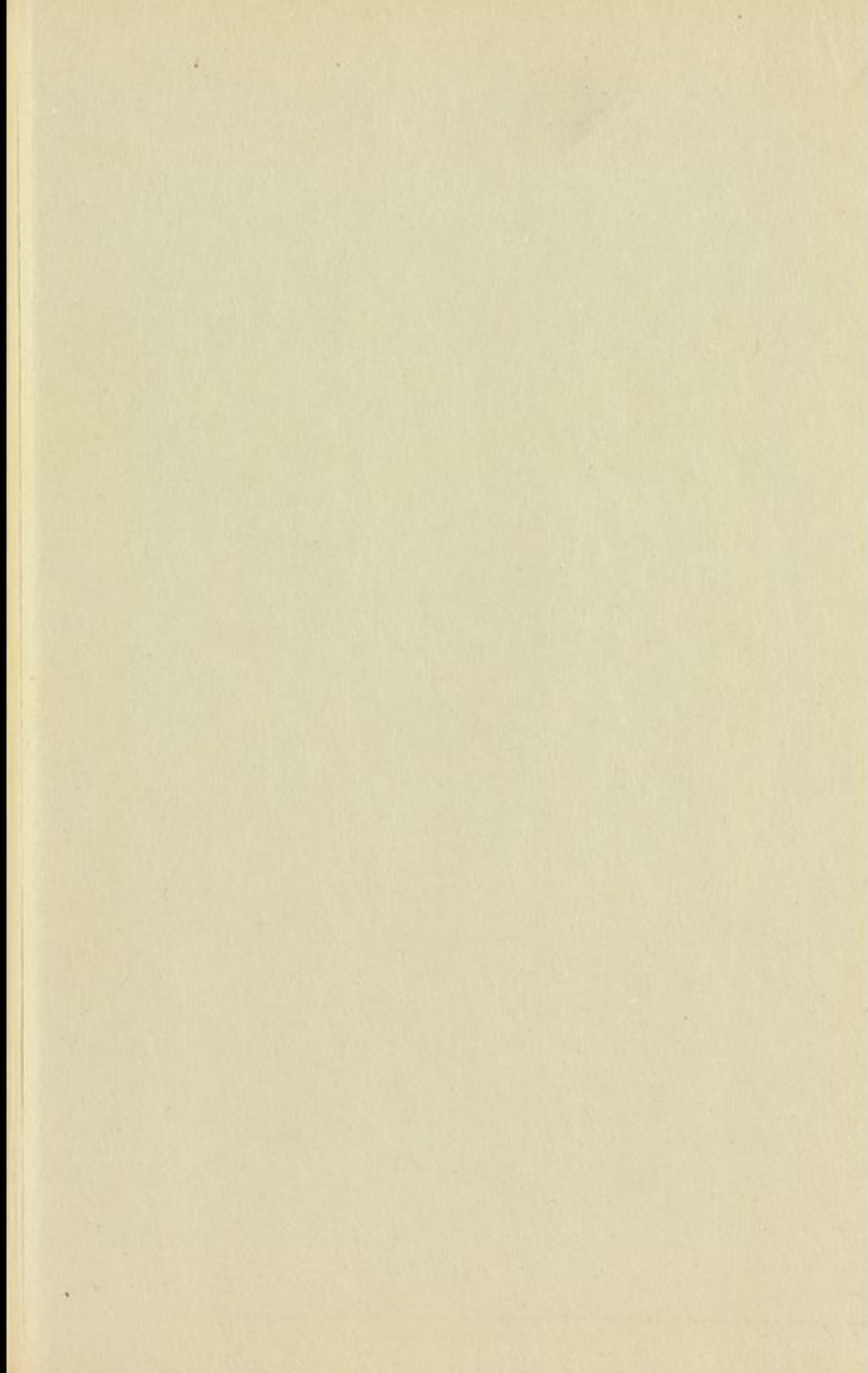
Reflexions sur des questions de Critique Litteraire - Poesie
moderne et Contemporaine-Comptes rendus-Poetes Seldjoukides
Universite de Paris - Education et Enseignement.

*Imprimerie Union des Ecrivains Irakiens
Baghdad 1962*

٣٠٠ فلس









0036760480

DATE DUE

DATE DUE

02192462

ENTRY

INSERT



BOOK CARD

PLEASE DO NOT REMOVE.
A TWO DOLLAR FINE WILL
BE CHARGED FOR THE LOSS
OR MISUSE OF THIS CARD.

PRINTED IN U.S.A.

02192462

PJ 7541
• T33

SEP 8 1971

